توفيق فياض

مجموعة عكا ٧٧٨

سلسلة كتاب القراءة الجماعية

٢

وزارة الثقافة الفلسطينية

Scanned by CamScanner

مجموعة عكا ٧٧

توفيق فياض

منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة القراءة للجميع (٤) ٢٠٠١م

الطبعة الثالثة

جميع الحقوق محفوظة

تصميم واخراج : محمد صالح خليل

إشراف : أسعد الاسعد

مطبعة فراس

Scanned by CamScanner

" قد تظنون ســـادتي أنني أروي لكم الآن قصة من عالم الخيـــال، أو الكتب، ولكن لأسفي الشديد بل وأسفنا جميعاً أن أحداث هذه القصة قد وقعت بالفعل وهؤلاء هم أبطالها :

فـــوزي نمر أحمد　　محمد حسين غريفات　　يوسف أبو الخير

عبد حـــزبوز　　فتح الله الســـقا　　رامز توفيق خليفة "

هكذا افتتح المدعي العســـكري العام للجيش الاســـرائيلي (العقيد ديفيد يسرائيلي مرافعته امام المحكمة العسكرية في اللد .

"معاريف" ١٩٧٠/٢/٢٤

Scanned by CamScanner

بســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

الإهـــــداء

الى

أرواح من رحلوا عنا من أبطال هذه الرواية

الشهداء

قاسم أبو خضرة .. محمد غريفات .. عمر السيلاوي ..

والى

كل أولئك مازالوا يحملون المشاعل بيننا على دربنا الطويل من أجل الحرية .

فوزي نمر .. عبد حزبوز .. رامز خليفة .. فتح الله السقا ..

يوسف أبو الخير .. محمود أبو الصغير ..

والى

أرواح رفاقهم الشهداء من مجموعة مجد الكروم

أحمد بشر .. راجح بشر.. عمر منصور

والى جميع الأبطال من أهلنا في فلسطين المحتلة .. الذين سطروا بدمائهم وأرواحهم أروع ملاحم النضال .. من أجل الحرية ومن أجل ان تبقى فلسطين عربية

والى الابد .

أهدي لهم هذه الطبعة من روايتي مجموعة عكا ٧٧٨

وفاء لهم .. ولكي لا ننسى

توفيق فياض

Scanned by CamScanner

إلى الذين سطروا بتضحياتهم .. لحظة الإلتحام الثوري ..

من فوق أسوار عكا .. التاريخ والحضارة

وإلى كل أم وأب فلسطيني

Scanned by CamScanner

مـــا هـــو مصيـــر الشعـــب الفلســـطيني ؟

هذا هو السؤال الذي كان يلح علي دائما منذ طفولتي . وبعد ان ترسبت فـــي نفسي آثار نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ . ومن هذا السؤال كانت تنتصب أمام عينـــي اسئلة اخرى .. ماذا على الشعب الفلسطيني ان يفعل من أجل نفسه، ومتى يكف عـن إتكاليته التي أدت به إلى هذا المصير من التشرد والتشتت، ومن ثم إتكاليته واحلامـه في انتصار الدول العربية على إسرائيل ورجوعه إلى وطنه، إلى استسلامه لحيـــاة التشرد التي يعيشها والقناعة بها، واكتفائه بالعيش على معونات الصليب الأحـــمر الذي أصبح أمه وأباه، والضرب في أقطار العالم العربي الشتى حيث الذهب الأســـود والعفن خلف دناتيره . ثم أعود واسال نفسي، اذا ما كنت جزءا من هذا الشعب ام لا، واذا ما كان العرب في اسرائيل لا يزالون جزءا من هذا الشعب، فاذا كانوا جزءا منه، فلماذا اذن هذا الجزء منسي من شعبه الذي تركه للاحتلال بعد أن منعتـــه كرامتـــه وإباؤه من الهرب من أرضه كباقي الهاربين من شعبه، ولأن حبه لهذه الأرض الطيبة قيده عليها، بل ومنسي من جميع الشعوب العربية رغم تلـك التطـورات الثوريـــة الهائلة التي غيرت كثيرا من معالمها القديمة التى ادت بعرب فلسطين إلى تلك النكبة المروعة، حتى مصر نفسها التى اصبحت القوة العربية التى تتعلـق بـــها احـــلام الشعوب العربية في التخلص من نير الاســـتعمار والرجعيـــة، واحـــلام الشـــعب الفلسطيني بشكل خاص في تحرير ارضه والرجوع إلى وطنه . ثم لماذا ؟؟ .. ولماذا ؟؟، حتى انتهى في النهاية إلى رفض الامر الواقع والكفر بنسيان العرب في اسرائيل، وأخلص إلى نتيجة حتمية، ان لابد للشعب الفلسطيني من الانتفاض والخروج مـــن قوقعه ذله وتقاعسه . ليحمل راية تحريره بنفسه وبدم أبنائه والعرب في اســـرائيل في طليعته، وان لابد لكل فلسطيني من الشعور بمســـؤوليته نحـــو هـــذه الرايـــة والنهوض بهذه المسؤولية ايا كان، واينما كان . وما دام الأمر كذلك فثمة مسؤولية ملقاة على عاتقي اذن بشكل شخصي، وعلي ان أعمل بوحيها، ولكن كيـف ؟ وهـــل

Scanned by CamScanner

يوجد بين شباب هذا الشعب ممن يشعرون نفس الشعور الذي اشعر، ونفس الألم الذي أتألم، ونفس الأحلام التي تدفعني إلى تحقيقها، فانظر حولي وألتمس ذلك عند معظمهم فأجده، ولكنهم عندما يلح عليهم السؤال نفسه والانضواء على الالم والاستكانة للامر الواقع، إلى حد التلاشي بهذا الواقع وفقدان الهوية .

كنت أفقد أنا الآخر هويتي بعض الأحيان في غمرة هذا العدم، ثم لا البث ان استردها مع كل استهانة بكرامتي القومية اليومية، افقدها واستردها الف مرة في اليوم الواحد .. فاثور وانهض بالعمل، ولكنني لا املك السلاح، ولو ملكته فاتني منسي وضائع، ولم يعد أمامي الا ان اعمل في ضياعي ومن خلال نسياني، وبالسلاح الذي أملك، قوتي البدنية المتفوقة، وتلك الطاقة الهائلة من الحقد والثورة في أعماق نفسي، أن اضرب .. اضرب في اية فرصة تلوح لي .. اسرق، وكأن هؤلاء الذين اضربهم، هم اعدائي فافرغ في ذلك شحنة من الحقد تعتمل في نفسي بايذاء هؤلاء الاعداء، باسترداد قسط من أذاهم لي ولشعبي رغم ضآلته .. وتلك الأشياء التى كنت اسرقها، لم تكن بالنسبة لي الا استردادا لاشياء سرقوها مني ومن أبناء شعبي، وما اخربه لم يكن سوى استنزافا لدمه، وحرماته من ممتلكات كانت لي ولابناء شعبي، اغتصبها لنفسه، واستطعت ان اجند حولي بعضا من خيرة شباب عكا، يحملون نفس مبادئي، يتألمون ألمي ويحقدون حقدي، وفي النهاية يصرفون هذا الألم وذلك الحقد بنفس الطريقة التي أصرفهما أنا نفسي، وبين ازقة عكا القديمة المفترسة، كانت تجمعنا مقاهيها المظلمة، فنتحدث، ونتندر بما صنعه كل واحد منا خلال يومه، أو خلال اسبوعه، ونستعرض ذلك الرياء والخداع والأوهام التي تقتات عليها الشعوب العربية، إلى أن نصل مرة اخرى إلى ذلك الشعب المخدوع، والذي لم يعد هو واحلامه في العودة إلى وطنه فلسطين، سوى سلعة يزايد عليها كل حاكم عربي للبقاء في كرسيه او للتعويض عن عجزه في تحرير ارضه المغتصبة .

Scanned by CamScanner

في تاريخ ١ - ١ - ١٩٦٥، تركت عملي مبكرا، ولم أذهب إلى البيت، بل درت أبحث عن اصدقائي في المقاهي وفي كل مكان، وإليهم جميعا بشرى واحدة كانت على لساني .. " اليوم قام الفدائيون العرب بعملية تفجير لخط المياه القطري داخل اسرائيل " .. وما ان اتى المساء حتى كنا نحتل قهوة الكراكون في ساحة الكراكون القديمة . وكانت معاني هذا الحدث واضحة لجميعنا، وكانت تلك الاحلام التي خلقتها في انفسنا، تداعب افكار كل واحد منا دون أن نتحدث بها . لقد حان الوقت الذي كنا ننتظره سنين طويلة، وكانت فرحتنا بوجود الشعب الفلسطيني لنفسه بدون حدود . فرحنا نتناقش اذا ما كان هناك تنظيم مدروس منذ سنين فاتت، واستكمل الآن شخصيته وقوته، وأفصح عن نفسه ليبدأ الطريق ويستمر بها، وأي الدول العربية تدعمه، أهي سوريا أم مصر، وأجمع الجميع على أنها مصر، وما دامت مصر، فلابد وان يكون هذا التنظيم على أحسن وجه من التنظيم والتدريب والامكانيات، وافترضنا ان لابد وأن تكون قيادة هذا التنظيم قد انخرطت في الثورة الجزائرية قبل ذلك واكتسبت الخبرة اللائقة في حرب العصابات والمقدرة على التنظيم بل وافترضنا انه

Scanned by CamScanner

لا بد وأن يكون هناك العديد من أبطال الثورة الجزائرية من تطوعوا مع الفدائيين الفلسطينيين لاشعال نار الثورة الفلسطينية .

مرت الأيام، وكنت أخطط في رأسي، كيف استطيع المشاركة في العمل، ولكنني كنت اصل في تفكيري دائما إلى الرفض القاطع لمغادرة البلاد والانضمام إلى صفوف الثورة والعمل من الخارج، فرحت أدبر في نفسي خطة للانضمام اليهم، وتشكيل مجموعة تعمل من الداخل كي استغل كل ما لدينا من امكنيات هائلة للعمل في القلب، وكنت أسأل والدي دائما عن ثورة ١٩٣٦ وكيف كان الثوار يقاتلون الانجليز، فيحدثني عن تلك الثورة وابطالها باسهاب وحماس ولكنه كان دائما ينتهي من حديثه باتهامي واتهام الشباب الفلسطيني بالتخنث والجبن لاننا لا نشعلها ثورة على اسرائيل، وعندما كنت أتظاهر بالضحك، يغضب مني ويقول متحديا " ان كنت رجلا آتني بمسدس فقط وسأريك ما استطيع ان افعله "، فأتألم له وأحتقر نفسي .

لم تطل احلامي طويلا، وسرعان ما اكتشفت ان هذه العملية لم تكن سوى مزايدة اخرى من المزايدات العربية وانها لم تكن سوى خدعة اخرى في سلسلة الخداعات للشعب الفلسطيني والتآمر عليه، وتكررت العملية المتقطعة، ولكنها لم تكن لتقنعني لرداءة تنفيذها وعدم جدواها، رغم انني كنت ادرسها من جميع نواحيها فأحاول التوجه اليها في تفكيري بعطف، واعتبرها بداية ولابد لها من التطور والنضوج، ثم أعود واقتنع العكس، لما تضفي عليها الاذاعات العربية من التضخيم والكذب .. الا ان شيئا واحدا كان يعزيني .. الطلقة الأولى للثورة الفلسطينية قد أطلقت .

القى القبض على محمود حجازي، وترددت على الاسماع كلمة " فتح" ، وطبلت الاذاعات العربية لهذا الحدث وزمرت، وكلما كثرت الضجة حولة كنت اخوج عن طوري اكثر واغضب، فماذا لا يكون الرد محمود حجازي آخر وآخر، وكيف القى القبض عليه ؟ بل كيف استسلم بعد أن أصيب ؟ وكيف يمكن لمقاتل ان يلقي سلاحه، فلماذا هو فدائي إذن ؟ وقد كان لهذه الكلمة فعل سحري في نفسي بحيث كنت أرسم

Scanned by CamScanner

للفدائي في ذهني صورة قدسية وخارقة . ورحت أسائل نفسي هل هى حلقة اخرى من الخداعات للاستهلاكات الدعائية أم لا، وهل يحمل محمود حجازي بالفعل مبدأ ما، أم عاطل عن العمل هو ومجرد قاطع طريق - كما يقولون بالصحف العبرية قبض الثمن بيد رحبة . الا ان صموده وايمانه بمبدئه اقنعني بأنه لابد وأن يكون فدائيا حقيقيا، خانه حظه، ولابد من انقاذه بأي ثمن، لان الصحف أخذت تتحدث عن امكانية اعدامه، وخلصت إلى فكرة العمل على اختطافه .

رحت ادرس هذه الامكانية وحدي في البداية، فوجدت ان لى القدرة على اختطافه اذا ما توصلت إلى معرفة مكان سجنه، او في طريقه إلى المحكمة . اطلعت بعضا من اصدقائي على ما افكر به فتحمسوا للفكرة، ورأوا فيها بداية لشرارة ثورة فلسطينية نطلقها داخل اسرائيل لتلتحم بعدها بالثورة الفلسطينية وراء الحدود . ورحنا نفكر بكل ما سنفعله اذا ما نجحنا في ذلك وكيف، وكان رأى الأكثرية ان نخطفه ونخفيه في بيت احدنا في عكا القديمة او في الجبال، بحيث ننسق معه العمل وليكون حلقة الوصل الاولى بيننا وبين قيادة الثورة خارج الحدود، ثم نهربه عن طريق البحر بحيث يرافقه احدنا للالتقاء بقيادة الثورة، وقد وقع الاختيار علي أنا في ذلك . اما الاحتمال الثاني لانقاذه كان ان نخطف احد كبار رجال الدولة او عدة منهم ونحتجزهم كرهائن لاطلاق سراحه وقد وقع الاختيار يومها على موشيه ديان وكان وزيرا للزراعة، وكان يكثر من الجلوس في مطعم يونس بيافا القديمة دون حرس، والثاني كان أبا حوشي رئيس بلدية حيفا وعددا من ضباط المدرسة البحرية في عكا . وهكذا استمرت الايام في الاعداد والتخطيط لتنفيذ العملية بحيث لا يكون احتمال واحد للخطأ، حتى الرابع عشر من ايار عام ١٩٦٧ .

في ذلك اليوم اعلن قائد القوات الاسرائيلية اسحق رابين، ان اسرائيل ستضرب سوريا لقلب نظام الحكم فيها واحتلال خط التابلاين للبترول لتضمن استمرار تدفق البترول، بعد أن قطعته سوريا، مما أثار الحكومة البريطانية والحكومة الامريكية، فهبت اسرائيل لتعلن مثل ذلك التهديد الخطير على لسان رئيس

Scanned by CamScanner

اركان جيشها .. فثارت ثائرة سوريا وراحت تعلن عن حشد قوات اسرائيلية على حدودها، واعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان مصر لن تقف مكتوفة اليدين اذا ما اعتدت اسرائيل على سوريا، تأزمت الاحداث إلى الحد الذي اسفر عن حرب الخامس من حزيران .

Scanned by CamScanner

كنت واصدقائي خلال تلك الفترة في حالة من الذهول لتطور الاحداث بتلك السرعة التي كانت تجري عليها، وأسكرتنا النشوة، اذ آن الأوان اخيرا لتحرير فلسطين، ومرة اخرى اشرق الامل في نفوسنا بعد ان كان قد مات تماما، ولم نعد نفكر في اية دولة عربية بما فيها الجمهورية العربية المتحدة جادة فعلا في دخول حرب مع اسرائيل، أو لديها اى مخطط فعلي للقضاء عليها او حتى محاربتها، وخاصة بعد ان اعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك في غزة عام ١٩٦٤ بنفسه . وأخذ الحماس الذي كان يجتاح الامة العربية ينتقل الينا .

تركت عملي تلك الفترة، ولم أعد افارق مقهى الكراكون اثناء النهار، حيث كنا نلتقي جميعا لتتبع الاخبار، ومن مقهى الكراكون في النهار إلى بيتنا في الليل، وكنت اختلف مع معظم اصدقائي المتحمسين بعد أن اصبحت الامور جدية، وأخرجت قوات الطوارئ من شرم الشيخ وقطاع غزة، فلم اكن راضيا من الشكل الذي كانت تسير عليه الامور في الدول العربية وفي طليعتها مصر، وكنت استاء من تلك الضجة في وسائل الاعلام، مما جعلني أشك في ان مصر تنوي دخول حرب فعلية مع

Scanned by CamScanner

اسرائيل، التي اخذت تعد العدة لها بكل قوتها وبكل طاقتها حتى بدت كالترسانة، وقد اقفرت شوارع مدنها وقراها من الرجال بعد ان اعلنت التعبئة استيائي من الشكل الذي تسير عليه الامور في الجمهورية العربية المتحدة، وادخال القوات العربية إلى سيناء، الا انني كنت واثقا ان النصر لابد وأن يكون إلى جانب الدول العربية .

قبل نشوب الحرب بيومين - وقد باتت الامور واضحة من استحالة عدم الاصطدام - بدأت افكر جديا ماذا على العرب في اسرائيل ان يفعلوا اذا ما وقعت الحرب، ثم ماذا علي انا شخصيا ان افعل، وبسرعة خلصت من الافكار إلى العمل، واكثر همي كان يتركز في حماية عكا القديمة من أية عملية انتقامية في حالة ميل الدفة في المعارك إلى جانب العرب أو حتى العكس كما حصل في كفر اسم عام ١٩٥٦

ذهبت إلى عبد حزبوز وفتح الله ورامز خليفة وكانوا الزم اصدقائي واطلعتهم على ما افكر به وما انوي فعله، فوافقني الجميع على العمل وجند كل منا عدة اصدقاء آخرين بحيث اصبحنا ثلاث خلايا ونستطيع تغطية المدينة من جميع أطرافها . كان لدي برميلا من الديناميت سرقته من سيارة أحد ضباط الجيش من هواة صيد السمك في نهاريا . وجمعت كل ما استطيع الحصول عليه من ديناميت عند اصدقائي من صائدي الاسماك وعمال المحاجر، وشرعنا بتحضير عبوات صغيرة كالتي نستعملها في صيد السمك، وعينا موقع كل واحد منا من المدينة، ثم رحت ابحث عن ذخيرة لمسدسي، كي يكون لدي اكبر قسط ممكن منها .

ولم اكن ادري ان كل ما وضعته من خطط، وكل ما بنيته من آمال، سأنسفها جميعها بنفسي في اليوم السادس للحرب مع اصابع الديناميت في أعماق البحر .

كانت فظاعة الهزيمة قد عقدت لساني، وهول المأساة كان قد صعقني، فوقفت في اليوم الثالث للحرب فوق سور عكا، انظر إلى أمواج البحر . تمنيت لو استطيع مد يدي إلى البحر وانتزعه من مكانه الازلي لاغمر العالم كله بامواجه، تمنيت لو تنشق الارض تحتي الف الف قامة وتبتلعني . كانت الهزيمة اقسى من التفكير بها وتصورها بكثير، وكان رقص الظافرين على الاعلام العربية الاسيرة

Scanned by CamScanner

ورسم الرئيس في شوارع عكا اكثر مما احتمل، وكان شـــعوري بـــالخزى والـــذل يتصاغر بي إلى حد التلاشي والرغبة في الانتحار لاغسل بدمي النازف ذلي وخزيي . وتحجرت مشاعري، وكان حلقي جافا ومتحجرا إلى حد الاختناق . وفجأة وجدتنـــي ابكي .. نعم ابكي !! .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى ارى فيها دموعي واحسها .

Scanned by CamScanner

دخلت البيت بعد اسبوع من الهزيمة، واذا باهلي جميعا في مـــأتم، وأمـــ صامتة تنتحب بصمت . وما كادوا يحسون بوجودي في البيت حتى صمتوا جميعا . تفقدت بنظري جميع اخوتي وأخواتي فلم أر بينهم اخي الأصغر "منصور" . فسـألت أين هو ؟ فردت والدتي أنها لا تعرف، فتيقنت أن مكروها ما قد حصل نه، وسألت مرة اخرى بهدوء اذا ما كان في المستشفى، ام انه قد مات . فانتفضت والدتي لسماع هذه الكلمة، وقالت بصوت مختنق ان "منصور "بخير ولكنها شقيقتي فوزية هى التـــي قتلت واولادها أثناء احتلال نابلس . فصعقت، وسألتها من اين لها هذا الخبر، ولـــم يمض على احتلال الضفة الغربية اكثر من اسبوع بعد، فأجابت انها سمعت ذلك مـــن احدى نساء الحارة ممن لهن اقارب في نابلس، فتاكدت ان الخبر مجرد شائعة ككـــل الشائعات التي سمعتها عن احتلال الضفة الغربية، وطمأنت والدتي، ثم بت ليلتي وقد استقر رأيي على المغامرة في الصباح والتسلل إلى مدينة نابلس للاطمئنـــان علـــى شقيقتي واولادها . عبرت كل الحواجز داخل الحدود القديمة حتى قرية جـــت فـــي المثلث، حيث ودعت صديقي الذي اوصلني بسيارته، وتسللت إلى قريـــة " زيتـــا "،

Scanned by CamScanner

ومنها استأجرت سيارة إلى نابلس . كان منظر الخرائب والدمار التي خلفها الاحتلال في قرية "زيتا" وعلى طول الطريق قد أفقدني صوابي، وخاصة بعد ان مررت بوادي التفاح المملوء بهياكل السيارات المدمرة، ودماء القتلى لا تزال حمراء على جانبي الشارع .

قد هدف إلى مكان شقيقتي في نابلس، فسافرت إلى قرية بورين، وهي القرية التي تنحدر منها والدي وأقاربنا لا يزالون يعيشون فيها . التقيت هناك باحد الاشخاص في القرية وكان يناهز الخامسة والاربعين من عمره . فسألته اذا ما كان يعرف زوج شقيقتي وابن بقيه . فنظر إلى بعينين زكيتين يتفحصني، وسألني اذا ما كنت ابن تمر الاحمد من عكا. وكانت حدة عينيه ازعجتني فعلا ولم اكن اتوقع ذلك مطلقا . فأجبت بالايجاب. وحين سألته كيف عرفني، أجاب انني اشبه شقيقتي "فوزية"، وكتشفت انه احد اقاربي. ثم اخبرني ان اختي وزوجها واولادها بسلام، وانها تقيم الان مع الاولاد في القرية بعد ان غادر زوجها إلى الضفة الشرقية، ثم قادني إلى بيتها وقد كان اعرف ان ذلك الرجل سيشاركني مصيري ذات يوم . اغمي على شقيقتي حين رأتني بعد أن عرفتني. ولم امكث عندها طويلا فحملتها مع الاولاد واتيت بها إلى عكا. ثم نقلتها لتقيم عند احد اقاربنا في قرية طمرا، كي لا يلقى القبض عليها . الا ان الشرطة اكتشفت ذلك سجنتني ثلاثة ايام بعد ان انكرت، ولكن السلطات عثرت عليها اخيرا واعادوها إلى نابلس. ثم اطلق سراحي، ولم تمضي ساعة واحدة على وصولها نابلس حتى كنت في بيتها هناك ثانية .

بقيت في بورين اسبوعا كاملا. اذهب في النهار إلى نابلس ثم اعود لابيت عند شقيقتي في الليل . وكنت خلال ذلك أتحرق غيظا وذلة وحقدا وأنا اشاهد قوات الاحتلال تدوس كبرياء البقية الباقية من فلسطين، وكنت اجلس احيانا في المقاهي ارقب قوات الاحتلال وسرعان ما كنت انتقل بذاكرتي إلى عام ١٩٤٨، ونفس قوات الاحتلال تدوس كرامة عكا. وكل ما تحمله من فظاعة ووحشية، فاذكر كيف كنت والصغار العزل نقاوم هذه القوات بكل ما يستطيع الصغير أن يملك، بينما أجلس الآن

Scanned by CamScanner

ولا استطيع فعل شئ غير مراقبة الجنود المدججين بالسلاح والإصغاء إلى وقع أحذيتهم الثقيلة، وبأعجوبة كنت أستطيع السيطرة على نفسي حين تمر شلة من الجنود امامي، اذ كنت اشعر برغبة جامحة في مقاومتهم وعراكهم، فاهم بالحركة لانقض على احدهم وانتزع منه سلاحه فابيد به الشلة كلها، الا انني كنت أسيطر في كل مرة على رغبتي لعدم جدوى فعلي، فأبدا بالتنقل بنظري على شرفات منازل المدينة الممتهنة .

في عام ١٩٤٨م حين دخلت قوات الاحتلال الصهيونية عكا، قاومها شبابها بكل ما ملكوه، وكل ما ملكوه آنذاك لا يتعدد عدد الاصابع من البنادق والرشاشات ودينامايت الصيد، ولكنهم قاوموا واستشهدوا، بالحجارة قاوم الصغار واستشهدوا، وبالسكاكين قاوم الشيوخ واستشهدوا، وبالاظافر قاومت العذارى واستشهدت . وفي عام ١٩٦٧ تجوب قوات الاحتلال مدننا باكملها ؛ البقية الباقية من فلسطين، ولا رصاصة واحدة تطلق .. فيا للعار ! رحت اتعرض في مخيلتي لهب قنابل المولوتوف تنصب من ازقة باريس المحتلة باضخم واعنف قوى الاحتلال كما رأيتها في فيلم استعراضي عن احتلال القوات النازية لباريس، ولعلعات البنادق الرشاشة التي لم تكن لتنقطع حتى ظهر الوطنيون الفرنسيون باريسهم، غاسلين عن جبينها وجبين فرنسا وصمة العار . فماذا يقبع شبابنا اذن كالدجاج خلف الشرفات، وماذا ينتظر ؟ لماذا عرفت جميع الامم كيف تقف في وجه العدوان النازي وتقول له " لا "، بينما تستسلم امتنا لهزيمتها وتستكين .. هزيمة تلو هزيمة، وهزيمة اعنف من هزيمة، في كل هزيمة تمتنى بها لا تفعل هذه الأمة سوى لعق الجراح .. اين الشعب الفلسطيني ؟ ولماذا قاوم سنة ١٩٤٨ إلى ان باعته القيادات العربية ومن ثم تقاسمته، وعام ١٩٦٧ لم يقاوم كما ينبغي له ان يفعل استسلم للهزيمة مرة اخرى .. لماذا لا يخرج للعمل الآن ؟ ولماذا ينادي بالعمل من شرقي النهر دون ان يعمل ؟ فلابد له ان يعمل الان .. ان يتحرك الآن وبكل طاقاته ويثبت نفسه، والا فانه لن يتحرك ولن يستفيق إلى الابد، وليس من شرقي النهر، بل من غربيه . وليس من ابواق الدعاية

Scanned by CamScanner

في شوارع عمان، بل هنا وفي قلب نابلس والقدس وطولكرم وجنين .. بل وفي قلب تل - ابيب وقلب حيفا، وفي ذروة نشوة نصر هذا العدو . لابد من قض مضجعه في بيته، وسأقض مضجعه انا بنفسي ووحدي هذه المرة اذا لم اجد من يفعل معي . لابد وان انقل المعركة إلى قلبه واضربه في الصميم، كي اثبت للعالم العربي كله، ان مالم يستطيعوا فعله في عشرين عاما، وهم في ذروة قوتهم، سافعله انا وحدي والعالم العربي كله في الحضيض من قوته . وسأثبت للشعب الفلسطيني ان باستطاعته ان يعمل وان يقاوم، وان لابد له من البعث من جديد وباستطاعته ان يبعث، وانه لن يهزم إلى الابد . فقد اصبح معظم الشعب الفلسطيني يعيش الآن تحت وطأة الاحتلال، كما عاش ذلك الجزء الصغير منه عشرين عاما كاملة، ذلك الجزء الذي لم يفطن به احد خلال تلك المدة الطويلة ؛ لا الشعب الفلسطيني ولا باقي الشعوب العربية، بينما عاش فاقد الهوية، اقلية تصارع كل ما في الاحتلال من وحشية واضطهاد عرقي كي يحافظ على لغته العربية على الاقل والان هي الفرصة لكل الشعب الفلسطيني ان يحمل راية تحريره بنفسه وهي الفرصة لذلك الجسد الممزق ان يستعيد اعضاءه المبتورة كي يؤدي كل عضو فيه مهمته، لاسيما ذلك الجزء الذي لايزال ومنذ عشرين عاما تحت وطأة الاحتلال يشهد كل لحظة وكل ساعة اغتصاب ارضه وكرامته، وهو الادرى بطبيعة العدو وارضه .

Scanned by CamScanner

رحت خلال هذه الفترة ابحث عن الشخص الذي يمكن له يكون حلقة الوصل بيني وبين احدى المنظمات، ولم يكن يهمني ايهن تكون . اذ كان كل همي ان احصل على المواد والاسلحة التي تمكنني من العمل واطلاق شرارة المقاومة داخل اسرائيل، وكنت كلما تعرفت على احد الاشخاص المقربين إلى بيت اختي، امتحن استعداده للعمل دون ان اشعره بانني اعني نفسي في الحديث الذي كنت اخلقه عن الاحتلال وعن الوضع العام، وعن عمل المنظمات وامكانية العرب في اسرائيل العمل من اجل المعركة . وكان اكثر ما يثير غضبي في مثل هذا الحديث هو عدم معرفة هؤلاء الاشخاص لادنى المعلومات عن العرب في إسرائيل . فقد كانوا يتكلمون عنهم وكأنهم طابور خامس لاسرائيل، او كأنهم جزء من الشعب اليهودي في إسرائيل . وأخيرا وجدت الشخص الذي كنت ابحث عنه، وكان " ابو مصطفى " . وكانت علاقتي به قد توثقت اثناء سفراتي المتكررة، ولمست فيه عنصر الفلسطيني الاصيل، واستعداده للعمل المخلص، وتفهما واعيا للقضية الفلسطينية وابعاد معركتها، ومن ثم تفهمه لدور العرب في إسرائيل في المعركة اذا ما اتيحت له

Scanned by CamScanner

الفرصة، وضرورة تلاحم الثورة بهم وامدادهم بكل الامكانيات للعمل . ثم اطلعته على نواياي . وعبرت له عن رغبتي في الالتحاق باحدى المنظمات الفلسطينية فأكون بذلك اول فلسطيني مؤسر يأخذ مكانه في صفوف المنظمات الفلسطينية لافتح الطريق امام العرب في إسرائيل لكل يلتحموا بثورتهم الفلسطينية ايمانا مني بان لا مستقبل لهذه الثورة ان هي لم تلتحم التحاما كاملا بالجماهير الفلسطينية داخل إسرائيل . وسألته اذا ما كان مستعدا لان يعمل على اتصالي باحدى المنظمات الفدائية وتنظيمي رسميا، شريطة ان يدرس الموضوع اولا بجدية وبمسؤولية متناهيتين، وان يتعهد شخصيا امدادي بكل ما احتاجه من سلاح ودون تأخير . وكان ما افضيت له به ابعد بكثير مما كان تفكيره وخياله يصوران له . فصمت طويلا، يتفحصني بعينيه الثاقبتين طويلا دون ان يحير جوابا، ثم ضغط على يدي وهو يقسم بان سيكون ذلك همه الوحيد منذ تلك اللحظة . وافترقنا على ان يطلعني في اقرب وقت على رد القيادة في عمان بعد ان يحاول هو بنفسه الاتصال به .

عدت إلى عكا وانا اشعر وكأني اولد من جديد . عشرون عاما وانا اعيش من اجل هذه اللحظة، وها هي تاتي اخيرا . فرحت ادرس ما يمكنني ان اعمله وكيف اعمل، وكنت واثقا ان ما انا مقدم عليه لن يكون بالامر السهل وان على الثورة الفلسطينية ان تعبر دربا طويلا وشاقا كي يقودها إلى النصر، وان دوري على هذا الدرب سيكون من اصعب ادوارها واشقها . ورحت اركز كل همي، بان اعمل بتووي ومسؤولية متناهيين، ولكن بعنف، وبأعنف ما يمكنني أن اعمل، واضمن اكثر ما اضمن اطالة دوري على هذا الدرب ما امكنني .. ثم رحت ابحث بيني وبين نفسي عن أولئك الرفاق الذين لا بدلي من اسطحابهم على هذا الدرب من بين اصدقائي،ولم يكن هذا ما يحتاجني إلى جهد كبير للعثور عليهم . ووقع اختياري أول ما وقع على فتح الله السقا ورامز خليفة وعبد حزبوز . لانه موضع ثقتي المطلقة النابعة من صداقة سنين طويلة حافلة بالتجارب اولا، ولما يتمتعون بها من امكانيات هائلة للعمل والقيادة اذا ما سقط الاخر ثانيا . ولم اكن بحاجة لامتحان استعدادهم للعمل ؛ اذ كنا

Scanned by CamScanner

متفقين في الرأي بالنسبة لكل ما يتعلق بالثورة الفلسطينية، وخاصة حتمية دخول العرب في إسرائيل المعركة والتحامهم بالثورة الفلسطينية، فكانوا كثيرا ما يعبرون عن تحرقهم لعدم تمكنهم من خوض المعركة، وكانت هذه الاحلام تراودنا سنين عديدة قبل حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ بل وقبل ان تكون هناك منظمات فلسطينية، ولكنني قررت الا اطلعهم على الامر الا بعد ان يتم كل شئ، لانني رغم ثقتي بـ " ابو مصطفي " وما لمسته منه من نية صادقة للعمل، الا انني لم اكن مطمئنا إلى كفائته ومستوى مسؤوليته .

وبعد ما يقارب الاربعة أشهر من وعده لي، استطاع اخيرا ان يحصل على تصريح من سلطات الاحتلال يمكنه من العبور إلى الضفة الشرقية، عاد بعدها ليعلمني انه قد اتصل بقيادة منظمة فتح واطلعهم على رغبتي في الالتحاق في صفوفها مع مجموعة اختارها بنفسي بعد ان اتأكد من رأى القيادة في هذا الموضوع، فابدوا تفهما عميقا ومسؤولية كاملة، ولكنهم ينوون دراسة الموضوع بشكل جذري، وبالنسبة لاشراك العرب في إسرائيل في المقاومة بشكل عام، لرسم خطوط واضحة لهذه الامكانية، وقد عينوا له شخصا معينا ليكون همزة الوصل بين المجموعة التي انوي تشكيلها وبين القيادة، واتفقنا على ان التقي بهذا في اليوم التالي .

استعرت سيارة صديق لي، وسافرت في اليوم التالي إلى نابلس للالتقاء بـ " ابومصطفي "، فوصلت قبل الموعد المحدد واتجهت نحو المكان المتفق عليه، ووقفت بسيارتي بعيدا منه، بحيث استطيع رؤيته حين يأتي، دون ان الفت انتباهي، وبقيت داخل السيارة التي استبدلتها بسيارتي ارقب مجيئه، اذ كنت قد قررت وضعه في الامتحان .

حضر في الموعد المحدد، وراح ينتظر، بينما بقيت انا داخل سيارتي ارقب حركته، وارقب الطريق اذا ما كانت هناك اية حركة غريبة . انتظرني على هذا الحال اكثر من اربع ساعات متواصلة، ولكن شيئا لم يحدث ولم تلفت انتباهي اى حركة

Scanned by CamScanner

مشبوهة منه او من غيره، ورغم ذلك قررت ان لا اذهب للقائه، فتركته ينتظر في مكانه وعدت راجعا إلى عكا .

في عكا امتحنت استعداد فتح الله ورامز خليفة وعبد حزبوز للعمل وللمرة الاخيرة تلميحا، مستعرضا امامهم جميع الاحتمالات، ومدى ما يترتب عليها من مسؤولية وتضحية اذا ما تسنى لنا ان ننضم إلى احدى المنظمات والعمل، وان الطريق طويلة وشاقة، وان النصر للثورة الفلسطينية بكل ما يحيط بها من ظروف بعيدة الاحتمال على المدى القصير، ولكنه لابد وان تتحقق بالنفس الطويل . وكانوا هذه المرة اكثر حماسا وتصميما على العمل، ورجوني ان ابحث بكل جدية عمن ينظمنا ويزودنا بالاسلحة او ان نعمل سويا على الحصول على الاسلحة بكل الوسائل ونعمل وحدنا دون الانتماء إلى اية منظمة اذا لم نستطع ذلك، فوعدتهم بذلك دون ان المح لهم عما وصلت اليه قط .

عدت إلى نابلس بعد يومين، وذهبت إلى بيت " ابو مصطفي " في بورين في الصباح الباكر مباشرة، وما ان رأني حتى راح يعبر لي عن استيائه لعدم احترامي للمواعيد . وكان هو الاخر لا يزال يشك بجديتي، واخبرني انه لا يحب اخلاف المواعيد، وانه حينما يحدد موعدا مع اى شخص آخر، يعمل كل ما في وسعه كي لا يخل بموعده حتى ولو كلفه ذلك حياته، وقد اعجبتني هذه الميزة به، ثم اخبرني كيف انه بقي ينتظرني منذ الصباح حتى المساء، وانه اتخذ كل الاحتياطات لاي احتمال مكروه . فاعتذرت له، وتعللت بخراب السيارة، دون ان اطلعه على ما حصل . ذهبنا إلى نابلس سويا، فتركني في احد المقاهي، ثم عاد الي واخبرني ان الرجل الذي سنلتقي به سينتظرنا في مكان ما، وعلينا ان نستقل سيارة اجرة تاركين سيارتي داخل المدينة .

مررنا بالرجل، فاستقل السيارة معنا، ورافقنا إلى بيته . وفي بيته قدم نفسه باسم " ابو سمير "، وكان شابا مليئا بالحياة، والحماس للعمل و تحدثنا طويلا عن رأى القيادة بالموضوع، واستعدادها لتقديم كل الأمكانيات ودفع أبهظ الأثمان لخلق

Scanned by CamScanner

مجموعة من العرب في إسرائيل، وكانت المعنية في الحديث قيادة منظمة فتح،و سألني بدوره اذا كان بامكاني تشكيل مجموعة تعمل معي،فاجبته ان يترك هذا الامر لي، وانني لن اشكل هذه المجموعة قبل ان احصل على الضمانات من " ابو عمار " مباشرة، والاوامر التي سأتلقاها تكون منه شخصيا، واول هذه الضمانات ان يتم تنظيمي على يده مباشرة قبل كل شئ بحيث اسمع قبول عضويتي من اذاعة فتح . ثم وضعت بين يديه برنامج عمل ومقترحات للعمل ليضعها امام " ابو عمار "لدراستها ورده عليها . وكان من ضمن مقترحاتي ان تترك لنا حرية العمل واختيار الاهداف حسب ما تريتيه سواء من حيث الاهمية المعنوية لاننا ادرى بطبيعة العدو ونعرف ارض المعركة معرفة جيدة، ومن ثم تزويد مجموعتي بجميع ما تطلبه من اسلحة ومواد متفجرة عن طريق البحر مباشرة، وانني سازوده بتخطيط كامل لوسائل نقلها واستلامها واسم الشخص الذي يمكنه القيام بهذه المهمة اذا ما وافق " أبو عمار " على ذلك مبدئيا، كما وكان من بين مقترحاتي، الاتصال المباشر للقيادة بنا عن طريق الراديو بكل ما تطلبه منا او تنقله الينا من تعليمات، وان يكون عمل المجموعة بعيدا عن كل مزايدة سياسية بين المنظمات نفسها كي لا يؤدي ذلك بنا إلى كارثة، والالتزام بحرفة ما نقدمه من تقارير عن عملياتنا في اذاعة البيانات، وان لا يذاع نبأ اى عملية الا بعد ان تذاع من راديو إسرائيل، الا اذا لم يذع ووافينا القيادة بتقرير عن نجاح العملية، وان كل تزييف او مبالغة في اذاعة انباء عملياتنا قد يؤدي إلى انفصال المجموعة عن المنظمة ونحن من ناحيتنا نعد بأن تكون عملياتنا بغير حاجة إلى تضخيم . اما بالنسبة للناحية المادية فقد طلبت من " أبو سمير " ان يبلغ " أبو عمار " ويؤكد له انني وافراد مجموعتي لن نتقاضى اى مبلغ من المال قط وأننا نضع كل امكانياتنا الشخصية والمادية في سبيل الثورة الفلسطينية، لاننا جميعنا نعمل وفي وضع مادي حسن ومستقر، وكل ما نطلبه هو ان تتعهد المنظمة رسميا بمستقبل افراد المجموعة في حالة اعتقالنا، وأن يعملوا كل ما في وسعهم لانقاذنا من السجن، اما في حالة استشهاد أي منا، ان لا تتخلى المنظمة عن عائلته في المستقبل .

Scanned by CamScanner

وأخيرا طلبت منه ردا سريعا ووافيا من " أبو عمار " شخصيا على كل ما تحدثنا فيه، وكان " ابو مصطفي " يوافقني على كا ما اديته من مقترحات، ثم افترقنا على ان يتصل هو بي حين يكون الجواب لديه، بعد ان يحصل على تصريح عبور للضفة الشرقية واستكمال تدريبه هناك ليقوم بتدريبنا بعد ذلك على الاسلحة المختلفة وخاصة المواد المتفجرة بعد عودته، وزودته برقم الهاتف الذي يستطيع بواسطته الاتصال بي .

كانت الايام تمر وأنا انتظر ان يتصل " أبو سمير " بي، وكلما كان الوقت يطول، كنت افقد ثقتي به واتفتت غيظا لهذا البطء في سير الامور، حتى رحت أفكر في نهاية الامر ان المنظمة غير جادة في العمل، وغير مخلصة لما يلقى على عاتق قادتها من مسؤولين، بعد ان كنت اتصور ان القيادة سترحب بمثل تلك المجموعة التي انوي تشكيلها، فتعمل كل ما في وسعها لتدنيها وامدادها بكل الامكانيات . ومضى على انتظاري هذا ما يقارب الثلاثة اشهر، لم احاول الاتصال بـ " ابو سمير " خلالها مطلقا، ولكنني كنت التقي بـ " ابو مصطفي " من حين إلى آخر فأسأله عن تطور الامور، فيرد علي ان لابد من الانتظار حتى ترتب الامور بشكلها الصحيح تفاديا لوقوع أي خطأ قد نندم عليه، كما وكان يشرح لي ما تواجهه المنظمة من عقبات وظروف قاسية هى الاخرى .

Scanned by CamScanner

في احد الايام من اواخر كانون الثاني من عام ١٩٦٨، اتصل بي " ابو سمير " هاتفيا، ولم اكن موجودا، فأبقى لي خبرا يقول " ان عمتك مريضة جدا، الرجاء ان تسرع لرؤيتها، والا فاتك لن تجدها اذا تأخرت " . فعرفت ان ثمة خبرا مهما، وعلي ان اسافر إلى نابلس فورا فسافرت مساء ذلك اليوم نفسه، وكان يوم خميس، فوجدت " ابو سمير " و " ابو مصطفى " في انتظاري، فاخبرني " ابو سمير " ان القيادة وافقت على عضويتي في المنظمة، وانها وافقت وستوافق على كل طلباتي بعد ان تدارسوا برنامج الاعمال الذي قدمته لهم، وان " ابو عمار " يطلب مني تزويده باسم الشخص الذي يستطيع نقل الاسلحة لي عن طريق البحر وعنوانه، وكل ما اعرفه عنه من تفاصيل، واسماء اعضاء مجموعتي وكل التفاصيل عنهم مع صورهم وانه يطلب مني التحلي بالصبر للسير البطيئ في العمل لما تجابهه المقاومة الفلسطينية من مشاكل جما في الاردن وغيره من البلاد العربية اولا ولكي لا نحترق قبل ان نفعل شيئا ثانيا تقديرا من الثورة للدور الكبير والفعال الذي قد يلعبه العرب في إسرائيل في دفع الثورة الفلسطينية والمقاومة الفعلية لتمكنهم من ارض المعركة ومعرفتهم لطبيعة

Scanned by CamScanner

العدو . فزودته بجميع التفاصيل عن قاسم " ابو خضرا " في لبنان وكيف يهتدون اليه، وامتنعت عن تزويده باسماء من انوي تجنيدهم حتى اسمع بنفسي موافقة القيادة على تنظيمي وصدق الراديو مباشرة، فراح يؤكد لى ان تنظيمى قد تم فعلا وان رقم مجموعتى هو ١/٧٧٨ واننى ساسمع ذلك خلال الأسبوع من اذاعة فتح مرة باسم "حاج صلاح " ومرة برقم ١/٧٧٨، ولا داعى لتشككى بصحة ما يقوله، فزودته بكل التفاصيل عن فتح الله ورامز خليفة وعبد حزبوز، ثم افترقنا على ان التقلى به يوم الخميس القادم واسلمه صور اعضاء المجموعة .

عدت إلى عكا في منتهى السعادة،واتصلت بفتح الله ورامز خليفة وعبد حزبوز واطلعتهم على ما وصلت اليه من الانضمام إلى منظمة فتح وأبلغتهم رقم المجموعة واسمها التنظيمى وكان ذلك اكثر مما يستوعبه خيالهم، اذلم احدثهم من قبل عن اتصالاتى الجادة في هذا الموضوع، وراح كل منهم ينظر في عينى الآخر غير مصدقين، فقطعت عليهم حيرتهم طالبا اليهم ان يقدموا لى صورهم، وان يستعدوا للسفر معى إلى نابلس في الاسبوع القادم لاداء القسم امام "ابو سمير "، فهبو إلى جميعهم يعانقوننى، ثم جلسنا نبحث سوية امكانيات العمل، وامكانية تسلم الأسلحة عن طريق البحر .

فوجئت يوم الثلاثاء من نفس الأسبوع بشاكر اخي "ابو سمير "يزورنى في بيتى في نهاريا، وكنت قد تعرفت عليه من قبل، ولكنه لم يكن يعرف عن امر اتصالى باخيه وماهيته، وكان برفقته سائق سيارة تاكسى من نابلس - عرفت في المستقبل انه كان احد اعضاء الجبهة الشعبية بعد ان اعتقل اثر عملية التفجير في مقصف الجامعة العربية - وفوجئت فعلا حين اختلى بى شاكر يطلب منى ان اسلمه "الغوض" الذى اتفقت عليه مع " ابو سمير " لأن ثمة تطورات مفاجئة حصلت تقتضى ان اسلمه " الغرض " في نفس اليوم، وكان يعنى في ذلك صور افراد المجموعة، و خشيت ان يكون شاكر يعرف عن امر علاقتى بأخيه، فسالته اذا ما كان " ابو سمير "قد اطلعه على ماهية الشيء الذى ساسلمه اياه، فاجاب بالنفى وانه مجرد رسول منه الي فقط،

Scanned by CamScanner

فوضت الصور مغلف مغلق و سلمته اياه، على ان يخبره اننى ساكون عنده يوم الجمعة القادم .

سافرت يوم الجمعة مع فتح الله و رامز و عبد حزبوز إلى نابلس، وكانوا كلهم حتى تلك اللحظة حذرين إلى ابعد الحدود من امر التنظيم، الا انني كنت أطمئنهم دائما، بان اتصالنا سيكون مع القيادة مباشرة، ولن يكون اى اهمال او خطأ يعرضنا للخطر، وخاصة بعد ان سمعت قبول انضمامى إلى المنظمة من اذاعة فتح حسب الرقم الذى أعطى للمجموعة . وكان حذرهم و تخوفهم نابعا من القاء القبض على بعض المجموعات الفدائية في الضفة الغربية و الإشاعات التى كانت تطلق اثر ذلك من ان هناك خطأ في طريقة التنظيم المتبعة في الضفة الغربية مما يؤدى إلى كشف المجموعات الفدائية قبل ان تبدأ العمل او ان من يقبض عليهم يعترفون بسعة وانهم يعرفون اكثر مما ينبغي للفدائى ان يعرف ومن ان سلطات الاحتلال استطاعت ان تبث عناصرها بين المجموعات الفدائية .

اجتمعنا ب " أبو سمير " في بيته و أدينا جميعنا امامه و امام " أبو مصطفى " يمين الولاء للثورة الفلسطينية و لمنظمة فتح، وكانت تلك اللحظة من اروع لحظات حياتنا . انتقلنا بعدها إلى موضوع الامداد عن طريق البحر، واتفقنا بارشاد عبد حزبوز وتخطيطه لانه اخبر البحارين في عكا وامهرهم، ان يكون المكان الذى يتوجب على من سيقوم بعملية نقل المواد يلقيها في منطقة "السمسم " قبالة نهاريا، وزودناه بتخطيط لجميع الجزر الصغيرة الموجودة في البحر، من راس الناقورة حتى نهاريا، وعينا له مكان جزيرة السمسم بالضبط، كما وزودناه بجميع التفاصيل عن "قاصم " " أبو خضرا " وعرفت من تحرياتي انه يقيم مع عائلته في مدينة صيدا مع زورقه الآلى الذى خرج به من عكا قبل اعوام، وعليهم ان يبحثو عنه و العثور عليه باى ثمن، لأنهم يستطيعون الاعتماد عليه في هذه المهمة، لصلابة شخصيته كما اثبتها في اعتقاله و اتهامه بالتجسس لصالح مصر، اذ لم يعترف بشيء خلال عام كامل من التعذيب الرهيب في التحقيق معه، رغم اعتراف معظم رفاقه في التهمة

Scanned by CamScanner

عليه، لأنه أشهر صياد ممن يعرون هذه الجزر ومكان السمسم من بين صيادي عكا جميعا .. واشترطنا عليهم ان لا يعلم اية تفاصيل عن هويتنا ولا اين نقيم، واقترحنا على " أبو سمير " ان يكون عمل " قاسم ابو خضرا " على اساس تنظيمه في فتح وان يعاملوه على اساس الدفع له عن كل حمولة ينقلها، بل عليهم ان يكفلوا له ولعائلته حياة اقتصادية كريمة لان وضعه المادى سيء للغاية وقد اصبح متقدما في السن، وكان ذلك راى عبد حزبوز وفتح الله لانهما عملا في البحر ويعرفانه جيدا وكان تخوفهما اذا ما عومل على اساس الاستئجار للحمولة الواحدة ان يسلك معهم مسلك البحار في المعاملة، من حيث كمية الحمولة التى يستطيع نقلها من ناحية، ومراوغة مرافقيه في الطريق فلا يمكنهم من التعرف على الطريق كي يضمن لنفسه اطول مدة من العمل والتكسب لانه في حالة مادية سيئة، والخسارة في كلا الحالين اكبر من اى مبلغ من المال قد تخصصه له المنظمة وتعرض استمرار تزويدنا بالاسلحة للخطر، أما انا ورمز خليفة فقد اقترحنا ان يكون امر حماية القارب ومسؤولية العملية منوطة بمرافقة من ذوى الخبرة القتالية المحضة لاننا نعرفه ايضا وكنا قد عملنا معه في البحر، ونعرف انه يثق بنفسه بشكل مطلق ولديه جرأة لا تعرف الحدود مما قد يجعله يسيء تقدير الموقف فيما لو اصطدم بدورية ويعمد إلى المراوغة البحرية دون ان يمكن مرافقيه من التصرف مما يفقده ذمام المبادرة وينتهى به الامر إلى كارثة. فوافنا عبد حزبوز على ذلك وعلق قائلا انه لو كان من واضعى استراتيجية حرب العصابات لكان هذا اول قانون يضعه في تعامل الثورة مع أي بحار لانه هو نفسه بحار ويعرف ان كل بحار مجرب لا يحتمل مشاركته القيادة فوق مركبه ككل ذى عرش. ثم اتفقنا على كيفية العمل في امدادنا عن طريق البحر، بحيث يفرغ حمولته إلى جانب " السمسم " وان تكون الحمولة مشدودة جميعها إلى خيط متين، بطرفه قطعة من الخشب تطفو على سطح الماء، كي لا نبحث عن مكان وجودها اذ قد يبعدها التيار قليلا عن مكانها الذى افرغت فيه، ولتسهل علينا قطر الحمولة إلى زرقنا وجرها إلى الشاطىء وهى في الماء، وبهذا نضمن عدم كشفنا بوسطة المرصد

Scanned by CamScanner

البحرى في راس الناقورة، أو زوارق الطوربيد في البحر، وكنت قد قمت وعبد حزبوز بتجربة عملية لذلك من مرصد السياحة المنصوب في راس الناقورة وبالمنظار العادى من فوق حسكة في عرض البحر . اما عن طريقة معرفتنا بوصول الحمولة فبواسطة الاذاعة، شريطة ان يذاع البيان عند وصول الحمولة وإرسالها كالمخطط، كي لا يحدث اى التباس، وان تكون صيغة البيان بذكر رقم المجموعة وكلمة " السمسم " فقط .

قام بعد ذلك " ابو سمير " بتدريبنا على استعمال أقلام التوقيت للعبوءات، والتفجير بواسطة التيار الكهربائي، وكان ذلك كله بشكل نظري لعدم وجود أي من المواد المتفجرة لديه، أو اقلام التوقيت حتى ولا كبسولة واحدة، ثم وعدنا بتزويدنا بالمواد المتفجرة في اقرب فرصة، وما علينا الا ان نتذرع بالصبر، ثم افترقنا على ان نعود على مرات متقطعة لاتمام تدريبنا، في الوقت الذي يتم فيه هو تدريبه في الضفة الشرقية . ويعمل على ترتيب امر تزويدنا بالمواد المتفجرة وكل الاسلحة اللازمة بعملنا، بحيث نختزن كمية كبرة منها في البداية، ثم نقوم بالعمل . وقد عبرت له عن استيائى الشديد لبدء العمل، وعن عدم رضاي عن الكل الذي تسير عليه الامور . عدنا إلى عكا ورحنا نتدارس امكانية العمل، والاهداف التي علينا ضربها، وخاصة اول عملية يتوجب علينا القيام بها بعد توفر المواد المتفجرة لدينا، ووقع اختيار الجميع على مصافى البترول في حيفا، لتكون ردا على قصف المدفعية الإسرائيلية وطيرانها لمصافي البترول في السويس، ولكي تحدث حالة من الذهول والارتباك في اسرائيل اذ لا يمكن لها إخفاء نتائج العملية بل وستكون منطقة مفتوحة لوسائل الإعلام العالمية والرأي العام الإسرائيلي من ناحية ولنخلق عند العرب في اسرائيل نوعا من التوجه الجدي نحو العمل الفدائى، والالتحام بالثورة الفلسطينية بحيث يروا النيران بام أعينهم تشتعل في مصافي البترول التي لم تستطع اية طائرة عربية الوصول اليها

Scanned by CamScanner

وقصفها واشعال النيران فيها بينما تصل اليها يد المقاومة الفلسطينية رغم كل ما يعترضها ويعوق انطلاقتها . وكان ذلك احد الاهداف التي ضمنتـــها برنامج العمل الذي قدمته للقيادة .

Scanned by CamScanner

كان الوقت يمر دون اي تقدم في العمل . وكنا قد أتممنا تدريبنـــا، دون ان نتسلم اية كمية من المواد المتفجرة تمكننا من العمـــل. فبـــدأت ورفاقي نفقد ثقتنا بنجاعة العمل مع منظية فتح، كما وبدات أفقـــد ثقتـــي بإخلاص قادتها في العمل، اذ مر ما يقارب الثلاثة عشر شهرا منذ اتصالي الاول دون ان نتلقى حتى ولا قلم توقيت واحد، وكنت اطلع " ابو سمير " و" أبو مصطفى " على رأيي هذا بصراحة، بل وهددت بالانسحاب ومجموعتـــي من عضويتنا في منظمة فتح، إلا ان " ابو سمير " كان يدافع في كل مـــرة عن موقف القيادة، مدعيا انها تبذل كل ما في وسعها لترتيب تزويدنا بمـــا نحتاجه للعمل عن طريق البحر وبكميات كبيرة لتسهل علينا العمل دون ان نعرض انفسنا للخطر في نقل المواد المتفجرة عن طريق الضفة الغربيـــة، وان الامور تسير سيرا حسنا، اذ استطاعوا العثور على " قاسم ابو خضـــرا " واتصلوا به، إلا انهم يحتاجون لبعض الوقت، وكان " ابو مصطفى " ينضـــم إلى في الرأي ولا يخفي خيبة امله ومرارته من الفشل في سير الأمور .

Scanned by CamScanner

اما انا فلم اقتنع بهذا التعليل. وبدالت افكر فعلا في البحث عن منظمة اخرى، تزودنى بالمواد المتفجرة فورا، في الوقت الذي سيطر فيه الشك والخوف على أصدقائي من نتائج هذه الفترة الطويلة التى مرت على تنظيمنا دون ان نعمل شيئا، وخاصة بعد ان كشفت الاحداث عن عدم المسؤولية والصلابة الكافيين لدى المسؤولين عن تنظيم الخلايا الفدائية في الضفة الغربية، مما كان . يؤدي إلى اعترافهم دون مبرر عن جماعاتهم سواء من عمل منهم او من لم يعمل منذ الايام الاولى لاعتقالهم بما فيهم مجموعة الطيرة الفدائية ومجموعة الجامعة العبرية من العرب في اسرائيل، مما جعل اصدقائي يلقون اللوم علي لوضع ثقتي برجال عديمي المسؤولية والحيلة، وراحوا يفكرون في مغادرة البلاد لان مجرد القاء القبض عليهم وسجنهم دون ان يعملوا شيئا كان كافيا لان يقتلهم، وقد وصل بهم الحال من اليأس ان طلبوا مني الحصول لهم على مسدسات فقط للقيام بعمليات اغتيال للضباط الإسرائيلي والشخصيات الإسرائيلية، وهدد رامز خليفة انه اذا استمر الوضع على هذا الحال فانه سيكتفي بسكينة فقط . ولكننى كنت اطمئنهم دائما وأبعث في نفوسهم الامل باستلام ما نحتاج اليه للعمل بسرعة، مما يكفينا لنعمل سنة كاملة .. بينما رحت في الحقيقة اكثر من سفراتى إلى قطاع غزة للبحث عن رجال أثق بهم ممن ينتمون إلى اي منظمة غير منظمة فتح، إلا انني لم أنجح في ذلك، وكنت قد قررت اغتيال " ابو سمير " و " ابو مصطفى " في حالة انتمائي إلى منظمة اخرى، لانني كنت اشارك اصدقائى الخوف من انكشاف امرنا اذا ما بقيت الامور تجري بنفس الشكل الذي كانت تجري عليه .

في هذه الفترة و في ذروة التفكير والبحث عن امكانية العمل، مررت بعبد حزبوز في الميناء، فوجدته منهمكا في تنظيفه مركبه " رمسيس "، فوقفت انظر اليه دون ان ينتبه إلى وجودى وكأنه كان يفكر في

Scanned by CamScanner

موضوع بلهيه ـ ـا يدور حوله، فأشفقت عليه وأشفقت على نفسي وعلى رامز خليفة وفتح الله وشعرت بدوامة من العدم والخيبة تبتلعني لتلقيني في اعماق البحر، وتراءت لى عيون كل من أعرفهم من اليهود في عكا وغيرها تحيطني وتنظر إلى ساخرة وأنهم يقولون لى " هل حقا اردت انت وهؤلاء الثلاثة ان تفعل داخل إسرائيل ما لم تفعله الدول العربية كلها .. هل اردت ان تكون فدائيا حقا، يا لك من غبي حقا "، وقطع عبد حزبوز علي أفكاري مناديا " إيش يا ريس " فأجبت أن لا شئ مجرد انى وددت رؤيته، فدعانى إلى المركب لكبى نبحر جولة في البحر، فصعدت المركب معه دون ان اتكلم، فأدار محرك المركب وانطلق شاقا عباب الماء قائلا " المركب جاهز يا ريس وأستطيع الوصول به شواطئ فرنسا "، فقلت بمرارة " هل ينست انت الآخر يا عبد ؟، فرد ضاحكا بسخرية " البحار لا ييأس يا ريس ولكنه لا يرضى لنفسه ان يكون خروفا يساق إلى المذبح، دانت اعرف الناس بي " . فاجبته غاضبا " وهل تتهمني ؟ " فرد بهدوء وتحبب " لا تكن طفلا .. انت تعرف انني اسير معك إلى الموت دون تردد، ثم صمتنا بينما راح عبد يوجه المركب بصمت هو الآخر، وفجاة قال وبلهجة قاطعة " اسمع يا فوزي لماذا لا نقوم بثورتنا وحدنا دون الانتماء الي اية منظمة، وحين نحترق فلنذهب بالف داهية، المهم ان نعمل . فاجبيه ان الثورة لا تجزأ فرد انه لا يعنى ذلك وانما يعنى ان نجد المخرج وحدنا ونبدأ بالعمل دون ان ننتظر المواد المتفجرة من الخارج، فاعتدلت في جلستي وعرفت ان لا بد وان فكرة مما تراوده، وكنت احترم فيه تفكيره وتمحيصه الأشياء، فسالته بهدوء " كيف ؟ " فاجاب " العثور على مصدر آخر للأسلحة والمواد المتفجرة من داخل اسرائيل، كالقيام بعملية تسلل إلى احد المعسكرات ونهب كمية كبيرة من مخازنه، والعمل على انفراد، دون ان ننتمي لاي من المنظمات الفلسطينية، ما دام العمل نفسه هو الهدف، وسواء اذيع نبأ ما نقوم به من عمليات او

Scanned by CamScanner

لم يذع "، فبدت لي الفكرة معقولة ومنطقية وان لنا القدرة على ذلك، ووددت ان اعرف كيف وصل إلى ذلك فأجاب ان اخوين شابين من قرية دنون استطاعا ان ينهبا مخزنا كاملا للذخيرة من احد الكيبوتسات وقد اعتقلتهما الشرطة إلا انهما لم يعترفا ولم تعثر الشرطة على الاسلحة، فوعدته ان نفكر في الموضوع سوية . وقد لمعت في ذهني فكرة في الحال رأيت فيها المفتاح لحل المشكلة، اذ كنت قد تعرفت في وقت سابق على احد ابناء عشيرة الغريفات يسكن في عكا ويلتحق بالجيش الاسرائيلي، وكان قد حصل على رتبة شاويش فبنى عمله على الجبهة السورية ثم انتقل إلى الجبهة الشمالية .

بدأت أعمل على توثيق علاقتي بمحمد غريفات، ممتحنا عنصره القومي، وموقفه الشعوري والمبدني من المقاومة الفلسطينية، واستعداده للعمل، رغم ما ينطوي عليه ذلك من اخطار . وبعد التجربة تحققت من انه ينطوي على رصيد هائل من الشعور الوطني الاصيل والقومية المشحونة بالكراهية للكيان الاسرائيلي، وكان كلما تظاهرت بالحمل امامه على المنظمات الفلسطينية، والطعن بها، يثور ويتهمني بالانحلال القومي وعدم المبالاة بالقضية الفلسطينية، وفي احد الايام وفي سورة غضبه مني قال لي، انه لا يلتحق بالجيش الإسرائيلي إلا لما تستفيده المقاومة الفلسطينية من وجوده فيه. ففاجأني ذلك منه، وظننت لاول وهلة انه ربما يكون منظما في أحدى المنظمات، فسألته ساخرا ان يفسر ذلك لي، فراح يشرح لي كيف انه حين يكون في كمين ليلي . ينبه الفدائيين لوجود الكمين بشتى الطرق غير المباشرة، كي يجنبهم الوقوع في شركه، وكيف انه في حال اشتباك فرقته بمجموعة فدائية، يوجه جنوده في المعركة لموقف دفاعي فقط لينسحب بهم بعدها، بينما يطلق النار هو من رشاشه الثقيل في الهواء، رغم ما ينطوي عليه ذلك من خطر عليه . ثم صمت قليلا وتابع حديثه بمرارة قائلا، انه

Scanned by CamScanner

لولا ارتباطه بالزواج وبطفليه لما كان يتردد لحظة في الفرار من الجيش ببزته العسكرية، بعد ان يجبر جميع أفراد فرقته على السير أمامه ليسلمهم للفدائيين الفلسطينيين وينضم إلى صفوفهم والعمل إلى جانبهم . والواقع انني دهشت لهذا التصريح الخطر منه امامي ولهذه الثقة التي أحظى بها عنده . إلا انني علقت على ما قاله انه لا يتعدى ان يكون تفكيرا صبيانيا وخياليا مما أغاظه اكثر، وهنا قررت امتحانه عمليا ولم يعد أمامي فرصة للتراجع، فأخرجت مسدسي، وعرضته عليه سائلا رأيه فيه، فنظر الي بدهشة وهو يأخذ المسدس بيده، ثم سالني من اين لي هذا، فاخبرته ان هذا المسدس لم يفارقني من عشر سنين وكان هذا صحيحا، وطلبت منه ان يبقيه عنده اذا ما كان مستعدا كذلك، كي ينظفه . فاقترح علي " ان أبقيه عنده دائما لآخذه عند الحاجة فقط ثم ارده، لانه سيكون في مأمن عنده، وسألني اذا ما كنت في حاجة إلى ذخيرة، فأجبت ضاحكا " وهو هذا سؤال "، وعقبت انني سأكون بالفعل شاكرا له لو استطاع امدادي بذخيرة له، فرد ضاحكا، انه يستطيع نهب معسكر بأكمله ومع جنوده اذا ما كنت في حاجة اليه . وهذا ما كنت انتظر سماعه منه طيلة الوقت، وقلت في نفسي اما انه يشك بي لخبرته العسكرية، او ان لديه حاسة سادسة تقرأ ما يدور في فكري . فأجبته ربما نحتاج لذلك ذات يوم، ومن يدري، والمسألة مسألة رجولة، فقال مبتسما وهو يودعني " تذكر أنني قلت معسكرا كاملا، والايام بيننا " . ثم تركت المسدس عنده وخرجت وأنا أفكر في جملته الاخيرة، وما هو مدى استعداده للقيام بعمل ذلك، في حالة فشلنا التام مع منظمة فتح، وما هي إمكانية تجنيده للمنظمة وأي دور قد يساهم به انضمامه لنا في حالة دخول عملنا مرحلة الجد مع فتح، لاسيما وقد وعدني "ابو سمير" بالحصول على المواد المتفجرة بأي ثمن ريثما نتسلم اول حمولة عن طريق البحر .

Scanned by CamScanner

وفي نهاية ذلك الأسبوع سافرت إلى نابلس، واتصلت بـ ابو سمير الذي بادرني ما ان رآني بقوله، انه استطاع - ان يحصل اخيرا على خمس جالونات من المواد المتفجرة أي ما يقارب الخمسين كيلو غراما، إلا انه لم يستطع الحصول حتى ولا على قلم توقيت واحد، وان لا بد لنا من القيام بعملية ما كي نكسب ثقة القيادة، فربما ساعد ذلك على اسراعهم في تزويدنا بالمواد المتفجرة عن طريق البحر كما اتفقنا، ورغم ما خالطني من شعور بالفرح العميق لحصوله على المواد المتفجرة، إلا انني استأت من هذه الطريقة التي تتبعها معنا القيادة، واعترضت على اقتراحه بأن نقوم بعملية مستعجلة لنثبت اخلاصنا للقيادة، لان ذلك يتناقض مع تخطيطنا الأساسي للعمل بأن نحصل على اكبر كمية ممكنة من المواد المتفجرة وأقلام التوقيت أولا، ومن ثم نبدأ العمل بشكل منتظم ومتواتر وحسب برنامج موضوع . إلا انه الح علي في ذلك، فاخبرته انني سأنقل الخمس جالونات معي في نفس اليوم وسأحتفظ بها ريثما يزودني بأقلام التوقيت، وسأفكر خلال هذه الفترة اذا ما كنت ساقوم بعملية ما ام لا . وبينما كنا في الحديث اذ برجل يدخل علينا وهو يحمل جالونا اصفر اللون، فقدمه لى باسم " عادل " على انه احد اصدقائنا، وكنت قد استأت لاطلاع شخص آخر على هويتي وقلت لـ " ابو سمير " أن يسجل بانها غلطة إخرى يرتكبها . وحين رأيت الجالون لم أوافق على نقله لانه كان اصليا، ويثير الشك من اول نظرة، وطلبت اليه ان ينقل المواد المتفجرة كلها إلى جالونات من النوع الذي يستعمل لزيت السيارات في اسرائيل، على أن اعود في الأسبوع القادم لنقلها، وقبل ان نفترق استوضحت منه عن علاقته بـ " عادل " وعن دوره في المنظمة طالبا منه ان يغلق حلقة من يعرفني عليهم عنده، وأنى لا أوافق بأي شكل من الأشكال ان يطلعه على هويات باقي أفراد المجموعة، ولا يعرف عناصر اخرى من افراد مجموعته ٧٧٨ علينا، ومن ثم سالته عن علاقة اخيه

Scanned by CamScanner

شاكر به، واذا ما كان منظما أم لا، فأجابني بأن لا علاقة تنظيمية بينا وبين شاكر، وانه لا يعرف عن نشاطه الفدائي شيئا، كما انه لا يثق به ولم استطع عندها إخفاء دهشتي واستيائي مما قاله، لان " شاكر " كان قد صرح لي في أحدى زياراته انه يعرف عن أخيه كل شئ، وبعض الشئ عن علاقتي به، فأطلعت " أبو سمير " على ذلك، ورحت استجوبه اذا ما كان هناك من سرب هذه المعلومات " لشاكر " من بين عناصر مجموعته، فغضب واستدعى " شاكرا " الينا فورا بعد ان ذهب عادل، وراح يستجوبه عما يعرف عنه وكيف عرف ذلك، وكان شاكر صريحا جدا معه، مما اكد له انه يعرف عنه الكثير بل وادق الاشياء، وانه يعرف عن علاقتي به قبل ان يطلب منه السفر الي، لاحضار صور أفراد المجموعة، اما بالحس او من بعض افراد مجموعته . فما كان من " ابو سمير " إلا ان أحضر القرآن وطلب اليه ان يقسم يمين الولاء أمامنا، على كتمان السر حتى ولو كلفه ذلك حياته، ففعل . ثم أقسم يمين الولاء للثورة الفلسطينية ولمنظمة فتح، بعد ان اعرب عن استعداده للانضمام إلينا، وهكذا أصبح شاكر احد اعضاء منظمة فتح، وواحدا من عناصر مجموعة ٧٧٨، وحلقة من حلقات اتصالنا في المستقبل .. وقبل ان أودعهما، شددت على يد شاكر و قلت له انني أريد ان اكون صريحا معه، ولذلك عليه ان يعرف ان اي كلمة تصدر عنه قد تعرضنا للخطر حتى ولو عن حسن نية قد تؤدي لاغتياله .. فشد على يدي ونظر في عيني نظرة ثابتة ثم ابتسم دون ان يعقب بكلمة واحدة . اطلعت باقي افراد المجموعة على آخر التطورات وخاصة بالنسبة لموعد تسلمنا أول كمية من المواد المتفجرة، وأعلمتهم انني سأسافر في الأسبوع القادم لإحضارها وحدي، فارتسمت الابتسامات العريضة على ثغورهم وكأن جبلا قد أسقط عن كاهلهم وخاصة عبد حزبوز الذي هب واقفا ثم اخذ رأسي وقبله قائلا " الحمد لله على السلامة " . واتفقنا على ما سيقوله كل واحد

Scanned by CamScanner

منا، اذا ما ضبطت، واستدعوا للتحقيق لعلاقتهم بي، وانهم مهما قيل لهم من اعترافات على لساني او لسان أي ممن لنا اتصال بهم، ان يصروا على إنكار معرفة اي شئ عني، أما التفسير لدي ستكون، انني أريد استعمالها لصيد السمك، فاذا ما سئلوا إذا ما كنت استعمل الديناميت لصيد الأسماك في البحر في بعض الأحيان، ان يجيبوا بالإيجاب . كان الاتفاق قد تم بيني وبين " أبو سمير " على ان القاه في بيته يوم السبت ساعات بعد الظهر، إلا أنني قدمت سفري بيوم، وسافرت إلى نابلس صباح يوم الجمعة الباكر، فوصلت المدينة في الساعة السادسة صباحا، وأوقفت سيارتي " السوسيتا "، في الحي الذي يسكنه، وكنت قد قررت اتباع اقصى درجات الحذر ذلك اليوم كي لا أفاجأ بأي طارئ، فاستأجرت تاكسي اجرة، وطلبت إلى السائق ان يطوف بي جميع انحاء نابلس متعللا بأنني أزور المدينة لأول مرة، وأنني أريد التعرف عليها . استمرت عملية الطواف هذه اكثر من ساعتين كاملتين، وقد تعمدت المرور خلالها عدة مرات بمنزل " ابو سمير "، مستهدفا استكشاف المنطقة اذا ما كانت هناك اية حركة غريبة، وكانت هذه اكثر المرات التي أبدي فيها مثل هذا الحذر، ثم نزلت من السيارة، واستأجرت عربة تاكسي أخري، أقلتني إلى مكان قريب من بيت " ابو سمير "، وبعد ان اطمأنيت لخلو المنطقة من اية حركة مشبوهة قصدت بيته ماشيا . فاجأته في البيت، واخبرته انني جئت اليوم لنقل المواد المتفجرة بدلا من الغد، فقال ان كل شئ جاهز، وإنني أستطيع تسلمها وسيرافقني شاكر الذي كان قد انضم الينا، ليسلمني المواد لان عادلا غير موجود .

كاد شاكر يغمى عليه حين رآني اخرج الجالونات من الشنطة الكبيرة التي كان قد وضعها فيها، واضعها بشكل علني داخل السيارة، فقلت له قبل أن يبدي اية ملاحظة، ان يدعني أتصرف حسب ما ارتئيه، وما ارتئيه ان أتصرف كما لو كنت أتصرف داخل حيفا ومعي خمس جالونات من زيت

Scanned by CamScanner

السيارات، ومن ينقل في سيارته جالونات من زيت السيارات لا يضعها داخل شنطة كبيرة، أما هو فما علته إلا أن يكون مطمئنا حتى ولو حدثت أسوا الاحتمالات . تركت شاكرا في المكان الذي تسلمت فيه المتفجرات خارج المدينة، ولم أعرف حينها كيف وصلنا إليه، لان شاكرا كان يرشدني كيف أتوجه طيلة الطريق . وقبل ان أودعه طلبت إليه أن يبلغ " ابو سمير " أن يسرع في الحصول على أقلام توقيت كي نباشر العمل كما يريد . توقفت عند مخرج نابلس، ورحت انتظر وقوف اي جندي ينتظر سيارة عابرة تقله فأتصيده، وكانت هذه هي أضمن وسيلة لتجاوز كل الحواجز العسكرية في الطريق ونقاط التفتيش . ولم يطل انتظاري، فسرعان ما وقف أحد الجنود على الرصيف يستوقف سيارة عابرة، فسارعت إلى السير، وما كاد يراني حتى راح يستوقفني، فتوقفت اسأله إلى اين يريد، فأجاب ان عليه الوصول إلى كيبوتس " أورنيم " بالقرب من حيفا ولا يهمه إلى اين اقله المهم أن أنقله خارج الضفة الغربية إلى اية نقطة داخل إسرائيل، فدعوته للصعود إلى جانبي، وأخبرته انني مسافر إلى عكا، وهكذا يستطيع الوصول معي حتى التشيك بوست " . وفي طريقي نقلت جنديين آخرين . وهكذا نقلت اول دفعة من الـ " تي.ن.تي. " لمجموعة رقم ٧٧٨ من عكا في سيارتي، وبحراسة ثلاثة من جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي، عبروا بي جميع الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش في طريقي، وحتى بيتي في نهاريا . وكنت قد هيأت مخبأ مناسبا للمواد المتفجرة التي أنوي اختزانها، في سقف البيت القرميدي فوضعتها فيه، وكان المكان عبارة عن غرفة واطية بها فتحات للتهوية في سقفها ومضاءة بالكهرباء ولها مدخل من الحديقة المحاطة بالأشجار لا تعرف حتى زوجتي عن وجوده اذ هيأت المكان في غياب زوجتي عند اهلي في عكا . ثم أخبرت جميع أفراد المجموعة بذلك، ولكننا لم نستطع عمل أي شئ لعدم وجود اقلام توقيت . بعد يومين ذهبت للسهر

Scanned by CamScanner

عند محمد غريفات، الذي عاد في نفس اليوم من الخدمة في عطلة اسبوعية، وكان يرافقني فتح الله وعبد حزبوز، فأخبرني انه أحضر لي كمية كافية من الذخيرة لمسدسي، الذي كان قد نظفه قبل سفره، وأطلعني على مكان المسدس والذخيرة في بيته، ثم سلمني مفتاح بيته كي استطيع اخذه في اية لحظة اكون في حاجة اليه، مما زاد من ثقتي به والتقرب إليه اكثر، حتى يحين الموعد المناسب لتجنيده . كان " ابو سمير " قد طلب مني في وقت سابق جمع بعض المعلومات عن القوات الإسرائيلية ومواقعها على طول نهر الاردن والهضبة السورية، فانتهزت الفرصة اثناء سهرنا عند محمد غريفات وسألته إذا ما كان مستعدا لمرافقتنا برحلة إلى الهضبة السورية لاننا لا نعرف المنطقة، ولان وجوده معنا قد يسهل علينا التعرف عليها جيدا، والتنقل في طرقها، كما سيجنبنا الأماكن غير الآمنة لمعرفته الجيدة للمنطقة، فتحمس للفكرة قائلا بانه سيطوفنا في الأماكن غير الآمنة ايضا وغير المسموحة، ثم اقترحت ان نتزود بخريطة من " بازغاز " لتسهل علينا التنقل . فضحك واقترح ان نترك امر الخريطة له شريطة ان يبقى الأمر سرا لأنها خريطة عسكرية، وعلى جانب كبير من الأهمية، وشريطة أن تبقى بحوزته وهو يرافقنا، وما علينا إلا ان ننتظر حتى يستطيع الحصول عليها دون ان ينتبه اليه احد من قيادة وحدته . فتعمدت عدم الاهتمام بما قاله مدعيا بأنني لا اعتقد بأفضلية الخريطة التي سيحضرها على خريطة " بازغاز "، فأجاب بانه واثق انها افضل، وأنني سأذهل حين أراها لما تتضمنه من أسرار عسكرية، فقلت ان لا مانع اذن من احضارها والاطلاع عليها، ووافقنا ان نؤجل الرحلة حتى يحضرها .

عدت إلى نابلس بعد اسبوعين، وذهبت من فوري إلى بيت " ابو سمير " فالتقيت هناك بشاكر الذي سرعان ما بادرني بخبر مغادرة اخيه " ابو سمير " إلى الضفة الشرقية، وأنه لن يعود، وقبل ان أفيق من هول

Scanned by CamScanner

الخبر، اتيته بخبر اسوا، وهو اعتقال السلطات لـ " ابو مصطفى " إلا انه طمأنني ان امر اعتقاله لا يمت لقضيتنا البتة، وأنه يثق به، وبصموده في التحقيق، وانه لن يتعرض لنا، حتى ولو كلفه ذلك حياته . وما كدت اصحو من هول الخبرين حتى رحت اكيل الشتائم لاخيه، ولم اعد أسيطر على أعصابي لهذه الخيانة، وكان شاكر ينظر الي بصمت ولم يحاول حتى تهدئتي وكانت هذه اول مرة يراني اخرج فيها عن طوري . وبعد ان هدأت، رحت ابحث مع شاكر الأسباب التي دفعت اخاه إلى الهرب، فرد علي باختصار وبصراحة انه أخبره قبل مغادرته أن يفعل ذلك ليكون حلقة الوصل لنا في الضفة الشرقية، ويعمل على تعجيل ارسال جميع المواد اللازمة لنا عن طريق البحر كما خططنا سابقا، وأن وجوده هناك سيسهل عليه تلبية طلباتنا، ثم عقب شاكر على ذلك بأنه غير مقتنع بهذا التعليل وانما يعتقد انه فعل ذلك لخوفه من القبض على مجموعتنا، ولخوفه من اعتراف " ابو مصطفى " عليه بعد اعتقاله . ثم اعرب عن استعداده ليحل محله إذا ما وافقنا على ذلك واعدا بأنه سيظل إلى جانبنا وينفذ كل طلباتنا حتى الموت بل وانه يرجونا ان نوافق، أما إذا كنا لا نوافق فعليه ان يرحل هو الآخر كي لا نخشى وجوده في الضفة الغربية وسيرغم عادل على الرحيل ايضا كي لا يبقى في الضفة الغربية من يعرف عن وجودنا غير " ابو مصطفى "، الذي لا خوف منه اطلاقا مهما كانت الظروف وقد يساعدنا وجوده بعد خروجه . من السجن اذا كنا في حاجة اليه او نعتبره غير موجود . وكنت وهو يتكلم وكانني بشبه غيبوبة ولا استطيع استيعاب ما حصل فقلت يائسا ولكن لماذا لم يخبرنى انه ينوي ذلك .. لماذا فعل ذلك ونحن في أحرج الاوقات " فرد شاكر بهدوء انه لا يريد ان يكون حاكما لغيره ومن ثم فان الثورة الفلسطينية بل أية ثورة لا تقف عند شخص واحد . ثم قام واتجه نحوي مادا لي يده قائلا " ثق بي يا فوزي وضع يدك في يدي فانني لن

Scanned by CamScanner

أخيب امل احد منكم .. لا بد وأن نستمر " فوضعت يدي بيده وضغطتها " حتى النصر "، فرد " حتى النصر " . وأخبرته أنني موافق باسم الجميع، وأنني سأضع مخططا لعملية ننفذها في الاسابيع القريبة، وبدون قلم توقيت، لنثبت للقيادة اننا نستطيع العمل في أسوأ الظروف ربما كان ذلك سببا يدفعهم إلى الاسراع في العمل من ناحيتهم .

عدت إلى عكا واجتمعت بباقي أفراد المجموعة، وتدارسنا قضية اعتقال "ابو مصطفى" وهرب " ابو سمير " إلى الضفة الشرقية، وطمأنتهم على انه لا يتهددنا اي خطر لاعتقال " ابو مصطفى " لان اعتقاله حدث لاتهامه بالانتماء إلى القوميين العرب سابقا، وانه قد مر على اعتقاله ما يقارب الاسبوعين، وهذا يعني ان لا خطر اعتراف علينا من ناحيته، ثم اطلاعهم على تسلم شاكر لمهمة " ابو سمير " بدلا منه، وتدارسنا امكانية استمرار العمل معه بعد خذلان اخيه لنا في أحرج الاوقات وقد حسبنا اننا سنبدأ العمل اخيرا، بعد ان انتظرنا أكثر من عام وعدة اشهر منذ ان اتصلت به لاول مرة، دون ان يزودنا بشئ . وقررنا ان نعطى شاكرا فرصة للعمل بعد ما بدر منه من تحمس وفعالية في العمل، كما وقررنا تعزيز موقفه عند القيادة، بتنفيذ عملية ما، بما لدينا من امكانيات، متنازلين بذلك عن خطتنا الأساسية في تخزين كمية كبيرة من المواد المتفجرة أولا، ومن ثم نبدأ العمل، ومتنازلين عن القيام بما خططناه لعملية تستهدف مصافى البترول في حيفا، ولانه لم يكن لدينا من امكانية غير القيام بعملية بواسطة التيار الكهربائي . وقع اختيارنا على ان تكون اول عملية في خط قطار الركاب السريع حيفا – تل ابيب، وهو القطار الذي يخرج من محطة حيفا في الساعة السادسة وخمس دقائق صباحا، بحيث يكون غاصا بالركاب، وخاصة قطار يوم الأحد، الذي يكون اكثر مسافريه من الجنود العائدين إلى قواعدهم بعد العطلة الاسبوعية، ولتكون عملية انتقام لقصف الطائرات الإسرائيلية

Scanned by CamScanner

للمدنيين الفلسطينيين في منطقة اربد، التي كانت قد وصلت إلى اعنف مراحلها . لضمان نجاحنا في هذه العملية، كان علينا ان نعمل بدقة وبدراسة وافية، فأخذت التخطيط لها على عاتقي، وشرعت بمراقبة حركة السير على خط القطار، وفقا للدليل السنوي الواقي لاوقات قطارات الركاب التى تعمل على الخط، والذي كنت قد حصلت عليه من مكتب الاستعلامات في محطة حيفا، ومن المشكلة كانت تحديد اوقات عبور قطارات الشحن التي تشغل الخط ليلا، والتي لم تدرج في الدليل السنوي، ولهذا كان علي ان أراقب الخط طول الليل كي اسجل في كل ليلة على مدار الاسبوع مواعيد قطارات الشحن، واذا ما كان هناك تغيير في مواعيدها، كما وقمت بتسجيل مواعيد التقاء قطاري الصباح، وفي اي نقطة يلتقي فيها قطار حيفا بقطار تل - أبيب، لاعين أفضل نقطة أضع فيها العبوءة، فوقع اختياري على منطقة كيبوتس حوتريم بالقرب من طيرة الكرمل، وان افضل وقت هو ليلة الاحد لخلو الخط من قطارات الشحن الليلية تماما . وبذلك نضمن مرور قطار الركاب السريع صباح الاحد، قبل اي قطار آخر، وكان اختياري لنقطة حوتريم، لضمان حرية العمل أولا، ولأن القطار يكون قد وصل اقصى سرعة له، وهذا يضمن نزوله عن الخط بعنف، وثالثا لضمان علنية نتائج العملية واستحالة اخفائها، لاحاطة مكان العملية بالأماكن المأهولة، فاستغرقت عملية الإستكشاف هذه ما يقارب الخمس عشر ليلة متتالية، وقد قمت خلال هذه الفترة باجراء تجارب لعملية التيار الكهربائي على الخط، وبواسطة كبسولة كنت أدفنها في الرمل، وكانت كل التجارب التي اجريتها ناجحة تماما . أما عبد حزبوز قام بإعداد العبوءة اللازمة من ثلاثة جالون، اي ما يقارب خمسة وعشرين كيلو غراما من المواد المتفجرة، في تنكة كبيرة في محددته الخاصة، ثم وضعنا مخططا واقيا للعملية كي نرسله للقيادة .. سافرت إلى نابلس واتصلت بشاكر وأطلعته على مخطط العملية مرفق بتقرير كي ينقله

Scanned by CamScanner

للقيادة، وكنت قد ضمنت تقريري، تحديدا لموعد العملية وذلك خلال اسبوع من يوم تسليم التقرير لشاكر، راجيا ان لا يذاع نبأ نجاح العملية إلا بعد ان يذاع مع إذاعة إسرائيل، وفي حالة اخفاء إسرائيل لنتائج العملية، فإني سأوافيهم بتقرير كامل عن نتائجها لإذاعته، شريطة ان لا يزاد حتى ولا كلمة واحدة عن الخسائر التي أذكرها . رحنا نخطط للقيام بالعملية ليلة الاحد، وكان كل شئ جاهزا، واتفقنا على ان يرافقني في هذه العملية عبد حزبوز، وان تنقل العبوءة في سيارتي، فاقودها انا، ويجلس عبد حزبوز إلى جانبي، وكنا قد استبعدنا قيام اية عملية عن طريق البحر وكنا نستطيع ان نفعل، وذلك احتياطا لضمان وصول الاسلحة وابعاد البحر عن الشبهات . إلا انني غيرت رأيي يوم السبت وخطر لي ان انقل العبوءة حتى حيفا في سيارة الشحن التي اعمل عليها لتوزيع المرطبات والمشروبات الروحية، ليكون نقلها حتى حيفا أضمن، وكان علينا في هذه الحالة ان نجد السائق ليقود سيارتي مع عبد حزبوز حتى حيفا، اذ لم يكن اي من افراد المجموعة حائزا على رخصة للسواقة غيري . ولم يعد أمامنا وقت لتدبر الأمور، فوقع اختياري على صهري يوسف ابو الخير، وقررت اشراكه في العملية دون ان يعرف شيئا، رغم معارضة باقي أفراد المجموعة، وكانت هذه اول مرة اخرج عن رأي الأخرين في اي قرار اتخذناه . حتى الان، اذ كنت اثق بيوسف ابو الخير إلى اقصى الحدود واعرف انه لا يخالفني في امر، وكان ذلك مساء السبت ٢٣-٥-١٩٦٩ .

عند المساء طلبت إلى يوسف ان يقود سيارتي الخاصة برفقة عبد حزبوز إلى حيفا، لانني في حاجة للسيارة هناك، ولانني مضطر لقيادة سيارة الشحن، فوافق على ذلك دون ان يسألني شيئا، وطلبت منه ان يقود بهدوء وان يراعي قوانين السير بدقة متناهية، وأن يبقى امامي طيلة الوقت، وهكذا تم نقل العبوءة إلى حيفا متخطين حاجزين للتفتيش في

Scanned by CamScanner

الطريق، وكانت الساعة عندها تقارب السابعة مساء . في حيفا نقلت العبوءة من سيارة الشحن إلى سيارتي الخاصة، ثم تفحصت مسدسي وباغات الذخيرة جيدا، وثبتها في باطن معطفي، والسكين في جيب بنطالي الخاص لذلك، وطلبت إلى يوسف ان يتابع سيره في اتجاه تل - ابيب، ومرة اخرى بهدوء مع مراعاة متناهية لقوانين السير، فجلست انا من الخلف والعبوءة تحت مقعدي، وعبد حزبوز إلى جانبه، إلا ان يوسف ما كاد يسير بنا مئات الأمتار حتى كان يرتكب اول مخالفة للسير، اذ لم يتوقف عند الضوء الاحمر في مفترق الطرق المؤدي إلى شارع تل ابيب، وما كدت أصيح به حتى كانت سيارة الشرطة تتبعنا، فكدت أحطم رأسه من الغضب، إلا انني سيطرت على أعصابي ورحت أراقب سيارة الشرطة من خلفنا، اذا ما كانت تتبعنا عمدا، حتى تستطيع ايقافنا، فطلبت اليه ان يخفف من سرعته، واضعا يدي على مسدسي وقد حررت امانه في انتظار اي طارئ، معطيا بذلك فرصة لسيارة الشرطة ان تتجاوزنا لامتحن اذا ما كان بنيتهم ايقافنا لتسجيل مخالفة لنا، وكنت قد قررت ان لا أسمح لهم بالعثور على العبوءة بأي ثمن، اذا ما اكتشفوا اننا عرب وقرروا تفتيشنا، إلا ان سيارة الشرطة لم تسبقنا ولم تعطنا اية اشارة للتوقف، فطلبت إلى يوسف ان يتوقف عند اول كشك نصادفه ليشتري لنا ما نشربه، كي اضع الشرطة في امتحان آخر، ونظرت إلى عبد حزبوز الذي كان قد ادرك ما اقصد، فنظر الي واضعا يده داخل معطفه، ففهمت انه على اهبة الاستعداد وان يده على مقبض سكينه . ما كاد يوسف يتوقف عند اول كشك، حتى توقفت سيارة الشرطة خلفنا تماما، فنزل يوسف واشرت إلى عبد حزبوز ان يبقى في مكانه قائلا له " حتى الموت "، وخاصة بعد ان نزل سائق سيارة الشرطة وتوجه هو الآخر نحو نفس الكشك، وما كاد يتخطى سيارتنا حتى تنفسنا الصعداء، ووثقنا من انه لم ينتبه للمخالفة التي ارتكبها يوسف، وان سيره

Scanned by CamScanner

خلفنا لم يكن سوى مجرد صدفة، وحين استأنفنا سيرنا، وضعت فوهة المسدس بظهر يوسف ابو الخير مهددا، ان اية مخالفة اخرى لقوانين السير ستكلفه حياته . فالتفت الي وهو يخرج عن طوره ليتساءل ما الخبر، فقاطعته ان لا سؤال البتة وما عليه إلا ان ينفذ ما آمره به وكانت هذه احدى المرات القلائل التي أتصرف فيها معه بمثل هذه القسوة والغلظة، فأدرك ان المسألة جدية للغاية فلم يجب ولم يحاول السؤال وظل صامتا طيلة الوقت .

قبل وصولنا كيبوتس حوتريم، طلبت منه ان يدخل في طريق جانبية، وعلى بعد ما يقارب الكيلومتر من الهدف توقفنا ونزلنا من السيارة، وكانت الساعة حوالي التاسعة ليلا، فحملت العبوءة واتجهنا ثلاثتنا نحو الهدف، والطريق مقفر تماما والليل حالك الظلام . وصلنا إلى هدفنا بسلام، ورحت احفر تحت الخط وعبد حزبوز يحرسني والمسدس في يده، وبعد ان فرغت من اعداد مكان للعبوءة تحت الخط أشرت إلى عبد حزبوز ان يناولني البطارية والاسلاك، وهنا فطن إلى انه نسى البطارية في السيارة، فطلب من يوسف ابو الخير الذي وقف يرقبنا مذهولا، ان يجري إلى السيارة بأقصى سرعته ويحضر البطارية من صندوق السيارة الامامي " وكان يوسف عداء جيدا . فسرعان ما كان يعود، وقبل ان يصلنا اضاء البطارية اليدوية التي كان يحملها ليهتدي إلى مكاننا، فصرخت به ان يلقيها ونحن ننبطح على الارض، وما ان وصل حتى اكتشفنا انه لم يفهم ما قصدته، فاحضر البطارية اليدوية بدلا من البطارية التي ننوي استعمالها في تفجير العبوءة، فاضطر إلى العودة مرة اخرى لاحضارها بعد ان شرحت له ما أقصد، وسرعان ما كان يعود وهو يحملها، وهنا انفجر غاضبا، وكان قد أدرك اخيرا ما يدور حوله، وراح يتذمر لاننا لم نطلعه منذ البداية على ما نحن بصدده، وان هذه هي الفرصة التي ينتظرها لكي يشارك في الثورة الفلسطينية، وعلينا ان

Scanned by CamScanner

نطلعه على سرنا، ونشركه معنا، فوعدته انني سأفعل ذلك عند عودتنا . كان كل شئ يجري على ما يرام، ولكنني ما كدت أفرغ من ايصال الأسلاك الكهربائية بالعبوءة من حول الخط الحديدي، حتى فاجأنا قطار شحن يقترب منا، وكنت مطمئنا تماما ان ليس هناك قطارات شحن تسي على الخط في تلك الليلة، لانني راقبت الخط خمسة عشر ليلة متتالية، فرحت اعمل بسرعة وهدوء على فك الاسلاك التي تطوق الخد وتوصل بين البطارية والكبسولة في العبوءة، بينما قفز عبد حزبوز ويوسف ابو الخير مبتعدين عن الخط بكل سرعتهما، بينما بقيت على الخط وحدي، وقبل ان يصلني القطار بحوالى خمس مئة مترا كنت قد نجحت في عزل الاسلاك عن الخد، وسارعت إلى الابتعاد عنه، منبطحا على الارض كي لا يراني سائق القطار في الضوء، وكنت واثقا من انه لن يراني ما لم أقع في دائرة الضوء، اذ كان الظلام حالكا جدا .

وما كاد القطار يبتعد حتى عدت إلى ايصال الاسلاك مرة اخرى، إلى ان ثبتها بالخط والكبسولة داخل العبوءة جيدا، سارعنا بعدها بالعودة إلى عكا بسلام.

لم أنم تلك الليلة في انتظار الصباح على احر من الجمر. وفى الساعة السادسة صباحا، كنت اقف بسيارتي بالقرب من خط القطار خارج مدينة حيفا بالقرب من وادي الجمال، رحت بعدها أرقب صوت الانفجار بعد ان مر بى قطار الركاب خارجا في الوقت المحدد تماما، والذي سيمر فوق العبوءة بعد سبع دقائق من خروجه، اي في الساعة السادسة واثنتي عشر دقيقة، حسب ما كنت اسجله في عمليات الاستكشاف . وكنت انظر إلى عقرب الدقائق يدور بفارغ الصبر، وكلما كان العقرب يقترب من الساعة المحددة كنت ارهف السمع اكثر، وقلبي يخفق بشدة، اذ كنت متعطشا لسماع انفجار اول عبوءة تضعها مجموعة رقم ٧٧٨، ولكن شيئا لم يحدث، وتجاوزت

Scanned by CamScanner

عقارب الساعة الدقيقة الثانية عشر بعد السادسة، ولم أسمع اي صوت لاي انفجار، فظننت في البداية انني لم اسمع صوته لبعد المكان والضجة من حولي، فرحت أراقب الحركة على خط القطار والشارع من . حولي، علني ارى اية رافعة تمر او اية سيارة اسعاف، إلا ان شيئا من ذلك لم يحدث ايضا، ولم ألحظ اية حركة غير عادية سوى حركة سيارات الشرطة تتجه نحو الهدف، فكدت أجن من الغيظ، ووجدتني اقود سيارتي بسرعة جنونية على شارع تل أبيب في أتجاه الهدف، فرأيت القطار عن بعد يقف قبيل الهدف بحوالى المئتي متر، وعشرات الناس ممن نزلوا من القطار، يحيطون بالخط، فأخذت منظاري ورحت أرقب الحركة حول الهدف، حيث كانت بضع سيارات للشرطة تقف هناك وعشرات من رجال الشرطة، وعربة قطار "تروله" تقف بعد الهدف بعدة امتار، فأدركت ان العبوءة لم تنفجر، وان رجال الاستكشاف قد اكتشفوا وجودها، ولا ادري كيف خرجت " تروله الاستكشاف " أمام القطار ذلك الصباح، مع انني راقبت الخط ليال عديدة حتى الصباح فلم أر فيها اية عربة استكشاف تمر على الخط قبل قطار الصباح قط . فعدت أدراجي، وانا اتفتت غيظا، اذ كنت واثقا ان فشل العملية ناتج عن فساد المواد المتفجرة وليس لخطأ ارتكبناه، لانني قمت بعدة تجارب فعلية للعملية قبل تنفيذها، اذ كنت اضع الكبسولة في كيس من الرمل اضغطه جيدا ثم أدفنه تحت خط القطار تماما كأنني اقوم بعملية فعلية، ثم انتظرها عن بعد حتى يمر القطار من فوقها، وكانت الكبسولة تنفجر في كل مرة من هذه المرات .

لم اذهب للعمل ذلك اليوم، بل عدت إلى عكا مباشرة، وبحثت عن عبد حزبوز حتى وجدته في الميناء، فصعدت معه في زورقه وطلبت منه ان يبحر بنا، وهو ينظر الي مستغربا لعدم اذاعة الخبر من إذاعة اسرائيل، ولما كان يخيم على وجهي من تجهم، فاخبرته بما حدث، ورحت استفسر منه اذا

Scanned by CamScanner

ما كان قد راعى كل الشروط في اعداد العبوءة، واذا ما كان قد انتبه جيدا إلى ان يكون مكان الكبسولة في الجزء الذي يحتوي على الجنلايت وهو النوع سريع الانفجار، فاكد لى انه فعل ذلك، اذ كان هو الذي اخذ على عاتقه اعداد العبوءة، فلم يعد لدي أدنى شك في فساد المواد المتفجرة التي لدينا، اذ كنت واثقا من الكبسولة جيدا، رغم انها ليست من النوع الاصلي، وانني ابتعتها من السوق وأعددتها للعبوءة بنفسي، ومما زاد من ثقتي في ذلك ان الكبسولة قد انفجرت فعلا، وجود عربة الاستكشاف على الخط بعد الهدف بعدة امتار، وهذا يعني ان الكبسولة قد انفجرت فعلا عند مرور العربة فوقها، ولكن المواد لم تنفجر، مما جعل رجال العربة ينتبهون إلى الفرقعة تحت العجلات، مما قادهم إلى اكتشاف العبوءة حين نزلوا يتفحصون ما حدث . وبعد إن اطلعته على كل ما حدث، وبحثنا أسباب الفشل، أعادني إلى الميناء، فأخبرته ان يبقى وباقي الرفاق على حذر لانني سأسافر إلى نابلس لبحث الامر مع شاكر وعادل والوقوف على حقيقة ما زودانا به من مواد متفجرة وتقديم تقرير عن فشل العملية .

ما كدت اصل بيتنا في عكا لاتابع بعدها إلى نابلس، إلا وشاكر يدخل البيت، وما ان رأيته وقبل ان ارد تحيته حتى انفجرت به غاضبا ورحت اكيل له ولكل المسؤولين التهم بالاهمال وعدم المسؤولية لتزويدي بالمواد المتفجرة الفاسدة، شارحا له ما حدث، وكلما حاول الاحتجاج او قول شئ ما، اقاطعه منهالا عليه مرة اخرى بشتى الاتهامات إلى ان هدأت اخيرا، فراح يؤكد لى ان لا عيب في المواد المتفجرة، ولا بد وان نكون قد ارتكبنا خطأ ما في تركيب العبوءة، لانه واثق من أن المواد غير فاسدة، ولكنني لم اقتنع وأمليت عليه تقريرا بما حدث حرفيا، مضمنا اياه اتهاماتي للقيادة، وطلبت منه ان ينقله إلى القيادة باقصى سرعة، ويلح عليهم في الطلب لتزويدي بالمواد المتفجرة واقلام التوقيت بأقرب فرصة ممكنة .

Scanned by CamScanner

بعد يومين من قيامنا بالعملية، اي يوم الثلاثاء، الساعة السابعة مساء، سمعت بيانا من اذاعة فتح يقول، بأن المجموعة رقم ٧٧٨ قامت بزرع لغم على خط القطار حيفا - تل ابيب بالقرب من كيبوتس حوتريم، فانفجر بعربة قطار استكشافية، فنزلت عن الخط وقتل قائداها، وان السير على خط حيفا – تل ابيب قد تعطل، وعاد أفراد المجموعة إلى قواعدهم سالمين .

أمتعضت لهذا الكذب الفاضح، وقررت السفر إلى نابلس صباح اليوم التالي لاقف على مصدر هذا الكذب، واذا ما كان شاكر قد بعث للقيادة بتقرير غير الذي امليته عليه .

في السادسة من صباح اليوم التالي، كنت في بيت شاكر في نابلس، وحين سألته من المسؤول عن إذاعة هذا البيان الكاذب، فأجاب بصراحة انه هو المسؤول، لانه لم يرسل التقرير الذي أمليه عليه، وكان مضطرا لان يبعث بهذا التقرير الكاذب عن العملية كي يثبت للقيادة اننا فعلنا شيئا ما، كي يثقوا بنا ويزودونا بالمواد المتفجرة وما نحتاجه من سلاح، لانها هذه هي الوسيلة الوحيدة لاقناعهم وانه يعرفهم جيدا، ولا يريد ضياع عام ونصف من الجهد والعمل سدى . وهنا غضبت منه اكثر وقلت له انني اريد ان يكون واضحا لديه جدا ولدى قيادة فتح كلها، ان مجموعة رقم ٧٧٨ لا تعمل من اجل " ابو عمار "، ولا من اجل غيره من القيادة ولا من اجل منظمة فتح او غير فتح، وانما وجدت لتعمل من اجل القضية الفلسطينية، التي لم تصل إلى هذا الحد من البؤس وعدم الحيلة، إلا لكذبنا وخداعنا لانفسنا ولشعبنا بجملته، واذا كنا قد قمنا بعملية فاشلة، فهذا معناه انها عملية فاشلة وعلينا ان نبحث جميعا اسباب هذا الفشل، وليس ان نعوض عن فشلنا بالكذب والخداع . ونحن نعلم اننا لا نخدع سوى أنفسنا وشعبنا وأنا اعرف جيدا ان السلطات الاسرائيلية التي اكتشفت العبوءة ستسخر من

Scanned by CamScanner

كذبنا بل وستستفيد من كذبنا، وان الشعب الاسرائيلي لن يصـــدق كذبنـــا ويكذب بيان شرطته إلا اذا قمنا بعملية يراها بعينه ويحسها على جلده . اما مجموعة رقم ٧٧٨ فلا يهمها أن تفشل وأن تعلن عن فشلها، وانما يهمها ان تتعلم من هذا الفشل كي لا تفشل، ويهمها ان تعمل ولا بد من الفشـــل ومن النجاح في العمل . وأكدت له بشكل قاطع انني غير مستعد لان أخطو خطوة واحدة اكثر منه، اذا ما كان سيسلك طريق الخداع والكذب، وانني اعطيه فرصة اخيرة لاصلاح ما ارتكب، وانه يكفينا ما فعله اخوه بنـــا فـــي أحوج الاوقات اليه، ويكفينا ما نلقا مـــن لامبـــالاة وعـــدم مســـؤولية مـــن المسؤولين في القيادة .

كان شاكر هادئا طيلة الوقت، ولم يحاول مقاطعتي قط، وما ان فرغت من كلامي حتى راح يهدئني معتذرا عما بدر منه، ووعدني بأنه ســـيبعث بتقريري الأصلي للقيادة، ويرفقه بكتاب اعتذار عما بدر منه . وقبـــل ان نفترق اخبرني ان القيادة تطلب منا تزويدها باية معلومـــات نســـتطيع ان نجمعها عن خط الدفاع الإلكتروني الذي كانت اسرائيل قد وضعته على طول نهر الاردن، والذي بدأ في عرقلة عمليات العبور، فأخبرته اننا سنحاول ذلك على ان يكون عملا ثانويا، وأطلعته على ما وصلت اليه علاقتـــي بمحمـــد غريفات، وعن اعتزامنا القيام برحلة معه إلى كل هذه المناطق، ثم لمحت له انني قد أحصل على خريطة ذات قيمة كبيرة، وعليه ان يدرس امر نقلـــها منذ الان . وكان شاكر لا يعرف اية تفاصيل عن محمد غريفات، ولكنه كان يعرف من قبل انني اعتزم تجنيد أحد الجنود الاسرائيليين إلى مجموعتنـــا، وقد علمت القيادة بذلك ووافقت عليه .

Scanned by CamScanner

وصلت بيتى في نهاريا ذلك اليوم، فوجدت دعوة من البوليس في أنتظاري تقضي بأن اتوجه إلى مركز الشرطة في عكا صباح الغد . فاتصلت بباقي المجموعة وأطلعتهم على الأمر زيادة في الحذر، ثم توجهت مباشرة إلى مركز الشرطة في عكا، فقادوني هناك إلى الدور العلوي، بعد ان انتظرت اكثر من ساعة إلى غرفة كانت تجلس فيها فتاة فأطلعتها على الدعوة، فقالت معتذرة انها قد اتصلت منذ ان حضرت، ولكن الشخص الذي ينبغي عليه مقابلتي لم يكن في مكتبه، وأنها ستتصل به ثانية.

جلست انتظر وأنا أفكر بما تنطوي عليه هذه الدعوة للمخابرات، واذا ما كانت المخابرات قد استطاعت ان تعرف شيئا ما عن قيامي بعملية حوتريم، او اذا ما كانوا يشكون بى، ولكننى انتهيت إلى اقتناع تام انهم لا يعرفون اي شئ عنى، وربما استدعوني لمجرد التحقيق كما يفعلون مع كثير من الشباب لمجرد تخويفهم وإيهامهم ان " الشين بيت "، يعرف كل شئ عنهم، لكي لا يحاولوا عمل اي شئ ضد " أمن الدولة "، وكان تفكيري

Scanned by CamScanner

هذا في محله، وسرعان ما اكتشفت ذلك حين دخل علـــي شـــخصان لـــم أعرفهما من قبل، وتحدثا معى بشكل عام عن عملي وعما اربحه، وكيـــف أقض وقتي، ثم اعتذرا لي عن ان الشخص الذي كان عليه مقابلتي والتحدث إلى لم يستطع الحضور، ولذلك علي ان أعود في اليوم التالي، ولما عارضت في ذلك عقب أحدهما انه لن يكون من الصعب عليهم إحضاري، ولذلك علي أن أختار، فاخبرتهم انه ما دام الأمر كذلك فإنني سأحضر إذن رغـــم أننـــي سأخسر يوم عمل، فقال ان المكتب سيدفع لي ذلك.

عدت في اليوم التالي، وكان في انتظاري هذه المرة شخص لم أعرفه هو الآخر من قبل، فاستقبلني بترحاب وبشاشة، وكـــان منظـــره يوحـــي بالاحترام، للهجته العربية المؤدبة، ومظهره الذي يدل على انه إنسان واثق من نفسه ويحترم نفسه، ولعمره الذي يتراوح بين الخمســـين والخامســـة والخمسين عاما. مما يدل على انه ذو رتبة عالية.

قدم نفسه باسم " إلياهو موزر " وراح يتحدث هو الآخر عن عملي، وكيف أقضي وقتي، ثم قال انه سيتحدث إلى بصراحة في موضوع هـــام، ويرجوني ان اكون صريحا معه، فوعدته بذلك. سألني عن أقـــاربي فـــي الضفة الغربية، وعن علاقاتي بهم، وعن علاقاتي بشباب عكا، وبسر التفافهم حولي دائما، وبدا انه يعرف الكثير عن حياتي الخاصة، ثم طلـــب منـــي مباشرة وبدون مواربة ان أتعاون مع " الشين - بيت " الإســـرائيلي فـــي التحري عن رجال المنظمات في الضفة الغربية، وداخل اسرائيل مســـتغلا زواجي من يهودية، الامر الذي يجعله يعتبرني واحد ممن يتحتـــم عليـــهم خدمة الدولة والسهر على سلامتها - على حد تعبيره - واضعا بين يدي كل الإمكانيات المادية، وتلبية كل ما اطلبه من مبالغ، واعدا بأنـــه ســـيجعلني واحدا من اثرياء عكا .وهنا اعترضت على التحدث إلـــي بلغـــة رجـــال الاعمال، وطلبت اليه ان يحدثني على الاعتبار الاول، واعتذرت عن إبداء أي

Scanned by CamScanner

رأي، وطلبت منه أن يمهلني أسبوعين او ثلاثة كي أفكر في الموضوع، لأنني أريد ان اكون صريحا معه في هذا الشأن ولا اتخذ قرارا ارتجاليا، فوافقني على ذلك وسجل لى رقمي تلفون أستطيع الإتصال حسبهما به، سواء كان ردي إيجابيا ام سلبيا . وافترقنا.

بعد ظهر ذلك اليوم جمعت والدي وأخواتي وزوجتى وولدي، وسافرت بهم إلى قرية بورين، ليبقوا هناك أسبوعا في زيارة للأقارب، وكنت اقصد بذلك خلق مبرر لسفراتي المتكررة إلى نابلس فأقطع الطريق بذلك على أية تعقبات لي من المخابرات، وخاصة بعد أن استدعوني وعرضوا علي العمل معهم، إذ أثار ذلك العرض الشكوك لدي بأنه لم يكن الا حلقة من حلقات تعقبهم لي، وعند المساء تركتهم في بورين وسافرت إلى نابلس.

اتصلت بشاكر وأطلعته على كل ما حدث، ثم اعددت بالاشتراك معه في نفس الليلة، تقريرا مفصلا عن ذلك للقيادة طالبا ردهم السريع في هذا الشأن.

بقيت في نابلس حتى مساء السبت، واطلعت شاكر خلال هذه الفترة على اعتزام المجموعة القيام بعملية تستهدف أنابيب البترول في حيفا، وعليه ان يسعى للحصول على قلم توقيت بأي ثمن، رغم ان عبد حزبوز كان يعمل عنده في البيت على تحويل ساعة منبهة عادية، لاستعمالها في تنفيذ العملية بالتيار الكهربائى، فوعدني بذلك.

التقيت يوم الاثنين من نفس الاسبوع بمحمد غريفات في بيته، وقد ذهبت مع باقي أفراد المجموعة للسهر عنده، وهناك فاجأنا بوضعه الخريطة امامنا، فرحت أتفحصها وهو يرشدنى إلى الطريق والاماكن التي تتضمنها، الا اننى لم افقه مما كان يشرحه لي شيئا، وكانت هذه هي اول مرة تقع فيها عيني على خريطة عسكرية، كما وكانت اكثر مما أحلم بالحصول عليه، رغم انني كنت اتوقع من أن الخريطة التي وعدنا بالحصول عليها لا بد وأن

Scanned by CamScanner

تكون خريطة عسكرية قيمة، فقررت الحصول عليها بأي ثمن، وان لا بد لي من سرقتها منه دون ان يشعر بذلك او يعرف، فتظاهرت بعدم الاهتمام، ونظرت إلى باقي أفراد المجموعة، فأدركوا ما أقصد، وراحوا هم الآخرون يحطون من قيمتها متظاهرين بعدم الاهتمام بها.

ذهبت اليه في اليوم التالى، وبنيتي ان أتسرقه الحديث، لاكتشف إذا ما كانت الخريطة تتضمن مواقع خط الدفاع الإلكتروني، فقدته إلى الحديث عن العمل الفدائي، متعمدا الحط من قيمته وفعاليته، ومعرضا بكفاءة الفدائيين القتالية، لانهم لا يكادوا يعبرون الحدود، حتى يقتلوا او يؤسروا، وهنا هب محمد للدفاع عنهم، وعن كفاءتهم القتالية وجرأتهم، إلا انه راح يتذمر من عدم معرفتهم الجيدة للمنطقة، وخيانة بعض العناصر المدسوسة في صفوفهم، وهنا راح يشرح لي كيف انهم لقلة المعلومات لديهم عن مواقع الجيش الإسرائيلي يقعون في شباك الخط الإلكتروني على طول نهر الاردن والهضبة السورية . ثم نهض وأحضر الخريطة، وراح يشير إلى مواقع هذا الخط وطريقة عمله وكيف يمكنهم الوصول لو اطلعوا على هذه المواقع، ان يتفادوه ويبطلوا مفعوله، وفي شيء من المرارة قال " هل تعرف يا فوزي، اننى مستعد لاستدانة الف ليرة واعطائها أجرة لمن يضمن لى نقل هذه الخريطة لمنظمة فتح، ولا يهمني بعد ذلك ماذا يكون مصيري " وهنا شعرت برعشة تسري في كل جسمي، فنظرت إليه قائلا " وهل تعرف يا شاويش انك بدأت تجن ؟ " فاجاب انه يعرف ان الكلام معي في هذا سرى ولكن مشكلته انه يثق بى ولا يعرف ما سر هذه الثقة . ثم سألته اذا ما كان يعتقد انهم سيفهمون من هذه الخريطة شيئا لو اطلعوا عليها . فرد بغضب انهم بالطبع سيفهمون،وأنه من ناحيته سيكتب شرحا لبعض المواقع عليها بقلم رصاص، وأتبع ؛ أنني أكون مخطئا لو ظننت انه لا يعني ما يقول، ورغم انه جندي في الجيش الإسرائيلي . فتظاهرت مرة اخرى بعدم

Scanned by CamScanner

الاهتمام محولا موضوع الحديث، بينما كنت في الواقع دهشا إلى أقصى الحدود لما سمعته منه، مصارعا في نفسي هذا التحدي منه.

في هذه اللحظة دق جرس الباب، وعندما فتح محمد الباب، دخل علينا رجال الجباية للحجز على أثاث بيته لدين لم يسدده من ثمن الأثاث منذ زواجه، إذ كانت حالته المادية سيئة للغاية، وكنت أعرفهم، فطلبت منهم ان يمهلوه أسبوعا آخر، متعهدا لهم بدفع المبلغ المستحق عليه بنفسي، مسجلا رقم الملف عندي.

اتفقت صباح اليوم التالي مع فتح الله وعبد حزبوز ورامز خليفة ان ندعو محمد لمشاهدة فيلم في حيفا لإحدى الحفلات اليومية التي تبدأ في الساعة الرابعة بعد الظهر، ثم نتظاهر هناك بعدم الرضى عن الافلام المعروضة، لكي لا نشعره بأننا نقوده معنا لعملية استكشافية. ومن ثم يقترح على فتح الله ورامز خليفة في طريق عودتنا ان نمر بمنطقة كيشون لمقابلة صديق لهما هناك، ليسترد فتح الله منه دينا له. وبالفعل دعونا محمد إلى حفلة ما بعد ظهر ذلك اليوم المزعومة في حيفا، وهناك تظاهرنا بعدم الرضا ومررنا في طريق عودتنا بمنطقة كيشون كالمخطط، وقد حرصنا على ان يكون محمد في لباسه العسكري.

ذهب فتح الله ورامز للاستكشاف من الناحية الجنوبية، مدعيان انهما ذاهبان لمقابلة الصديق، بينما بقيت وعبد حزبوز نستكشف منطقة العملية جيدا ومحمد غريفات معنا لا يدري ما يدور حوله، وساعدنا ذلك انه كان متحمسا لروية الميناء التجاري هناك، إذ كانت هذه أول زيارة له فيه، ووقفت وعبد حزبوز عند النقطة التي قررنا ان تكون هدفا للعملية وحددناها جيدا، وهي في الانابيب الواصلة من معامل التكرير إلى ميناء كيشون، والتي تتفرع هناك لاستقبال النفط من البواخر من الشمال، ولتزويد مخازن " باز " للبترول المكرر من بنزين وسولر من الجنوب او شحنه بالبواخر.

Scanned by CamScanner

وكان عبد حزبوز يعرف وظيفة الأنابيب جيدا لانه كان يستدعى لاعمال غوص هناك لحساب ناقلات البترول، وكان عدد هذه الأنابيب أربعة عشرة أنبوبا تؤلف شبكة واحدة، ويبلغ قطر واحدها عشرين إنشا، ولذلك كان علينا في هذه الحالة، استكشاف كل المنطقة في ميناء كيشون لمراقبة الحركة هناك جيد:، إذ كانت شبكة الأنابيب تقع بين مدرسة الطيران ومعسكرا بحريا من الشمال، حيث تقوم على حدوده عيون إلكترونية لحراسة المنطقة، وبين معسكر آخر من الجنوب بالإضافة إلى مصالح حوض بناء السفن . فاخترنا النقطة التي سنضع العبوءة فيها بين الانابيب، والتي تحتوي على ما يقارب العشرين كغم من ال " تي.ن.تي " وهي الكمية التي بقيت عندي بعد عملية " حوتريم "، بحيث تنسف الأربعة عشرة أنبوبا مرة واحدة. والتقطت صورا متكاملة لمكان العملية، وجميع المنطقة من حولها كي تكون العملية واضحة للقيادة تماما، زيادة على التقرير الذي أنوي إرساله، وقد بدا لي تنفيذ العملية سهلا، رغم ما تنطوي عليه من اخطار اذا ما تصرفنا بحكمة، وقد اقترح علي عبد حزبوز الذي يعرف المنطقة جيدا بحكم عمله صيادا، ان نقوم بالعملية عن طريق البحر بحيث ننطلق من مركبه في عرض البحر، فرفضت ذلك مع باقي أفراد المجموعة وأقنعناه بضمان النجاح للعملية إذا ما سلكنا نفس الطريق الذي سلكناه في مجيئنا للاستكشاف.

وبعد عودتنا في ذلك اليوم إلى عكا، اجتمعنا في البيت وتدارسنا خطة القيام بالعملية مفصلين خطوات تنفيذها بدقة، وضرورة تنفيذها مهما كلف الامر، لتكون هذه المرة ردا على قصف الإسرائيليين لمصافي البترول في الجمهورية العربية المتحدة، وان نجاحها سيعزز موقف المنظمة ومكانتها عند المتحدة لتلاحم عمليات الفدائيين الفلسطينيين في معركة مصير مع اسرائيل . وقد وافق الجميع على العملية، ألا ان رامز وفتح الله أبديا

Scanned by CamScanner

معارضتهما لاستعمال نفس المواد المتفجرة، خوفا من أن تكون فاسدة، فتمنى بالفشل مرة أخرى واقترحا تأجيلها حتى نحصل على مواد غيرها، فطمأنتهم أن لا عيب في المتفجرات وان فشلنا في عملية حوتريم كان نتيجة لخطأ ارتكبناه.

وفي نفس الأسبوع قمت بعدة عمليات استكشاف لمكان العملية في الساعات التي قررنا ان ننفذ فيها العملية، وهي بين الساعة السادسة والثامنة مساء، اما عبد حزبوز فكان يقوم بعمليات استكشاف عن طريق البحر لنتأكد من تحرك دوريات الشواطئ . ثم أعددنا مخططا كاملا للعملية أرفقناه بالفلم الذي التقطناه لمكان العملية، ورحنا ننتظر يوم الاثنين، الذي يعود فيه محمد غريفات إلى معسكره، كي اذهب إلى بيته في غياب زوجته عند أهلها فاسرق الخريطة وأسلمها مع التخطيط والفلم إلى شاكر، وكنت قد طلبت إلى محمد غريفات ان يبقى الخريطة في بيته، ووعدته أن ابحث له عن أحد الأشخاص من أقاربي في نابلس ممن أثق بهم لينقلها إلى المنظمة إذا كانت من الأهمية، مما يفيدها كما يدعي.

في ساعات الصباح من يوم الاثنين ذهبت إلى بيت محمد بعد ان تحققت من ان زوجته ليست في البيت وأنه قد سافر إلى عمله، ولن يعود إلا بعد أسبوع، فدخلت البيت - وكان مفتاحه معي - ورحت أبحث عن الخريطة، الا انني لم أعثر عليها . وبعد ان بحثت عنها اكثر من ١٥ دقيقة وفي كل مكان في البيت، فوجئت بالباب يطرق، فنظرت من ثقب الباب، واذ بمحمد يقف فيه، ففتحت له معللا وجودي بضياع رقم اضبارته في الجباية، فجئت أبحث عن نسخة الاخطار التي تسلمها منهم، لانني كنت في طريقي لدفع المبلغ المستحق، فضحك وقال ان النسخة موجودة في جيب معطفه في الدولاب، ثم أخرجه وناوله لي، فاكتشفت انه كان قد وضع الخريطة في نفس الجيب، وعندما سالته عن سر عودته إلى البيت، أخبرني انه يشعر

Scanned by CamScanner

بوعكة خفيفة، فلذلك عدل عن الذهاب إلى عمله . انتقلنا للحديث عن موضوع الخريطة مرة اخرى، فسألته اذا ما كان يجد فعلا في رغبته ايصالها لمنظمة فتح، فأكد لى مرة اخرى انه يضحي بكل شيء من اجل ذلك، فقررت ان أقبل التحدي وأضعه في التجربة، وطلبت اليه ان يستبدل ثيابه العسكرية بثياب مدنية لانني سأصحبه معي إلى نابلس بعد ان نسدد الدين، لمحاولة ذلك، فسألني بدوره وهو لا يكاد يصدق ما أقول، اذا ما كنت جادا فأكدت له ذلك مرة اخرى، فسرعان ما كان يرتدي ثيابه المدنية، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة ثم رافقني وسافرنا سوية إلى نابلس، والخريطة في حوزته، وقد تخطينا في ذلك اليوم ثلاثة حواجز عسكرية مجرد ابراز محمد لبطاقته العسكرية.

تركته في أحد المقاهى في المدينة، وذهبت إلى بيت شاكر، فاستقبلتني زوجة اخيه " ابو سمير " التي لم ترحل معه إلى الضفة الشرقية وأخبرتني ان شاكر قد سافر إلى يافا منذ يومين ولم يعد، وأنها عارضته في سفره الا انه أصر على السفر لامر ضروري، ثم سألتني حين لاحظت علي ضيقي الشديد. اذا ما كانت تستطيع، مساعدتي ريثما يعود، أو انتظره حتى المساء لانها تتوقع عودته، فقلت لها انني أريده لامر لا يحتمل التأجيل. فطلبت مني اطلاعها على ما أريده، ربما استطاعت ان تنوب عنه، وأنها مستعدة لتنفيذ ما أطلبه اذا كان ما أطلبه داخل المدينة، فطلبت منها ان تتصل بعادل على جناح السرعة وإحضاره إلى البيت، فردت انها لا تعرف شخصا باسم عادل، فرحت أصفه لها لأنها كانت قد رأته عدة مرات عندها في البيت عندما كنت التقي به في دارهم مع شاكر وزوجها . وبعد جهد كبير استطاعت ان تعرف من أقصد وتبين انه جارهم وان الاسم "عادل" هو اسمه الحركي ولكنها لم تكن تعرف ذلك كما لم اعرف انا نفسي . فطلبت مني ان انتظر عندها في البيت، وبعد قليل عادت لتخبرني انها لم تجده في البيت وان

Scanned by CamScanner

زوجته لا تعرف أين يعمل ذلك اليوم، ولكنها ستعمل المستحيل للاتصال به، واتفقناعلى ان انتظره في مقهى " للطقطق " حتى يأتي، فطمأنتني قائلة ان انتظاري لن يطول.

عدت إلى محمد غريفات ورحت انتظر معه قدوم عادل الذي حضر بعد اكثر من ثلاث ساعات، فشرحت له الموقف على انفراد، كى لا يعرف محمد غريفات عما نتحدث، فقال انني جئت في الوقت المناسب وأنه يستطيع نقل الخريطة إلى القيادة في الغد، ثم عدنا إلى طاولة محمد، وقدمت كلا للآخر، وذهبنا بعدها إلى بيت عادل، وهناك طلبت إلى محمد ان يخرج الخريطة من جيبه فنظر إلى " دهشا، فطمأنته قائلا له ان لا شيء يخشاه، فأخرجها ووضعتها امام عادل الذي لم يصدق ما تراه عيناه، فاشترطت عليه على مسمع من محمد ان يذاع نبأ وصولها من إذاعة فتح، ببيان للمجموعة وان يحوي البيان جملة " إلى أبي سامر .. الهدية وصلت .. شكرا " وكان اسم " ابو سامر " هو الاسم الحركي الذي اتفقنا عليه لمحمد، وهكذا ضمنت انضمام محمد غريفات إلى مجموعتنا وهو لا يعرف عن أمر المجموعة شيئا بعد، اما عادل فوعدنا اننا نستطيع سماع البيان بعد غد في الساعة السابعة مساء من اذاعة فتح من القاهرة.

وقبل ان نفترق، سلمت عادل مخطط عملية أنابيب البترول في كيشون، والفلم الذي كنت قد التقطته للمنطقة على ان ينقل ذلك للقيادة ويستحثهم على تزويدي بأقلام توقيت على الأقل، لأنني أخشى فشل العملية إذا ما استعملت طريقة التيار الكهربائى الموقوت في التفجير، لأنني لا أملك ساعة خاصة لذلك، وبدأت في إعداد ساعة منبه عادية لهذا الغرض .

عدنا إلى عكا، وفي المساء نقلت محمد غريفات إلى عمله بسيارتي، على ان يعود يوم الاثنين القادم، اي أسبوعا كاملا . ولم أخبر باقي أفراد المجموعة بالأمر، حتى سمعت البيان من إذاعة فتح بعد يومين، وسجلته

Scanned by CamScanner

على الشريط، لكي أضمن اسماعه لمحمد غريفات وباقى أفراد الجموعة، إذا ما فاتهم ذلك.

ما كاد باقي أفراد المجموعة يسمعون البيان، حتى اتصلوا بي يسألونني عن ماهية الهدية التي وصلت، ومن يكون " ابو سامر " هذا فأخبرتهم بالأمر مفصلا، مما أثار بيننا نقاشا حادا، لهذا التصرف المنفرد من جانبي، وللطريقة التى أوصلت الخريطة بها، لانهم لا يثقون بمحمد. فأكدت لهم انه لا يعرف عن امر التنظيم شيئا، ولكنني قررت تنظيمه في أقرب فرصة بعد كل ما حدث، وكل تجاربي له التي كشفت لى عن عنصره القومي الأصيل وعن جرأته المتناهية وثقته بنفسه، وأخبرتهم انني قد بعثت استشر القيادة فوافقت على ذلك ورحبت بالفكرة . فاصر الجميع في هذه الحالة على ألا أعرفه على اي من افراد المجموعة، وان يبقى اتصاله معي وحدي، إلى ان تمر على تنظيمه فترة كافية نستطيع بها اختباره جيدا، وليكون تحت الرقابة الدائمة دون ان يدري، لتفادي اي خطر قد ينجم عنه إذا ما تراجع عن موقفه، فرجوتهم ان يتركوا هذا الامر لى واننى اتحمل مسؤولية تنظيمه على ان نكون اثنينا خلية ثانية في البداية دون ان يعرف عن أعضاء المجموعة شيئا.

جاء الي محمد غريفات بعد اسبوع يسألني، إذا ما كنت قد سمعت شيئا عن إذاعة فتح بالنسبة لوصول الخريطة، لانه لم يستطع سماع الإذاعة في اليوم المحدد، لوجوده في كمين مع فرقته على الحدود اللبنانية، ولذلك قضى الأسبوع كله قلقا، ويتوقع اعتقاله في كل لحظة، ولذا كان دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة الموقف بالمقاومة المسلحة وتخطي الحدود، فطمأنته، وأسمعته البيان مسجلا، فدهش ولم يعد يعرف ماذا يقول، ثم انفجر سائلا ماذا يعني المذيع بـ " من أق إلى ٧٧٨/أ " ومن يكون " أق " ومن يكون " ٧٧٨/أ " فأجبته وبكل هدوء انه كان يكرر أمامي دائما انه يتمنى لو

Scanned by CamScanner

يستطيع الالتحاق بصفوف فتح، وأنه يفكر في الهرب من وحدته في بعض الأحيان ليلتحق بالفدائيين الفلسطينيين، ولذا فإنني اسأله الآن بدوري وأريده ان يكون صريحا وجريئا اذا ما كان يعني فعلا ما يقوله . فأجاب بثقة مطلقة انه جندي وان كان جنديا إسرائيليا، ولذا فإنه عندما كان يقول لي ذلك كان يقوله كجندي ولذا فهو يعني ما يقول حتما وليس لمجرد التظاهر أمامي او لشعور بالذنب، وانما يقول ذلك بإرادة صادقة ووعي كامل لمسؤولية ما يقول، فنظرت اليه طويلا، ثم أخبرته وبكل هدوء ان " أق " تعني القيادة أي قيادة منظمة فتح الفدائية وأن " ٧٧٨/أ " هو رقم المجموعة الفدائية التي ينتمي هو إليها وهو لا يدري، فأشار إلى دهشا وهو يقول " وهل هذا يعني انك انت " ٧٧٨/أ " وانك فدائي في فتح وانا لا أعرف ؟ " فأجبت ان الامر كما يقول تماما، ويستطيع ان يعتبر نفسه منذ الان رقم " ١٢ " في المجموعة التي انا فيها رقم " ١ " بل وأتنازل انا عن اقدميتي واخلي له المكان ليكون هو رقم " ١ "، اذا كان يرغب في ذلك حقا كما يقول، أما اذا كان لا يرغب فما عليه الا الصمت لان اية كلمة منه تعرضني للخطر ستكلفه حياته في نفس اليوم الذي اعتقل فيه، وما كدت انهى كلامي حتى كانت الدموع تنهمر من عينيه وهو يقول " لقد كان ذلك امنية حياتي الوحيدة .. ولن أنسى لك ذلك " ثم وضع يده في يدي مقسما، انه سيسير معي على هذا الطريق حتى النصر او الموت، وأنه سيزودني بكل ما اطلبه من اسلحة، ويقوم بأية عملية أطلبها منه، على ان يسمع من اذاعة فتح قبول انضمامه للمنظمة، فاخذت منه جميع التفاصيل اللازمة، وصورة لهبيزته العسكرية، وأخبرته انه يستطيع ان يعتبر نفسه فدائيا من الفدائيين الفلسطينيين وثائرا من ثوارها . أقسم يمين الولاء أمامي ثم راح يسألني عما أنوي فعله، واذا ما كان لدي مخطط للعمل ومواد متفجرة، طالبا إلى ان نبقى وحدنا دون اي فرد آخر، وأنه سيزودني بكل المواد المتفجرة

Scanned by CamScanner

اللازمة وغير ذلك من الاسلحة، ثم عقب اننا نستطيع وحدنا إذا ما عملنا بترو وبخطوات مدروسة ان نعمل لفترة طويلة نفقد فيها إسرائيل أعصابها

في نفس الاسبوع قمت بعدة عمليات استكشاف لمنطقة العملية في كيشون، ولم تكن هناك من مشكلة سوى الحارس الليلي الذي لم استطع تحديد وقت معين لمروره بمكان العملية، إلا ان افضل وقت كان بين الساعة السادسة والسابعة مساءا ووصلت إلى حل بالنسبة لمشكلة الحارس وهو ان نقضي عليه اذا فاجأنا، وكنا قد قررنا جميعا ان ننفذ العملية ليلة الاحد من مطلع الأسبوع القادم وبواسطة التيار الكهربائي وساعة توقيت.

سافرت إلى نابلس مساء الخميس، واتصلت بشاكر في بيته، فاستقبلني بحرارة قائلا، اننا سنبدأ المرحلة الجدية في العمل لان القيادة أخبرته بأنهم بدءوا يثقون بنا وخاصة بعد ان اطلعوا على الخريطة وتخطيط العملية التى ننوي القيام بها والفلم الذي ارفقته، كما وعبروا له عن ارتياحهم لتقريري بالنسبة لفشلنا في عملية حوتريم وأنهم سيطلعوه في القريب العاجل على أخبار سارة بالنسبة لنقل المواد المتفجرة والأسلحة عن طريق البحر . وبالنسبة لاتصال " الشين بيت " بي نهم يخولونني مطلق الصلاحية في التصرف . اما انا فقد أطلعته على آخر التطورات بالنسبة للعملية، وبالنسبة لتجنيد محمد غريفات، ونيتي اشراكه بتنفيذ العملية المقبلة . وافترقنا ذلك اليوم على ان نلتقي في اليوم التالى، وكنت قررت المبيت عند عمتي في قرية بورين.

في اليوم التالي وبينما كنت عند شاكر في بيته، وإذا بشخص يستدعيه في الخارج، وبعد قليل عاد وهو يحمل قلم توقيت في يده قائلا، بأننا نستطيع الآن تنفيذ العملية ونحن مطمئنين، ثم ناولني القلم، وكان من الصنف الجيد ولست ساعات فقط، فسألته من اين حصل عليه فأجاب أن احد الاصدقاء أتاه به الان، وكان قد عمل المستحيل للحصول عليه، فأسالته اذا

Scanned by CamScanner

ما كان هذا الشخص هو من أفراد مجموعته، فاجاب بالإيجاب، بلى وأنه يعرفني شخصيا . وهنا طلبت اليه استدعاءه فورا لأنني لا بد وأن أتعرف عليه ما دام يعرفني، فخرج وعاد برفقته بعد قليل، ولم يكن بحاجة ليعرفني عليه، لاننا كنا قد التقينا عدة مرات وعرفته باسم الأستاذ احمد حسن، وعرفت من شاكر انه الشخص المكلف باعداد التقارير وارسالها للقيادة.

ومنذ الآن يكون هو الآخر حلقة من حلقات الوصل في حالة أي طارئ، فقلت له وبدون مقدمات " إذن اخرج يا استاذ قلما وورقة، واعد تقريرا للقيادة، بأننا وقد حصلنا أخيرا على قلم توقيت، فاننا سننفذ عملية مصافي البترول في ميناء كيشون مساء السبت او مساء الأحد " . ثم افترقنا وعدت لتوي إلى عكا.

Scanned by CamScanner

اجتمعت مساء الجمعة ببعض أفراد مجموعته، وأطلعتهم على انني أنوي القيام بالعملية مساء الغد، وعبرت عن رغبتي في إشراك محمد غريفات معنا، فحاولوا المعارضة، لكنني طمأنتهم قائلا بأنه لا يستطيع التراجع إذ اصبح أحد أفراد مجموعتنا رسميا، واتفقنا على ان يرافقنا في العملية فتح الله ورامز خليفة وعبد حزبوز، وحددنا مكان كل منا في العملية وجلسته، على ان يكون محمد غريفات بالبزة العسكرية، وكانت الخطة هي ان نتظاهر أمامه بأننا نقوم برحلة إلى الكرمل في الغد، اي يوم السبت، وهناك نطلعه على ما ننوي بعد ان يتعرف على باقي أفراد المجموعة، وان يكون دوره في العملية قيادة السيارة بحيث يوصلنا إلى منطقة العملية ويغادرنا، ثم يعود ليقلنا ثانية بعد نصف ساعة، فنكون قد انتهينا من العمل، وعلى ان يكون هو ببزته العسكرية وسلاحه.

قمنا بالرحلة جميعنا كالمخطط من بعد ظهر يوم السبت إلى الكرمل، وكان محمد غريفات قد فاجأنا باصطحاب ابنته الصغيرة، فراح الجميع ينظر

Scanned by CamScanner

إلى، فأشرت إليهم ان لا يعارضوا في ذلك كي لا نثير شكوكه، وبين أشجار الكرمل اخرجت قوالب الـ " تي.ن.تي. " طالبا إلى محمد غريفات ان يساعدني بتحضير العبوءة، فنظر إلى مشدوها، وهو ينقل نظره بين المتفجرات تارة، وبين باقي أفراد المجموعة تاره أخرى دون ان ينطق بكلمة واحدة، فقلت له بجدية " يا محمد .. هؤلاء هم اخواننا أفراد مجموعة رقم ٧٧٨ .. الآن إلى العمل " ابتسم بهدوء وراح يساعدني على تحضير العبوءة دون ان ينطق بكلمة واحدة إلى ان فرغنا من تحضر العبوءة، وعندها نظر الي وسألني بهدوء عن هدفنا، وعن دوره، فشرحت له تفاصيل العملية جيدا ووظيفته، وطلبت إليه ان يكون جاهزا دائما وعلى أهبة الاستعداد لخوض اية معركة قد تفرض علينا، فأجاب بأن بندقيته " العوزي " معه فلا داعي للخوف، ولكنه يريد ان يكون معي، وان نقوم بوضع العبوءة سوية، فأخبرته اننا في حاجة له في السيارة لانه السائق الوحيد بين باقي أفراد المجموعة من ناحية، ولانه في ملابسه العسكرية ولا يثير أية شبهة من ناحية أخري . فوافقني على رأيي، واقترح ان نقترب من مكان العملية اكثر، وينتظرنا ليستطيع حراستنا من داخل السيارة، إذ ليس من خطر في انتظاره لانه يرتدي ملابسه العسكرية وابنته الصغيرة معه، وسيتدبر بنفسه اية مفاجأة قد تحدث، فوافقناه على ذلك .

كنا بالقرب من هدفنا حوالي الساعة السابعة مساء، وقد عبرنا حاجزين عسكريين دون ان نتوقف لوجود محمد وابنته بجانبي . ولسوء حظنا كانت هناك سيارة خاصة تقف فوق الهدف، تماما ففوجئنا جميعا . واقترح رامز خليفة وعبد حزبوز ان نغادر المكان بسرعة، فعارضت في ذلك وانضم الي فتح الله ومحمد فطلبت من فتح الله ان يحمل " غابة " الصيد التي معه ويتبعني، وكنت أنوي كشف من في داخل السيارة، وما رأيت في داخل السيارة لم يكن في حسابي قط، ولم يخطر ببالي، فقد كان في داخلها

Scanned by CamScanner

حبيبان غائبين في نشوة لقاء غرامي يلهيهما عن كل ما يدور حولهما، ولا ادري لماذا اختارا نقطة الهدف بالذات، لتكون لهما جنة غرام وفي تلك الساعة بالذات . فعدت إلى سيارتنا وأطلعت باقي الرفاق على الامر، مقترحا عليهم اغتيالهما خنقا، وابقائهما في السيارة بالقرب من الهدف فنضمن بذلك تضليل المخابرات بعد ما تأكلهما النيران مع السيارة . فعارض محمد في ذلك خشية ان تتحول العملية كلها إلى عملية اغتيال وحسب ونفشل في تنفيذ المهمة التي جئنا من اجلها، ولذلك قررنا انتظارهما ريثما ينصرفان، ولكنهما لم يتحركا من مكانهما وانتظرنا اكثر من ساعة كاملة، واخيرا قررنا ان ندفن العبوءة بالقرب من الهدف جيدا، بحيث نعود لتنفيذ العملية في الغد، او خلال الاسبوع، وهكذا عدنا دون ان ننفذ العملية بعد ان دفنا العبوءة بالقرب من الهدف ودفنا معها جالونا من البنزين وأربع قنابل يدوية كان محمد قد أحضرها . وفي الطريق طلب مني محمد ان لا ننفذ العملية حتى يعود من القاعدة يوم الاثنين القادم على ان يحضر معه كمية اخرى من المواد المتفجرة من الصنف الجيد . فوعدته بذلك، بينما قررت في نفسي تنفيذ العملية مساء الغد . وقبل ان نفترق اتفقت وباقي افراد المجموعة على ان يكونوا جاهزين مساء الغد في الرابعة بعد الظهر، بحيث ينتظرني رامز خليفة فوق السور قبالة مستشفى الامراض العقلية، وعبد حزبوز بين رامز خليفة والفنار، بينما يقف فتح الله بجانب الفنار.

انتهيت من عملي في الغد مبكرا، وأسرعت بسيارتي لالتقاطهم كالمرتب، الا انني لم أجد غير فتح الله في انتظاري، وقد أحضر معه " عدة الصيد " فسألته عن رامز خليفة وعبد حزبوز، فأجاب انه لم يرهما، فعدت إلى مكانيهما برفقة فتح الله مرتين الا انني لم أجدهما، فقررت تنفيذ العملية برفقة فتح الله وحده على ان أمر بيوسف ابو الخير الذي أصبح واحدا من أعضاء المجموعة لينضم الينا كي ينتظرنا في السيارة . ذهبت إلى مكان

Scanned by CamScanner

عمله وطلبت اليه ان ينضم الينا، فترك منجرته وانضم الينا فورا مستزودا بسلاحه الابيض دون ان يسأل إلى اين، وفى الطريق شرحت له مهمته، وهي ان يوصلنا قرب الهدف، ويذهب بعدها إلى مقهى يشرب فيه شيئا ما ثم يعود التقاطنا بعد عشرين دقيقة تماما، وهو الوقت الذي قدرناه لتنفيذ العملية، وكانت الساعة حينئذ الثامنة والنصف مساء، فاتجهنا نحو الهدف بسرعة . كان المكان خاليا تماما، وعلى بعد أمتار مني رمى فتح الله " غابته " في الماء متظاهرا بالصيد، بينما رحت انا اعمل في دفن العبوة تحت الأنابيب بعد ان أخرجتها من مخبئها بحيث تتوسط الاربعة عشر أنبوبا، ثم ثبت فوقها جالون البنزين بعد ان وضعت قلم التوقيت ودفنتها جيدا واضعا فوقها عشبا واوساخا سوداء كي يبدو مكانها طبيعيا . ثم وزعت القنابل اليدوية تحت الانابيب كي تعطل عملية الاطفاء في حال اندلاع النيران فيها، والتفت إلى فتح الله كي نغادر المكان بسرعة واذا به يسحب سمكة علقت بصنارته وكانت سمكة كبيرة راحت تغالبه فسحبت سكيني لاقطع الخيط وننتهي منها الا انه أصر على اخراجها حتى اخرجها فغادرنا المكان بأقصى سرعة والسمكة لا تزال ترقص في جعبته . وخلال عشرين دقيقة من بدء العملية كنا اثنينا عند المكان المحدد، بعد ان أخفيت مسدسي تحت معطفي واخفى فتح الله سكينه هو الأخر . ويظهر ان يوسف لم يقتنع بأننا سننهي عملنا في الوقت المحدد فعاد بعد نصف ساعة ليلتقطنها، وهكذا عدنا لننتظر من فوق سور عكا ساعة اندلاع النيران في مصافي البترول في حيفا، الذي كان " موشيه ديان " قد صرح مرة ان ليس من قوة عربية تستطيع الوصول اليها وضربها، وكانت الساعة المرتقبة، هى الساعة الثالثة صباحا.

قبل وصولنا عكا، توقفت في " قريات حاييم "، واتصلت مع " آفي " من المخابرات الاسرائيلية كما طلب مني سابقا، للتحدث معي بموضوع لم

Scanned by CamScanner

يطلعني عليه فسألني من اين اتحدث، فأجبته انني اتحدث من عكا، فسألني رقم التلفون، فأجبت انني اتكلم من هاتف عمومي رقمه متلف، فقال ان لا حاجة اذن لان اذهب اليه وسيحدثني في مناسبة اخرى بالموضوع.

أوصلت يوسف إلى منجرته، وذهبت وفتح الله من فورنا إلى مقهى الكراكون حيث كان رامز خليفة وعبد حزبوز في انتظارنا، وقبل ان يعتذرا اخبرتهما ان العملية قد تمت وقطعت عليهما اعتذارهما لعدم تمكنهما من الحضور في الوقت المحدد، طالبا مشروبا للجميع لنحتفل بالمناسبة وقد بقينا تلك الليلة حتى وقت متأخر كي نبرز وجودنا في المقهى تلك الليلة .. الرابع والعشرين من حزيران ١٩٦٩ .

ومن فوق سور عكا رحنا نترقب اندلاع النيران في مصافي البترول الا ان شيئا لم يحدث، ومرت الساعة الثالثة، والثالثة والنصف ومن ثم الرابعة والخامسة صباحا، الا ان النيران لم تندلع . فجن جنوني . وتأكدت ان هذه العملية منيت بالفشل هي الاخرى، لان قلم التوقيت لست ساعات فقط، فأي خطأ في توقيته ربما تقدم ساعة او تأخر ساعة . وشككت مرة اخرى بالمواد المتفجرة، واقتنعت ان لا بد وتكون فاسدة فعلا . اما عن احتمال اكتشاف العبوءه فقد كنت واثقا ان لا يمكن اكتشافها، وافترقنا فوق السور ومرارة الفشل تمزق قلب كل واحد منا، وشئ واحد يجيش في خاطره، وهو ان لا فائدة بعد من استمرارنا في العمل مع منظمة فتح، وأننا نضع حياتنا في أيدي اناس يتجردون من كل مسؤولية، وكان شعوري بالذنب تجاه رفاقي لا يغسله سوى القضاء على كل من لنا علاقة به في نابلس على الاقل، وتركت اصدقائي في أزقة عكا، وقد استقر رأيي وعزمي على ذلك مهما كلفني الامر من ثمن.

في السادسة صباحا كنت قد وصلت إلى حيفا، وفي طريقي راقبت مدخل ميناء كيشون والمنطقة، الا انني لم الحظ اية حركة، غريبة هناك،

Scanned by CamScanner

فوثقت ان العبوءة لم تكتشف، وكنت متوترا إلى حد ان أخي مصطفى الذي كان يرافقني في السيارة لاحظ علي ذلك، وراح يسالني اذا ما كنت مريضا. وفجأة فكرت ان اقوم بمحاولة لانتزاع العبوءة من مكانها، ورحت أفكر كيف اقوم بذلك وما هي الاخطار التى قد تنجم عن ذلك لو فعلت، ولكنني عدلت عن هذه الفكرة على ان أعود في المساء لمحاولة توقيت العبوءة بواسطة ساعة توقيت بطريقة التيار الكهربائي بدلا من قلم التوقيت رغم ان الفكرة مهما كانت تبدو وكأنها محاولة يائسة لمجرد التحدي فقط، لانني لم اتعود مثل هذا الفشل المهين في حياتي.

بدأت العمل في توزيع حمولتي من المشروبات الروحية في " مركز الهدار " في حيفا حتى الساعة الثامنة الا ربعا، وإذا بسماء حيفا تعج بأبواق سيارات الإطفاء من كل ناحية في المدينة، وكاد صندوق البيرة يفلت من يدي .. إذ تأكدت ان العبوءة قد إنفجرت اخيرا، وان النيران قد اشتعلت، لانه لا يمكن ان تخرج مثل هذه الاعداد من عربات الإطفاء والإسعاف من كل ناحية في حيفا لمجرد حريق عادي، فسارعت إلى سيارتي، واتجهت نحو الكرمل من شارع اورلوزوروف في الجهة الشرقية من حيفا لاشرافه على منطقة العملية، وفي احدى إنعطافاته المشرفة جيدا على منطقة العملية، وقفت انظر إلى السنة النيران وأعمدة الدخان المتطاولة حتى السماء، فشعرت بقلبي يرقص فرحا، وارتسمت على شفتي ابتسامة عريضة، فتناولت زجاجتي بيرة دفعت بواحدة لاخي مصطفى الذي كان ينظر إلى دهشا وقلت له وأنا ارفع زجاجتي إلى أعلى " في صحة اللي عملها " .. اخذت منظاري ورحت اشرف على عمليات الاطفاء برا وبحرا للنيران التى انتشرت بسرعة هائلة، إلى ان طوقت في الثانية عشر ظهرا . فأدرت سيارتي وصعدت إلى الكرمل لانهي عملي، فوجدت الكرمل كله قد تحول إلى شرفة مشاهدين لاروع عملية فدائية

Scanned by CamScanner

يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون في قلب إسرائيل، والتى سرعان ما تحولت إلى قصة اليوم على لسان كل مار وعابر.

فرغت من عملي مبكرا ذلك اليوم، كي أعود إلى عكا للاحتفال بنجاح عملنا الرائع، بعد أن أخذت جميع الإذاعات العربية تتناقل خبر اندلاع النيران في مصافى البترول في حيفا نقلا عن اذاعة إسرائيل التي لم تشر إلى انها كانت عملية فدائية . وفي طريق عودتي وجدت محمد غريفات في انتظاري عند منعطف " التشيك بوست " المؤدي إلى عكا والذي ما كاد يرى سيارتي مقبلة حتى تعرض لها بكل جسمه، فشد على يدي ونظر في عيني - دون ان يستطيع التحدث إلى في الموضوع لوجود أخي مصطفى إلى جانبي. فأومأت إليه برأسي ضاحكا من دهشته، ففهم أننا قمنا بها بدونه، ولم ننتظره كما وعدته بالامس.

وفي عكا عرفت ان الشرطة اعتقلت جميع صيادي الاسماك في المدينة ومن بينهم فتح الله وعبد حزبوز، ولكنني اطمأنيت لاعتقالهما مع عشرات آخرين مما جعلني أؤكد ان المخابرات تعتقد بان العملية قد نفذت عن طريق البحر . لم يدم اعتقالهما طويلا ولم يتعد التحقيق معهما او مع المعتقلين الأخرين الا من بعضهم اكثر من اثبات وجود كل منهم تلك الليلة . فاجتمعنا كلنا تلك الليلة في مقهى الكراكون نحتفل بنجاح العملية احتفالا عابرا، بعد ان كنا قد ينسنا جميعا من نجاحها . وهناك اتفقنا على ان احتفالنا الرسمي في بيت محمد غريفات ليلة الغد، متعللين بختان ابنه حسين، بحيث يدعو ضباط وحدته من الجيش وعدد من ضباط الشرطة من معارفه في عكا.

وهكذا كنا مساء الغد نجلس جميعنا حول طاولة الشراب بين عدد من ضباط الجيش الإسرائيلي والشرطة الإسرائيلية لنحتفل بأنجح عملية فدائية في قلب إسرائيل . وبينما كنا في ذروة نشوتنا، وإذا براديو إسرائيل يعلن

Scanned by CamScanner

ان الشين بيت " استطاع ان يلقى القبض على منفذي عملية أنابيب البترول في حيفا بعد تحريات واسعة. ومن بينهم فتاة ارمنية من حيفا . فرفعت كاسي مخاطبا ضباط الشرطة بان يرفع الجميع كؤوسهم لنشرب نخب " الشين بيت " الإسرائيلي والشرطة الإسرائيلية، اللذين استطاعا القبض على المخربين، بهذه السرعة، وهنا صفق الجميع ثم رفعوا كؤوسهم، فنظرت إلى الرفاق جميعا وغمزتهم لشرب نخب جلوسنا بين ضباط جيش إسرائيل وشرطتها . وما ان فرغنا حتى اقترحت ان نخلد هذه اللحظة بالتقاط صور تذكارية لنا، ونحن نشرب نخب المخابرات الإسرائيلية، فرفعنا كؤوسنا مرة اخرى لنترك لعدسة الآلة المصورة تسجل للتاريخ أروع صفحات نضال الشعب الفلسطيني وقدرته الخارقة في العمل حين اخذ زمام مصيره بيده .. بل لكل حركة تحرر على وجه الكرة الارضية.

سافرت مساء الجمعة إلى نابلس برفقة زوجتى وطفلي نمر وارواح ووالدتى للتغطية على اسباب سفري، واتجهت حال وصولي إلى بيت شاكر، وما كدت انزل من السيارة حتى كان شاكر يقبل علي، اذ كان يقف تلك اللحظة في زاوية الشارع مع الحاج اسعد، الذي لفت انتباهه إلى ان سيارة مخابرات تتجه نحو بيته، إذ كانت سيارتي من النوع الذي يستعمله رجال المخابرات، ولكن شاكر عرف سيارتي فأخبره بذلك يطمئنه إذ كانا يتباحثان تلك اللحظة في أسباب تأخري عن المجيء، وساورتهما الشكوك في البداية، الا انهما والآخرين اطمأنوا على سلامتنا حين سمعوا نبأ اعتقال الفتاة الارمنية من حيفا، وما كاد شاكر يصلني حتى عانقني فرحا قائلا انهم كانوا ينتظرون قدومي على احر من الجمر، لانه لم يجرؤ على مغادرة نابلس للاتصال بي، وما كدت ادخل البيت حتى كان الاستاذ احمد وعادل يدخلان علينا وهما لا يصدقان انني بينهم بلحمي ودمي، ثم صمتوا جميعا ناظرين إلى بعضهم . فتساءلت ما الخبر، فرد شاكر مترددا، ان هناك شخصا من

Scanned by CamScanner

جماعتنا جاء في الامس من عمان، ويودون تقديمه إلى إذا لم أعارض. لانه يحمل رسالة شفوية من " ابو عمار نفسه، ولكي يقص علي ما حدث في القيادة بعد نجاح العملية، فرفضت التعرف اليه في البداية، الا ان شاكرا والآخرين أقنعوني بذلك لانه يعرفني شخصيا هو الآخر وقد رآني وانا انزل من السيارة، وانه الشخص المكلف بنقل التقارير إلى القيادة ويعرف عني كل شئ، فوافقت على مقابلته على مضض بعد ان عبرت لهم عن مخاوفي لكثرة العناصر الذين يعرفونهم علي، وان ذلك خطأ فادحا في كل تنظيم ولا بد يقودنا في النهاية إلى كارثة ولذلك علينا ان نغلق الدائرة عند الحاج اسعد، فاحتجوا على ذلك متهمينني بعدم الثقة بهم والتشكك في أمرهم. فأجبت ان القضية ليست قضية ثقة فقط، وانما هي مسألة حذر، لان كل فرد منا ما هو الا من لحم ودم، وله طاقة معينة على الاحتمال إذا ما وقع في قبضة المخابرات الإسرائيلية ذات يوم لأنني أعرفهم جيدا وقد وقعت في قبضتهم عدة مرات من قبل . وكان الحاج اسعد ينتظر . ذلك الوقت في الخارج، إلى ان دعاه .شاكر وعرفني به، فرحت اتفحص بنيته المتينة رغم انه يقارب الخامسة والاربعين من عمره، ثم جلس إلى جانبي وراح يخبرني بأن " أبو عمار " يبلغنا أحر تحياته وشكره على انعمل الرائع الذي قمنا به، وأنه سيتعهد شخصيا تنفيذ جميع طلباتنا التي كنا قد طلبناها من القيادة، ويسألني اذا ما كان لدي اية طلبات أخرى سواء كانت تتعلق بعملي او شخصية، فأجبت انني أرجو ان يبلغه اننا لا نعمل من اجل ان يشكرنا او من اجل أي طلب شخصي، وانما كل ما نطلبه منه ان يزودنا بالمواد المتفجرة والأسلحة التي طلبتها منه منذ اكثر من عام ونصف ولم يزودنا بها، وبأقصى سرعة كي أتمكن من العمل، وان يبلغ بدوره " ابو خالد " ان هذه العملية كانت هدية من مجموعة رقم ٧٧٨ للشعب المصري ردا على قصف مصارفي البترول في السويس . ثم انتقل الحاج اسعد للحديث عما

Scanned by CamScanner

حدث من خلاف بين منظمة فتح والجبهة الشعبية بعد ان اعلنت كل منهما مسؤوليتها عن العملية، ثم مما اضطر قيادة فتح لعقد مؤتمر صحفي كان عليه ان يظهر فيه ملثما ليتحدث عن العملية ويقرأ تقريري الذي بعثت به للقيادة وعرض الصور التي كنت قد التقطتها لمكان العملية، فاستأت جدا لهذه المهاترات والمزايدات التى يقومون بها وطلبت اليه ان ينقل رجائي إلى قيادة فتح ان لا ينجروا خلف اية مزايدة عليهم بما يتعلق بعمليات مجموعتنا كي لا يفتحوا بأنفسهم علينا . ثغرة تستطيع المخابرات الإسرائيلية الوصول الينا عبرها . وانتقلت بعدها لاجلس مع الاستاذ احمد لنعد تقريرا مفصلا عن تنفيذ العمليه بالضبط وعن ساعة انفجارها وما ألحقته من أضرار ومتى استطاعت المطافىء التغلب على النار، وعن احتفالنا بنجاح العملية برفقة ضباط من الجيش والشرطة الإسرائيليين وكل ما دار في هذا الاحتفلى مبرزا دور محمد غريفات في تنفيذ العملية .

وقبل ان نفترق سلمني شاكر قلمي توقيت، واحد لست ساعات والثاني لاثنتي عشر ساعة، وسألني اذا ما كان لدي أي تخطيط لعملية جديدة، فأجبته انني انوي القيام بعملية في احدى شواطئ السباحة الكبيرة، ولكنني لم أقرر بعد أيها سيكون هدفنا، واننى سأعلمه في الاسبوع القادم مع تقديم تقرير كامل عن مكان العملية وتخطيط له .

عدت إلى عكا واجتمعت، بباقي الرفاق، وأطلعتهم على نتائج زيارتي لنابلس، وتدارسنا امكانية القيام بالعملية المقبلة في احد شواطئ السباحة، واستقر رأينا جميعا على شاطئ الطنطورة لكثرة المستحمين من الإسرائيليين والسياح الأجانب، ولبعده عن منطقة عكا، وامكانية اقامة خيمة عليه، تمكننا من العمل بهدوء داخلها، واتفقنا على ان أقوم برفقة فتح الله بزيارة استطلاعية خلال الأسبوع للاطلاع على سبل الحراسة هنالك، واذا ما كانت عمليات تمشيط للشاطئ قبل وفود المستحمين، وتعيين مكان العبوءة سلفا.

Scanned by CamScanner

اما يوسف ابو الخير فكان عليه أن يشتري الخيمة، ومن النوع الـهرمي الذي تغلق جهاته الأربعة " على أن نذهب يوم الأربعاء من نفس الاسبوع، وبعد ان اكون قد ذهبت للقائي الثابت مع المخابرات يوم الثلاثاء.

ذهبت لمقر المخابرات في حيفا يوم الثلاثاء، وكانوا ينتظرون قدومي. او اتصالي بهم تلفونيا، وراحوا يمطرونني بأسئلتهم عما اذا كنت سمعت شيئا ما بالنسبة لعملية أنابيب البترول في كيشون، واذا ما كنت اشك بأي من صيادي الأسماك في عكا، الا انني أخبرتهم انني سمعت من الإذاعة الإسرائيلية ان " الشين بيت" قد قبض على منفذي العملية ومن بينهم فتاة ارمنية من حيفا، فاجاب محدثي ان التحقيق معها اثبت ان ليس للمعتقلين اية علاقة بذلك، وأن المخابرات تعتقد ان العملية قد نفذت عن طريق البحر، وهنا انفجر احدهم معلقا بحدة انه لا يمكن لاحد ان يقوم بمثل هذه العملية المحكمة، الا اذا كان ابن داعرة، لانه قد دخل مكان العملية اكثر من مئة مرة في حياته ولم ينتبه لهذه الأنابيب، فأبديت استغرابي انا الآخر شاتما كيف استطاع " المخربون " الفلسطينيون الوصول إلى مثل هذا المكان، وتساءلت اذا ما كانت بالفعل عملية " تخريبية " كما تدعى الإذاعات العربية، ام انها نتيجة لخلل في أنابيب البترول، فأكدوا لي انها كانت عملية تخريبية جريئة وناجحة، فرحت أبدي استغرابي لاستطاعة " المخربين " الوصول إلى مثل هذا المكان، سائلا عن مكان هذه الخطوط بالضبط وبأية طريقة يعتقد "الشين بيت" أنها نفذت كي استطيع التحري عن منفذيها.

في نفس اليوم سافرت وفتح الله بعد الظهر إلى شاطئ الطنطورة بدلا من الغد كما كان مقررا، فنصبنا الخيمة ودرسنا إمكانية العمل داخلها، فتأكدنا أننا نستطيع دفن العبوءة دون ان نلفت انتباه اي شخص، ثم جبنا الشاطئ طولا وعرضا لاختيار المكان المناسب، بحيث يكون اكثر الامكنة ازدحاما بالمستحمين وكان أفضل مكان هو المكان المقابل لمقصف الشاطئ،

Scanned by CamScanner

لازدحامه باكثر عدد ممكن من المستحمين، ولعدم تمكن الجرار الذي يمشط الشاطئ من الوصول اليه . وكنا قد اكتشفنا ان هناك جرارا يقوم بعملية تمشيط بعد خلو الشاطئ من المستحمين بين الساعة السابعة والثامنة مساء. ثم قررنا العودة يوم السبت للتأكد مما اذا كان المكان الذي اخترناه يكون غاصا بالمستحمين بين الساعة التاسعة والحادية عشر صباحا، وهى الساعة المقررة لانفجار العبوءة إذا ما ثبت قلم التوقيت في العبوءة في التاسعة مساء.

عدنا يوم السبت كالمقرر، وكان المكان الذي اخترناه هو اكثر الأماكن ازدحاما بين الساعة التاسعة والثانية عشر، مما يضمن اصابة عشرات المستحمين، ثم نقلنا ما كتب فوق لافتة العبور لمدخل الشاطئ وغادرناه عائدين .

Scanned by CamScanner

عملنا جميعنا الاسبوع كله بانتظام دون ان نسافر إلى أي مكان خارج عكا سوى امكنة عملنا، واتفقنا على ان لا نقوم بالعملية الا بعد ان يمر شهر كامل على موعد العملية التي نفذناها في كيشون، لنشاط نقاط التفتيش في الطرقات ورجال المخابرات في كل مكان، ولكي نتحاشى الليالي المقمرة على الشاطئ من ناحية، ولكي يستطيع محمد غريفات تزويدنا بأكبر كمية ممكنة من قوالب الـ " تي.ن.تي. " والقنابل اليدوية - لاستعمالها زيادة على ما لدينا من مواد متفجرة.

في يوم الجمعة سافرت إلى نابلس، واتصلت بأفراد المجموعة هناك، حيث سلمتهم تقريرا عن مقابلتي مع المخابرات الإسرائيلية وما يتصورونه بالنسبة لعملية الكيشون . وعينت في تقريري مساء الجمعة من الاسبوع المقبل موعدا لتنفيذ العملية بحيث تنفجر العبوءة يوم السبت.

كان من رأي محمد غريفات ان انتظره للأسبوع القادم لنقوم بالعملية سوية مستغلين زيه العسكري لنقل العبوءة والقيام بالعملية، لكننا اتفقنا

Scanned by CamScanner

اخيرا على ان ننفذها في الموعد الذي حددناه في تقريرنا للقيادة اي يوم الجمعة وقبل عودته من وحدته على ان يراقب الاخبار ويكون على أهبة الاستعداد لاختطاف جنود فرقته إلى لبنان لتأمين الإفراج عنا اذا ما قبض علينا اثناء قيامنا بالعملية تحت اي ظرف من الظروف.

ارسلت زوجتي والاطفال، إلى بيت والدي في عكا، لنتمكن من اعداد العبوءة في بيتي في نهاريا، وكان كل ما بقي لدينا من مواد متفجرة لا يزيد على العشرين كغم وعشرة قوالب من الـ " تي.ن.تي. " الجيد وأربعة عشر قنبلة يدوية، قررنا ارفاقها للعبوءة رغم ما تنطوي عليه هذه العملية من أخطار. اما عبد حزبوز فقد أعد خمسة كغم من المسامير ذات الحدين، قصها بنفسه بشكل جانبي من قضبان حديد ذات الخمسين ملم لقتل وجرح اكبر عدد ممكن من المستحمين . وبعد تحضير العبوءة نقلتها في سيارتي الخاصة إلى حيفا حيث أخفيتها في صندوق سيارة الشحن التي اعمل عليها والتي أبقيها دائما في حيفا.

عدت يوم الجمعة من عملي مبكرا ومررت برامز خليفة وفتح الله ويوسف ابو الخير، فوجدت فتح الله مشغولا ولا يستطيع ترك عمله، أما عبد حزبوز فكان قد فوجئ بطلب من الكلية البحرية في عكا ليقوم برحلة بحرية في قاربه لطلبة الكلية وارتأينا ان يلبي الطلب لابعاد أية شبهة عنه اذا ما اعتقدت المخابرات ان العملية نفذت عن طريق البحر فنضمن بذلك عدم اعتقاله والتحقيق معه، وهكذا بقيت ورامز خليفة ويوسف ابو الخير .

فتركتهما في عكا ريثما اذهب إلى نهاريا لاحضار مسدسي وابنتي ارواح لتكون معنا . ولكي أستطيع اصطحاب أرواح كان لا بد لي من اغضاب أمها واختلاق اي شجار معها كي لا تطلب مني اصطحابها هي الاخرى، ولكي لا تسألني إلى اين أنوي اصطحاب أرواح . وهكذا تعللت بعدم تنظيف البيت واعداد الماء الساخن لي، مما جعلها تغضب مني وتذهب

Scanned by CamScanner

إلى بيت خالتها في نهاريا، وكانت هذه هي اللحظة التي انتظرها، فلبست ثياب البحر وألبست أرواح، ثم خرجت عائدا إلى عكا حيث مررت برامز خليفة ويوسف ابو الخير اللذين كانا في انتظاري ثم تابعنا سيرنا.

في حيفا نقلنا العبوءة والقنابل اليدوية والمسامير إلى سيارتي الخاصة، وتابعنا سيرنا إلى شاطئ " الطنطورة مقررين المقاومة حتى الموت إذا ما اعترضت طريقنا قوات الامن واكتشفت العبوءة . وفي الطريق عرجنا على محطة بنزين زخزون يعقوب، بعد ان عبرنا حاجز الشرطة عنده، بعد ان كنا قد نجونا باعجوبة، حين رفع الشرطي طرف الخيمة والعبوءة تحتها، ولكنه لم يفتش جيدا واكتفى بالتعليق على انها خيمة جيدة، لانشغاله بالرد على أرواح التي راحت تمطره بالاسئلة عن حاله واذا ما كان شرطيا، ولماذا لم يذهب إلى البيت بعد ليأخذ ابنته الصغيرة إلى البحر، وكانت تكلمه باللغة العبرية مما جعله يعتقد اننا يهود لصغر سنها ولا يمكن لطفل عربي في سنها ان يتكلم العبرية بهذه الجودة، فلم يسال عن هوياتنا ولم يسجل رقم السيارة.

جلسنا في مطعم المحطة لنأكل شيئا ما، ولكي نصل إلى الشاطئ متأخرين، ثم اشتريت جالون بنزين، خلطته في طريقنا بجالونين من زيت السيارات كانا معي لاضعهما حول العبوءة، وعند مدخل الشاطئ وجدنا لحسن حظنا حارس الشاطئ المناوب ينتظر سيارة تقله، فتوقفت ونقلته معنا مما جعلنا ندخل بوابة الشاطئ دون تفتيش، وكنا قد وصلنا في تمام الخامسة والنصف فنصبنا الخيمة في المكان المحدد، واستلقى رامز خليفة خارجها للحراسة وسكينه وسكين يوسف ابو الخير مغروزين في الرمل إلى جانبه، اما يوسف فذهب ليستحم بالقرب منا ثم عاد ليلعب الركت مع رامز، بينما انهمكت انا داخل الخيمة المغلقة باعداد الحفرة وأرواح معي، التي راحت تساعدني بيديها الصغيرتين على الحفر وهي تسألني ماذا أفعل،

Scanned by CamScanner

فأجيبها وأنا منهمك، اننى أحفر قبرا لاخوالها وأن لا تحدث امها عن ذلك واذا ما حدثتها فاتني لن آخذها معي إلى البحر مرة اخرى . وبعد ان فرغت من الحفر وضعت العبوءة في مكانها وجالونى الزيت المخلوط بالبنزين على جانبيها، الا ان المشكلة كانت في ربط القنابل اليدوية بسلك واحد على شكل سوار حول العبوءة بعد ان انتزع أمان كل واحدة منها، لتثور جميعها مع انفجار العبوءة، وكانت عملية شاقة وصعبة لان اي خطا قد يؤدي بي وبأرواح ورامز ويوسف إلى كارثة وإفشال العملية . وكنت اثناء ادخال السلك في ثقب أمان كل قنبلة أتنفس الصعداء، وأرواح لا تكف عن الحديث الي ومسح عرقى المتصبب من جبيني بمنشفتي، أما رامز فكان لا يكف عن ترديده بالعبرية جملة " ألم تفرغي بعد يا سيدتى، ماذا دهاك، هل دخلت لتنامي ام لتلبسي ثيابك " وكان يردد ذلك كلما كثر الناس حوله، فترد عليه أرواح وبالعبرية ايضا " انتظر لحظة .. سنفرغ حالا " وأخيرا فرغت من العمل بعد ان نجوت من الموت مرتين، حين كانت أرواح تحاول اختطاف القنبلة من يدي وهي تطلب مني ان أدعها تساعدني على مسك القنبلة كي أتمكن من ادخال السلك، فاشتمها همسا كى تسكت .

فرغت من تثبيت سوار القنابل حول العبوءة، ثم دفنتها مؤقتا، كى اعود وأثبت قلم التوقيت في العبوءة قبل مغادرتنا، وكان الوقت المعين لتثبيته هو التاسعة ليلا، لانه لاثنتي عشر ساعة، وكنت أعتقد انه سيتأخر عن الوقت المحدد له ساعة على الاقل او ساعتين أقصى حد، كما حدث بقلم التوقيت الذي استعملناه لعبوءة أنابيب البترول، وهذا معناه ان العبوءة ستنفجر بين العاشرة والحادية عشر صباحا بدلا من الساعة التاسعة، وهو الوقت الذي يبلغ فيه عدد المستحمين ذروته، وكنت فرغت من ذلك حوالى الساعة الثامنة فخرجت من الخيمة ونزلت إلى الماء مع أرواح، ثم رحت العب الكرة معها بالقرب من الخيمة، وهي لا تكف عن الحديث معي ومع

Scanned by CamScanner

رامز يوسف بالعبرية على غير عادتها حين تكون معي، وفجأة صاحت بالعربية تنبهني إلى ان طابورا من الجنود يمر بالقرب منا، فاغلقت فمها لحظة فلم ينتبهوا مستمرين في سيرهم مبتعدين عنا، وما كدت أرفع يدي عن فمها حتى جرت ناحية رامز تحدثه بالعربية بصوت مرتفع، فراح رامز يشتمها بالعبرية سائلا ما الذي خطر لها فجأة لتحدثه بالعربية في هذه اللحظة بالذات التي يمر فيها الجنود وبعض المستحمين لا يزالون حولنا.

في التاسعة تماما أزلت أمان القلم وثبته في العبوءة واضعا فوقه علبة صغيرة من الصفيح كى لا يسد الرمل فتحته فيمنع عنه الهواء، ثم دفنت العبوءة في الرمل جيدا، ورحت أدك الرمل فوقها بينما اخذت أرواح تدكه برجليها . فتقدم منى رامز قائلا بأننى مجنون، فأجبت انه اذا ما قدر لى الموت فلتذهب معي هى الاخرى، وعندها تقدم هو الاخر وقال مازحا انها لمهزلة ان تكون أرواح اشجع منه واذا ما كنا سنطير فلنطر سوية.

غادرنا المكان في التاسعة والنصف، وعلى بعد كيلومتر واحد من مدخل الشارع المؤدي إلى الشاطئ بالقرب من قرية الفريديس، اوقفتنا الشرطة، فكان يوسف يقود السيارة، بينما كانت أرواح تنام في حضني، وحين طلب الشرطى هوياتنا ورخصة السواقة، اكتشف يوسف انه قد نسى رخصته في البيت فسجل له الشرطى مخالفة، وراح يسألنا من اين نكون ومن اي شاطئ نجيئ، فأجبته أننا من عكا وأننا نجئ من شاطئ نتانيا، فسال لماذا نذهب إلى شاطئ نتانيا ما دامت هناك شواطئ أقرب إلى عكا، فصحت به مفتعلا الغضب، بان هذا ليس من شأنه، وانما هو شاننا نحن ان نختار الشاطئ الذي نود الاستحمام فيه، واذا ما كان لديه اعتراض يستطيع تسجيل مخالفة لنا، فاعتذر قائلا ان ذلك لم يكن سوى مجرد ملاحظة، ولحسن حظنا تركنا نتابع سيرنا بعد ان سجل مخالفة ليوسف، ولم يسجل اسماءنا عنده كالمعتاد في نقط التفتيش، واستلمت انا مقود السيارة حتى

Scanned by CamScanner

عكا، وأنا اتفتت غيظا من يوسف لهذا الخطأ الذي وقع فيه والذي قد يودي بنا إلى كارثة في الغد، اذا ما قامت الشرطة في التحقيق بالحادث، واستدعت سائقي السيارات التي مرت على الخط، وخاصة بعد ان سجل لنا الشرطي المخالفة وعرف اننا كنا نستحم، فاتفقنا على ان اسافر في الصباح الباكر إلى نابلس بحجة اننا كنا في ذلك اليوم في نابلس لابتياع بعض الحاجيات ليوسف، فعاد يوسف ورامز بينما بقيت انا لاتمام الصفقة على ان يأتي يوسف في الغد لنقلها، هذا اذا ما استدعته الشرطة للتحقيق معه.

سافرت في الصباح الباكر إلى نابلس، واشتريت بالفعل هناك بعض القطع التي تلزم يوسف في عمله، ثم ذهبت إلى بيت شاكر فوجدته هناك ثم التحق بنا الاستاذ أحمد وعادل، ورحت انتظر على أحر من الجمر اذاعة النبأ حتى الساعة الثانية عشر من بعد الظهر، الا انني لم أسمع النبأ لا من إذاعة إسرائيل ولا من اية إذاعة عربية، فلاحظ الاستاذ احمد علي قلقي وسالني لماذا ابدو قلقا فاخبرته بالموضوع، وان الساعة قد تعدت الثانية عشر دون ان اسمع اي نبأ عن انفجار العبوءة، بينما أنتظر ذلك منذ الساعة التاسعة، أخشى ان تكون العبوءة قد أكتشفت او لم تنفجر . فراح يهون علي الامر، فقلت له ان ما يهمني الان هو ماذا ستفكر القيادة عنا، حين لم تسمع اي نبأ عن الانفجار، وقد وعدتهم بأننا سننفذها اليوم، وحين نقطع على انفسنا وعدا ما، ننفذه ولو كلفنا حياتنا، فأجاب بان القيادة تعرف ان ثمة ظروفا قاهرة في بعض الاحيان تحول دون تنفيذ عملية مخططه، وما علي إلا ان أتحرى ما حدث لنعد تقريرا للقيادة به نشرح لها فيه ما حدث بالضبط، فقلت، انه شيء مؤسف حقا، لاننا أعددناها لتكون عملية رائعة وعنيفة واضعا له كيف أعددتها وما هي تقديراتي بالنسبة لخسائرها.

في الساعة الثانية تماما، أدرت مفتاح صوت العرب، واذا بالمذيع يذيع نبأ أنفجار العبوءة نقلا عن إذاعة إسرائيل، ويقول انها انفجرت في

Scanned by CamScanner

الساعة السادسة صباحا، وانها كانت عملية انذارية للحكومة الإسرائيلية عن ما يقوم به الطيران الاسرائيلي من قصف للمدنيين في منطقة اربد، واضطهاد اهالى الارض المحتلة، وكان الاستاذ احمد يجلس تلك اللحظة إلى جانبي في السيارة، فجن جنوني هذه المرة ورحت أشتم وأصرخ في وجهه وأتهمهم انهم يفشلون العمليات التي تقوم بتزويدي بأقلام توقيت اما تتأخر اربع ساعات عن الانفجار واما تتقدم اربع ساعات ولا ادري متى تتأخر ومتى تتقدم، ولا بد لهم من تزويدي بساعات توقيت كي تكون عملياتنا دقيقة وناجحة، لانني اغامر بحياتي وحياة ستة من افضل العناصر الفدائية للثورة الفلسطينية وبحياة اطفالنا وعائلاتنا، جميعا، ولا يمكن لنا ان نستمر على هذه الحالة بل ولا يمكن للثورة الفلسطينية ان تنتصر وان تستمر هي الاخرى اذا ما استمرت . في هذه اللامبالاة القاتلة لمصير عناصرها ونجاح مهماتهم، وما لم يدرك كل مسؤول ان كل عملية ناجحة في قلب اسرائيل انما هو مسمار في نعى أمنها وكيانها.

بت تلك الليلة في نابلس، وفى صباح اليوم التالي بـ .. حار ليوسف ابو الخير تلفونيا ورجوته ان يذهب إلى يوسف ويخبره ان السياره قد تعطلت معي في نابلس، وانني ساكون في عكا بعد ساعتين، وأنني قد ابتعت له ما أوصاني به، ثم سألته ان يعود مرة اخرى ويتصل بي ليخبرني اذا ما كان قد وجد يوسف ونقل اليه الخبر، واذا ما كان يريد شيئا آخر من نابلس، وكنت أقصد بذلك للاطمئنان على يوسف والتأكد من انه لم يعتقل من ناحية، واثبات وجودي من ناحية اخرى، احتياطا لأي طارئ قد يحدث وأسأل فيه عن مكان وجودي، ثم تركت الاستاذ احمد وعدت إلى عكا على ان اعود إلى نابلس في الاسبوع القادم .

عرجت في حيفا على مكان عملي، فالتقيت هناك بأحد الأشخاص الذين اعرفهم، وما كاد يراني حتى بادرني بالسؤال عما اذا كنت اعرف ما

Scanned by CamScanner

حدث، فأبديت استغرابا وأنا اسأله ماذا يعني، فراح يقص علي ما حدث في شاطئ الطنطورة، وأنه كان يبيت تلك الليلة في قرية الفريديس، فسمع في الساعة السادسة انفجارا هز القرية كلها بعنف، وقد اعتقلته الشرطة بعدها مع مئات الشباب من القرية وكل عابر للتحقيق، ولكنه ذهب بعد ان اطلقت الشرطة سراحه، ورأى مكان العملية قائلا بأن سيارة " ماك " تنزل مكان العبوءة، وان بعض الأبنية في القرية القديمة قد هدمت، ثم عقب بغيظ " انني لا أدري لماذا لم يوقتوا هؤلاء الأغبياء العبوءة للساعة العاشرة او الثانية عشر إذ لكانوا استطاعوا قتل وجرح المئات من المستحمين .. صدقني يا فوزي، انني اعرف المكان جيدا " ثم استدرك بأن الشرطة تعتقد ان من قاموا بالعملية لا بد وان يكونوا قد جاءوا عن طريق البحر.

وصلت إلى عكا، واذا بخبر انفجار العبوءة هو حديث الناس، وان الرعب قد عم جميع شواطئ السباحة الاسرائيلية، لان الشرطة وحرس الحدود اخرجت جميع المستحمين من شواطئ السباحة وأغلقتها، وقد رأيت بالفعل مئات من رجال الشرطة وحرس الحدود والجيش يجوبون الشواطئ من حيفا حتى رأس الناقورة.

في يوم الثلاثاء ذهبت إلى مقر " الشين بيت " في حيفا، واعلمتهم انني لم استطع سماع اية اخبار بالنسبة لعملية كيشون، فانفجر محدثي قائلا، ان هؤلاء اللقطاء لا بد وأنهم يأتون عن طريق البحر، وراح يقص علي ما حدث في شاطئ الطنطورة، وسألني اذا ما سمعت بالخبر، فأجبت انني سمعت، فعقب بان إذاعة فتح تدعي انهم وضعوها للانذار وقد أذاعوا بيانا مفصلا عن مكان العملية وعن عدد المستحمين الذين يؤمون الشاطئ ومتى يكون الشاطئ مزدحما، ولو انهم ارادوا ايذاء مئات المستحمين لكانوا استطاعوا ذلك . ثم اضاف ان ذلك صحيحا، وانه كان بامكان تلك العبوءة التي انفجرت ان تقتل وتجرح المئات ولكان هو وأبناؤه بينهم لانه كان في

Scanned by CamScanner

طريقه إلى الشاطئ ذلك اليوم، ولكنه لا يعتقد انها كانت عملية انذارية، بل كانت عملية إنتقامية عنيفة ولكن العبوءة لم تنفجر في الوقت المحدد لـها، وهنا راح يشرح لي كيف ان " المخربين " وضعوا كمية كبيرة مـن قطـع الحديد كالمسامير والقنابل اليدوية والبنزين، لإيذاء أكبر عدد ممكن . وهنا دخل علينا شخص آخر وراح يسألني عن بعض الاشخاص الذين غادروا عكا قبل حرب حزيران وبعده، ولذا ما كانوا من الرجال الذين باستطاعتهم القيام بمثل هذا إلعمل " التخريبي " وراح يركز أسئلته حول عمر السيلاوي، فقلت له انني اعرف عمر جيدا ومنذ طفولته، وانني لا أعتقد انه يصلـح لغـير تعاطي المخدرات و " الزعرنة "، كما انه غير طبيعي، وكنت اقول ذلك بدافع حاستي السادسة بالنسبة له، لان سؤاله عنه لا يمكن ان يكون عفويا وانما نتيجة لتحريات مسبقة خلفه ولانني كنت قد اعطيت اسمه في وقت

سابق للقيادة علهم يستغلون مقدرته في نقل المواد المتفجـرة إلـى جانب قاسم ابو خضرا . ثم تابع حديثه مؤكدا ان يد قاسم ابو خضرا فـي الموضوع لانه الوحيد الذي يعرف البحر والشواطئ الإسـرائيلية كبيتـه . فعلقت على حديثه هازئا بأن ذلك هو ابعد مما أتصوره لان قاسـم كـان محكوما عليه بالإعدام في لبنان وانه خرج من إسرائيل وهو مريض ومحطم النفسية وانني أعتقد ان من يقوم بهذه العمليات لا بد وأن يكون من الضفة الغربية بمساندة اشخاص من المثلث، وانني سأبذل كل ما في وسعي فـي التحري عنهم اينما كنت ربما استطعت اكتشاف ولو طرف خيط يؤدي للقبض عليهم، ويستطيع ان يثق بى . وكنت أقصد بذلك صرف نظرهم عن البحـر وعن منطقة الشمال اجمالا، اذ شعرت بالخوف من ان انصراف تفكيرهم إلى البحر قد يودي في النهاية إلى افشال خطتنا في الحصول علـى المـواد المتفجرة.

Scanned by CamScanner

بدأنا نخطط لعملية أخرى، ولكننا لم نعد نملك اية كمية من المـــواد المتفجرة، فقررنا تحضير المواد المتفجرة بأنفسنا بما يزودنا بـــه محمـد غريفات من قوالب الجنلايت والقنابل اليدوية . ووقع اختيارنا هذه المـــرة على خزانات البترول الضخمة في قريات حاييم، وهي خزانات ضخمة كنـت لا أزال أذكر بناءها تحت الارض عام ١٩٥٢ . على جانب الشارع العام بين اشجار الكينا، بالقرب من استاد قريات حاييم الرياضي، ولا يظهر منها الا فتحات أنابيب التهوية فوق الارض، وفتحات الخزانات الرئيسية . شـــرعنا بمراقبة المنطقة جيدا فاكتشفنا انه لم يكن هناك سوى حارس واحد يتفقـد أقفال المفاتيح الرئيسية للأنابيب، وفتحات الخزانات الرئيسية، وكان يبدأ اول جولاته في الساعة السادسة مساء، ومرة كل ساعتين، وأنه كان مسـلحا بمسدس وبندقية عوزي اوتوماتيكية.

أعددنا تقريرا كاملا عن مكان العملية وجميع التفـاصيل المتعلقـة بخزانات البترول وما يحدها من اماكن ومصالح عامة .. وأرفقناه بتقريـر

Scanned by CamScanner

عن عملية شاطئ الطنطورة ونتائجها وتصور المخابرات الإسرائيلية لها .. ثم سافرت إلى نابلس يوم الجمعة لاسلم التقريرين لشاكر وباقي الرفاق هناك

إجتمعت بشاكر وأحمد وعادل، ورحنا نتدارس امكانية الحصول على مواد متفجرة، بعد ان سلمتهم التقريرين، ملحا عليهم للحصول على اية كمية من المواد المتفجرة للقيام بهذه العملية بأسرع وقت .. فعلق شاكر بمرارة انه لم يعد أمامنا من وسيلة للحصول على المواد المتفجرة لان القيادة تهمل طلباتنا بشكل مخز، ولم تبعث لنا حتى ولا قلم توقيت واحد، وما علينا الا تدبر الأمر بأنفسنا، مما دعا عادل ان يحضر ما يقارب الخمسة كيلوغرامات من المواد المتفجرة بنفسه كي يزودنا بها اذا ما وافقنا على استعمالها لانه غير واثق منها . اما الحاج أسعد فقال انه استطاع الحصول على عشرة أصابع جلنيت صغيرة نستطيع خلطها مع المواد المتفجرة الاخرى، فأخبرتهم انه لا يهمني ان نحضر المواد المتفجرة بأنفسنا وأننا قد فكرنا نحن ايضا في ذلك، وان محمد غريفات قد وعدني هو الآخر بالحصول على عدد من قوالب الـ " تي.ن.تي " في الاسبوع القادم، وهذا معناه اننا نستطيع القيام بالعملية التي خططنا لها، والتي أعددنا بها تقريرا مع الاستاذ أحمد وطلبت اليه ان يضيف إلى التقرير بأننا سننفذ العملية في الأسبوع القادم، وعليهم ان ينتظروا في القيادة نبأ نجاحها من إذاعة اسرائيل.

بعد يومين نقل يوسف ابو الخير المواد المتفجرة التي كانت لدى عادل إلى عكا وأخفاها في منجرته، بينما حصل عبد حزبوز على ماسورة من الحديد الصلب لاعداد العبوءة بها وكان علينا ان نحتال على صديقنا مصطفى الشامي لاعداد الماسورة في محددته دون ان نشعره بذلك ودون ان يكون حاضرا، وكان عبد حزبوز قد اعتاد على استعمال محددته في السابق ويثق به ، وفعلا تم اعدادها هناك دون ان يعلم مصطفى شينا .

Scanned by CamScanner

اتصلت بمحمد غريفات الذي كان سيسافر إلى عمله في الغد صباح الاثنين، واتفقت معه على ان يحاول الحصول على اكبر كمية ممكنة من قوالب الـ "تي.ن.تي" ويرميها في مكان معين خارج اسلاك المعسكر، ثم آتي انا إلى المعسكر بسيارتي صباح الاثنين القادم، لاقله إلى عكا بعد ان نلتقط ما رماه من قوالب الـ " تي.ن.تي " والقنابل اليدوية، ثم خرجنا سوية مصطحبين ابنته الصغيرة " لنا " معنا، بعد ان قررنا القيام بجولة استكشافية لمنطقة العملية، وفي طريقنا عرجت على شقيقتي فايزة واصطحبت ثلاثة من ابنائها الصغار وابنتي أرواح بحجة انني لا أعمل ذلك اليوم واود اخذهم إلى نزهة معي . ثم انضم الينا فتح الله ورامز خليفة ومعه اثنين من اطفاله هو الآخر، واتجهنا نحو منطقة العملية بعد ان كنا قد تزودنا بكل ما يلزم لرحلة عائلية.

نزلنا في الحرش المحاذي لمكان العملية، ورحنا نخطط على الطبيعة للعمل وكيفية تنفيذ العملية ودور كل واحد منا ومكانه، وقد دفعنا الصغار للعب بالكرة إلى جانب الخزان الارض الذي قررنا وضع العبوة فيه، لنمتحن كيفية فتحه ونوع أقفاله الاربع الكبيرة . مكثنا هناك حتى الساعة الثامنة مساء، وهي الساعة التي كانت محددة لبدء العملية بعد ان يكون الحارس الليلي قد قام بثاني جولاته الليلية مرة كل ساعتين، ثم قفلنا عائدين جميعا إلى عكا.

كنت يوم الاثنين قد وصلت المعسكر في ساعة مبكرة من الصباح، ورحت أنتظر محمد غريفات خارج الاسلاك بسيارتي، وما لبث ان تقدم منى وناولني حافظته العسكرية التي كانت تحوي عشرة قوالب من الـ " تي.ن.تي " ذات المئتين غرام، وكمية كبيرة من الذخيرة وبعض القنابل اليدوية ثم غاب قليلا وعاد بدستة اخرى من قوالب الـ " تي.ن.تي " والقنابل اليدوية، التى سلمناها لدى عودتنا إلى يوسف ابو الخير وعبد

Scanned by CamScanner

حزبوز لينتهيا من اعداد العبوءة باسرع وقت ممكن وحددنا مساء الأربعاء من نفس الاسبوع لتنفيذ العملية كي يكون محمد غريفات معنا لخطورة العملية.

صباح اليوم التالي الثلاثاء، اتصلت بمكتب " الشين بيت " في حيفا، لاخبرهم ان ليس من جديد لدي وانني لم استطع سماع أى شئ بالنسبة للمخربين " الذين قاموا بعمليتي الكيشون والطنطورة، وسألتهم إذا ما كان ثمة حاجة لحضوري، فطلبوا إلى، الحضور عند الانتهاء من عملي، ففرغت من عملي مبكرا، وقد لمعت في ذهني فكرة رائعة، وهي إن ننفذ العملية بعد خروجي من مقر " الشين بيت " فورا، فطلبت إلى أخي مصطفى الذي كان برافقني في العمل، أن يعود إلى عكا على جناح السرعة وحده، لأنني مشغول، ويتصل بيوسف أبو الخير وعبد حزبوز فور وصوله ويخبرهما أنني اطلب إليهما أن يكون جاهزا هزا في الساعة الرابعة من بعد الظهر لاتى في مقابلة لي مع المخابرات اليوم، وانوي تنفيذ العملية بعد خروجي من المقابلة، بدلا من الغد، وان يتصل بعدها بفتح الله ورامز خليفة ومحمد غريفات لينتظروني جميعا في مقهى الكراكون بين الساعة الرابعة والخامسة مساءا.

كانت مقابلتي مع المخابرات ذلك اليوم من أهم مقابلاتي معهم، فبعد أن أخبرتهم انني لم اسمع أي شئ في عكا يفيدنا، مبديا استيائي من تفاهة ما يكلفوني به، وماذا يتأملون ان أفيدهم في عكا . التي أصبحت مزرعة للحشاشين والمتسكعين، فعلقوا ان كل ما يهمهم ان لا يخرج من بين هؤلاء الحشاشين من يتعاون مع المنظمات " التخريبية " عن طريق الضفة الغربية أو قطاع غزة وان اكثر من يخشونهم هم رجال البحر، لان اكثر العمليات التي حصلت في الداخل في منطقة حيفا، كانت قريبة من البحر، فرحت أطمئنهم على انني لا اصدق حتى ولو رأيت بأم عيني، ان واحدا من عكا

Scanned by CamScanner

من هو على مستوى مسؤولية كهذه، اذ لا يمكن لحشاش او مقامر ان يؤتمن على مثل هذا العمل، أما بالنسبة لرجال البحر فثمة رأي عام بالنسبة لهم بانهم يتعاونون جميعا مع " الشين بيت " منذ قيام الدولة . وهنا قاطعني احدهم قائلا بنوع من الغضب " وأنا اقول لك أن غزة مزرعة للحشاشين ولكنها اكبر مزرعة للمخربين الخطرين، فما رأيك ؟ " ثم عقب على ان هناك بعض البحارين ممن يخشاهم في عكا رغم انهم اصدقائي المقربين أستطيع إبداء رأيي فيهم . وعندما سالت من منهم يقصد أجاب سائلا " ما رأيك في عبد حزبوز وفتح الله الذي يعمل معه مثلا ؟ " فأجبت انني أعرفهما جيدا، وانهما من أصدقائي المقربين جدا ويقضيان اغلب اوقات فراغهما معي، ولا يمكن لهما ان يقوما بأي عمل دون ان اعرفه حتى ولو لبسا " طاقية اخفاء "، والذي أعرفه عنهما ان عبد حزبوز لا يختلط بأحد ويقضي وقته كباقي الصيادين اما في البحر ليلا، واما ثملا او " مسطولا " طول النهار، أما فتح الله فلا يصحو من الحشيش مطلقا، وأنه لا يحسن من عمل غير الضحك دائما، وأنه شاب بسيط للغاية ولم اسمعه مرة في حياتي يتحدث في السياسة .فقال " هذا بالنسبة لعبد حزبوز وفتح الله، فما رأيك في رامز خليفة ؟ " وهنا خفق قلبي واعتقدت ان ثمة دلائل لديهم عما نقوم به، ولكنني ضحكت مستهترا، وقلت انه ابن شرطي اولا، وانه من الشباب المنحلين قوميا، ولا يهمه غير ان يقضي وقته في جمع النقود وترفيه نفسه، ومن ثم فان جميع من ذكر لي يعملون ويربحون جيدا، ولا خوف من اغرائهم بالمال .. ثم عقبت ضاحكا انه لم يبق من الشلة غيري وانني بين أيديهم ويعرفونني جيدا، أما اذا ما عرفت عن نفسي ما يضر أمن الدولة فانني سأعلمهم بذلك، فانفجروا جميعهم ضاحكين . ثم قلت جادا، بانني كنت اعتقد حين طلبوا الي التعاون معهم انهم سيكلفونني بعمل ذي اهمية وعلى مستوى المغامرة، ولم اكن اعرف انهم سيكلفونني بما تستطيعه اية ابنة ليل في عكا، او أي

Scanned by CamScanner

حشاش فيها. ولهذا فإنني قررت قطع علاقتي بهم، لانني غير مستعد لمثل هذا العمل، وكنت اقصد في ذلك جرهم للحديث عن امر لا يذكرونه لي الا تلميحا، وهو امكانية ارسالي إلى عمان للقيام بمهمة خطيرة، ونجحت فعلا في حملهم على التصريح بانهم يعلقون علي آمالا كبيرة في مهمة خطيرة، وأنهم سيطلعوني عليها في وقت قريب لاحق . وانهم يكتفون مني حتى ذلك الحين ان اكون رجلهم في عكا وقضائها، كي يكونوا مطمئنين ان خطر من ناحيتها.

انتهيت من لقائي مع المخابرات عائدا إلى عكا فورا، وانا افكر في طريقي اذا ما كانت اسئلتهم بالنسبة لافراد المجموعة مجرد صدفة كباقي الشباب الذين سألوني عنهم، ام انها كانت وليدة شكوك تدور حولهم وحول تحركاتهم . توجهت حال وصولي عكا إلى بيت يوسف ابو الخير مباشرة، فوجدته ينتظرني برفقة عبد حزبوز، وكانا قد فرغا من اعداد العبوءة تماما ولحمها من الجانبين جيدا، بعد ان ضغطا المواد المتفجرة كلها داخلها في انتظار قدومي فاتصلت بباقي افراد المجموعة، حيث تم الرأي على ان يشترك جميعهم في هذه العملية عدا عبد حزبوز الذي كان عليه ان يثبت وجوده في عدة مقاهي في عكا، وبهذا نضمن اثبات وجودنا جميعا، لانه حال سؤال اي واحد عن اي فرد منا كان على عبد حزبوز ان يجيبه بأنه تركه لتوه، وأنه سيحضر بعد قليل . وكان تنفيذ العملية يحتاج إلى خمسة منا، لما تحتاجه من مراقبة وسرعة في العمل، لوقوع الهدف في منطقة مأهولة. ولا يبعد عن الشارع العام اكثر من ثلاثين مترا، بحيث يكون فتح الله إلى جانبي يساعدني على فتح باب الخزان الحديدي الثقيل، ويرتب المنطقة من حولي، بينما يقوم رامز خليفة ومحمد غريقات بحراستنا من جهة الشارع مختفين خلف اشجار الحرش المحاذية لتفادي اية مفاجأة . اما يوسف ابو الخير فكان عليه استلام السيارة عند منطقة العملية والذهاب بها، على ان يعود بعد

Scanned by CamScanner

نصف ساعة من وصولنا، ثم يعود لالتقاطنا بعد تنفيذ العملية . وكان على رامز ان يسبقنا بسيارة الباص، وكل من فتح الله وبوسف في عربتي أجرة منفردتين إلى قريات حاييم، بحيث يجتمع ثلاثتهم في مقهى تل حنان في مركز المنطقة الصناعية على جانب الشارع العام، ثم ألحق انا بهم بسيارتي مع العبوءة يرافقني محمد غريفات بملابسه العسكرية وسلاحه ليسهل علينا عبور نقطة التفتيش، ويبعد عنا الشبه في منطقة العملية، وكان عليه انتظاري جاهزا بالقرب من بيته ريثما اذهب إلى بيتي في نهاريا لارتداء ملابسي الخاصة للعمل، واحضار مسدسي، فوجدته عند عودتي برفقة جندية من وحدته التقى بها صدفة في طريقه فوقفت تحدثه دون ان يستطيع التخلص منها، وعندما توقفت بسيارتي راحت تسأل عن وجهتنا، فأجبت بأننا مسافرين إلى حيفا، فقالت في فرح وهي تمسك بذراع محمد بانها تستطيع طبعا ان تصل معنا إلى " قريات موتسكين "، فأجبت قبل ان تحرج محمد بسؤالها ان طبعا تستطيع. فنظر الي محمد مستغربا وهو يصعد قبلها بحماس بيني وبينها، فقلت ضاحكا، بأنه لم ينقصنا للحراسة غير موشيه ديان، فالتفتت لسماع الاسم سائلة ما الذي دعا لذكره . فأجبت انني قلت لمحمد انك جميلة ولا بد ان يكون ديان قد اكتشف ذلك، فأجابت ضاحكة بأن ذلك صحيحا ولكنه قد أصبح عجوزا لواحدة في سنها .

وبينما كنت اشرح لمحمد دوره في العملية ونحن في طريقنا، وماذا عليه ان يفعل في حالة اي طارئ واذا بالشرطة توقفنا عند نقطة التفتيش فتقدم منا شرطي كان يعرفني ويعرف محمد جيدا فبادرني " اهلا فوزي .. إلى اين ؟ " فرددت تحيته وأخبرته انني مسافر إلى حيفا لقضاء حاجة هناك، ولكي أصرف نظره ونظر رفيقه الذي انضم اليه، عن أي تفتيش قد يعن لهما رغم انني بصحبة جنديين، سألته عن احوال سيارته الخاصة، واذا ما كان قد تخلص منها، وكنت أعرت انها تسبب له كثيرا من المشاكل،

Scanned by CamScanner

وقد أصلحتها له عدة مرات في كراج الشرطة اثناء سجني في نظارة مركز الشرطة في عكا، وكنت آمل بذلك ان يرد علي باقتضاب ثم يتركني أتابع سيري، الا انه راح يحدثني كيف انه تعب منها ويحاول التخلص منها، حين تتوفر لديه بعض النقود لاستبدالها، وفجأة سألني اذا ما كنت أود بيع سيارتي له، لانه يعرف انني ميكانيكي جيد، ولا بد وأن تكون سيارتي خالية من اية مشاكل، فاجبته انني مستعد اذا ما دفع ما تستحقه من ثمن. فراح يفاصلني على ثمنها، بينما راح محمد غريفات يكتم غيظه مني بقضم أظافره . والدوس بقدمه على قدمي بعصبية كي انهى الحديث الذي فتحته معه، اما الجندية فراحت تقاطعه بغضب وهي تسأله اذا ما كان وقت تجارة الآن . ام وظيفة وأنها تريد ان تصل البيت، الا انه تابع حديثه معبرا عن رغبته في تجربة السيارة اولا، اذا كنت لا أعارض، فأجبت بأنني بالطبع لا أعارض، هاما بإخلاء مقعدي خلف المقود والجلوس خلفه، فضغط محمد بيده على فخذي بكل قوته عاضا على شتيمته لي، لكنه ما لبث ان تنفس الصعداء حين ضحك الشرطي قائلا، انه لا يقصد تجربتها الان، وانما في وقت لاحق في احدى اجازاته الاسبوعية . ثم تركنا متمنيا لنا سفرا موفقا . فتابعت سيري ناظرا إلى محمد وأنا أنفجر ضاحكا منه، بينما راح هو يشتم الساعة التي تعرف علي بها، قائلا انه لن يرافقني بعد هذه المرة مطلقا، لانني لا بد وان ارمي نفسي وارميه بداهية اذا ما استمريت في استهتاري . اما الجندية فلم تفقه مما نقوله شيئا ولكنها راحت تعلق على صبري وبرودة دمي وسخافة رجال الشرطة وتفاهتهم .

مررنا بمقهى " تل حنان "، فرأيت فتح الله ورامز ويوسف يجلسون كل إلى طاولة يأكلون البوظة، فتوقفت عند مقهى آفر بالقرب منه، فرفع رامز قبعته المصنوعة من القش عن راسه ليفهمني انه رآني . فتركت ومحمد غريفات سيارتنا وجلسنا في المقهى الآخر بعد ان طلبنا نحن

Scanned by CamScanner

الآخرين " البوظة "، وكانت علامة بيننا ان كل شيء على ما يرام وأن احدا منهم لم تؤخذ تفاصيله الشخصية اثناء حواجز الشرطة . وما كدنا نفرغ من " بوظتنا " حتى كانوا ثلاثتهم يجلسون في صندوق السيارة الخلفي بعد ان توافدوا واحدهم تلو الآخر، فصعدت انا ومحمد السياره متابعين سيرنا.

تركنا الشارع الرئيسي، داخلين في منعطف كيشون إلى اليمين، ثم انعطفنا بعدها في شارع الـ " آي.بي.سي " يمينا، على بعد ما يقارب الثلاثمائة متر من عريشة بطيخ جانب الشارع . وكان الهدف يبعد عن الشارع حوالى ثلاثين مترا فقط، بحيث يحده من الشرق " معبرة قريات حاييم " القديمة، يفصلها عنه خط القطار الحديدي الذي لا يبعد سوى ستين مترا تقريبا، ومن الغرب يحده حرش كينا مزروع فوق الخزانات الارضية .. أما من الشمال يحده مضخة مياه ومحول كهربائى للضغط العالي مركزيين للمنطقة الصناعية والمستوطنات والكيبوتسات المحيطة كلها بالقرب من الاستاد الرياضي الكبير.

انتظرنا قليلا حتى مرت اقرب سيارة تتوجه نحونا على الشارع لنتفادى ضوءها، فنزل رامز من الصندوق الخلفى، فناولته العبوءة وجالون البنزين الذي أحضرناه معنا لوضعه مع العبوءة، حيث توجه بهما رأسا إلى حرش الكينا ليضعهما قبالة الهدف تماما خلف اول شجرة، وليستطلع إذا ما كان هناك أناس في الحرش، وخلال دقيقة واحدة كان فتح الله ينبطح بجانب فتحة الخزان والعتلة في يده، ومحمد يأخذ مكانه خلف اول شجرة في الحرش من ناحية الشارع قد ملأ جيبه لينبهنى وفتح الله اذا ما كان احد يتوجه نحونا اثناء العمل . نظرت إلى ساعتي واذا بها تشير إلى الثامنة والنصف، فنزلت من السيارة طالبا إلى يوسف ابو الخير ان يعود بعد نصف ساعة فقط. اي في الساعة التاسعة تماما، وسرعان ما كنت بجانب العبوءة أنتظر رامز خليفة الذي عاد بعد دقائق ليخبرني ان مخيما لكشافة يحط

Scanned by CamScanner

بالقرب منا، لكنهم غير منتشرين، ثم ذهب ليأخذ مكانه هو الآخر على بعد امتار قليلة قبالة محمد غريفات بينما توجهت انا بالعبوءة وجالون البنزين نحو الهدف وانبطحت إلى جانب فتح الله، وخلال ثوان قليلة كنت أعتل العتلة في انتزاع الأقفال، وكان علي في كل مرة تمر فيها سيارة على الشارع ان انتظر ريثما تمر كي أنتزع الاقفال الواحد تلو الأخر .

نزعنا أقفال الفتحات الاربعة وبدانا نزيح غطاء الخـــزان الحديـدي الثقيل، حتى احدثنا فتحة استطيع النزول منها اليه، فمددت مصباحي اليدوي داخل الخزان واضأته، وإذ به يطفح بالبترول ولا يفصله عن فتحته غير ما يقارب المترين فقط، وفوق سطح الزيت يمتد انبوبان ضخمان الواحد فـوق الآخر . التفت نحو فتح الله ليناولني العبوءة، واذا بمصباح دراجة الحارس الليلي ينزل عن الشارع ويتجه نحونا في طريق جانبية .

اخذت مكاني على الارض بجانب فتح الله، الذي كان قد انتبه هـو الآخر له وأمسك بسكينه، وحررت أمان مسدسي، في هذه اللحظة رمى كل من رامز خليفة ومحمد غريفات بحصاتين ينبهاننا، فلم أجبـــهما واكتفيت بانهما ينتبهان له، اذ لم يكن يفصله عنهما غير أمتار قليلة . قررت عـدم أستعمال المسدس معه فناولته إلى فتح الله طالبا اليه ان لا يأتي بأية حركة ويتركه لي أفاجئه حال اقترابه بضربة من رأسي في صدغه، او بضربـة جودو قاضية، والقائه في خزان البترول مع دراجته، فانبطحت على ظهري متحفزا للوثوب عليه، وكنت واثقا من القضاء عليه بضربة واحدة فقط.

لم يعد يفصله عنا غير ما يقارب العشرة أمتار، فتوقف ونزل عـن دراجته، ثم نظر ناحيتنا في الظلام قليلا، ومن ثم إلى كل الجهات، وكل مـا خشيته في تلك اللحظة، هو ان يطبق محمد ورامـــز عليـــه ويعـاجلاه بسكينيهما، ولم اكن أخشى استعمال محمد لسلاحه، لان قانونه في العمـل كان، ان لا يستعمل سلاحه الناري الا في حالة الخطر القصوى التي تشكل

Scanned by CamScanner

خطرا على حياتنا، ولان استعماله في غير هذه الحالة يفسد مهمة الفداني التي خطط لها واتى من اجلها، وتجنب مهاجمة الحراس او الاشخاص الذين يمرون او يقتربون من الهدف اثناء العملية وقتلهم الا اذا اكتشفونا فعلا، لان المهاجم يطلق في اكثر الحالات صرخة غريزية حتى ولو عوجل بأسرع الضربات المباغتة القاتلة مما يسبب افشال العملية كلها .

ويظهر انه كان قد كتب له عمر امد، فلم ينتبه إلى وجودنا مطلقا، ولم يقترب منا اكثر . ومن ثم اعتلى دراجته الهوائية دون ان يقترب منا ويتفحص الأقفال كما يجب ان يفعل، وعاد أدراجه من حيث اتى وهو يصفر لحنا غربيا، بينما راح فتح الله يشتم حسن حظه .

وما كاد يبتعد قليلا حتى نزلت داخل الخزان، ووقفت فوق مفتاح الانبوب السفلى الكبير، ورحت أثبت العبوءة به جيدا، بحيث تكون بين الانبوبين تماما، لتكسر عند انفجارها كليهما. ثم ثبت جالون البنزين بجانب العبوءة لاضمن اشتعال النيران في البترول ومن ثم ثبت قلم التوقيت في مكانه جيدا على ضوء المصباح اليدوي الذي كنت امسكه بأسناني . وقبل ان اخرج تفحصت العبوءة ثانية اذا ما كانت مضغوطة إلى مفتاح الانبوب والجدار جيدا، ضامنا لها اكبر قدر ممكن من الضغط لرداءة المواد المتفجرة، ثم خرجت .

أغلقنا باب الخزان الحديدي ثانية، واقفلناه بالاقفال الجديدة التي كنا قد أحضرناها معنا بدلا من الاقفال التي كسرناها وقذفنا بها داخل الخزان، وكانت الاقفال الجديدة التي ثبتناها هي من نفس الاقفال المكسورة وتحمل نفس الشارة من الدهان الازرق، أحضرناها خصيصا كى لا ينتبه الحارس الليلي اذا ما تفحصها، ثم عدنا جميعا لنتمشى على الشارع في انتظار يوسف الذي ما كدنا نسير قليلا حتى كان يتوقف إلى جانبنا ليقلنا وآثار البوظة " لا تزال على شفتيه . اما محمد ورامز فراحا يقصان علينا كيف

Scanned by CamScanner

ان الحارس اعتلى دراجته في اللحظة التي قررا فيها الاطباق عليه لانهما ظناه سيتجه إلى الخزان . وعلى بعد خمسة كيلومترات من طريق عودتنا فطنت إلى انني نسيت العتلة مكان العملية وهذه غلطة مني كان لا بد لي من تداركها وان كانت على مستوى المغامرة، فأدرت مقود السيارة عائدا إلى مكان العملية لالتقاطها وسرعان ما كنا نقف قبالة الهدف، فنزل محمد يحرسنى إلى جانب الشارع بينما أسرعت انا نحوها فالتقطتها وعدت ثانية

بعد أقل من نصف ساعة راح كل منا يتوافد على مقهى الكراكون بمفرده، وكلما كان احدنا يدخل يسال الآخرين عن البقية بشكل تظاهري، إلى ان اجتمعنا جميعنا هناك نشرب نخب اللحظة التي سيروع فيها صوت الانفجار قلب اسرائيل. وتندلع فيها النيران وتتطاول حتى السماء، فتقص مضجع موشيه ديان في نومه وتثبت له ان المقاومة الفلسطينية ليست بيضة يسحقها بيده متى شاء كما تبجح وبكل وقاحة، وان الفدائيين الفلسطينيين يستطيعون الوصول إلى اي مكان في اسرائيل، والى اكثر خزانات البترول سرية ليفجروها مرة اخرى بعد ان صرح، بعد عملية كيشون، انهم لن يستطيعوا الوصول اليها مرة اخرى، ولسوف يضربون ويضربون حتى يثبتوا له ان الثورة الفلسطينية التي يستهين بها، ليست بيضة، وإنما هي عملاق بدأ يصحو، ليشعل النار في مملكته التى بناها من اشلاء الشعب الفلسطينى بخيانة قياداتنا السابقة وتقاعسهم .

عدت إلى نهاريا في الثانية عشر ليلا من يوم ١٥-٨-٦٩ ، بعد أن ذهب جميع الرفاق كل إلى بيته مطمئنين أن لا حاجة لانتظار الساعة الثالثة، لان العبوءة لا بد وأن تنفجر وان صوتها ونيرانها ستوقظهم ليخرجوا بعدها إلى سور عكا يشهدون مع منطقة عكا كلها صحو الدنيا على صوت الثورة الفلسطينية ونيرانها المتطاولة حتى السماء.

Scanned by CamScanner

استيقظت في الخامسة والنصف من صباح اليوم التـــالي، ورحـــت أترقب انباء الصباح العبرية من محطة إسرائيل وفى السادسة استهل المذيـع الأنباء بإذاعة خبر انفجارين عنيفين في خزانات البترول في قريات حـــاييم وأنه لم يعرف مصدرهما حتى الان، وان متحدثا بلسان شرطة إســرائيل، يعتقد ان الانفجارين هما نتيجة لعملية " تخريبية " قـــام بـــها الفدائيـــون الفلسطينيون، فاستغربت ما يمكن ان يكون الانفجار الثاني، ثم قال ان رجال المطافئ يعملون على إخماد النيران التى انتشرت على مساحة مئات الامتـــار منذ الصباح، ولم يتغلبوا عليها بعد.

قدت سيارتي واتجهت نحو عكا، والفرحة ترقص بي، وكلما كنـــت اقترب من عكا كانت النيران تبدو لى واضحة في الافق، وأعمـــدة الدخـــان تتطاول وتتطاول لتنعقد غيوما كثيفة، تغطي سماء " قريات حاييم " ومنطقة " مفراتس " الصناعية كلها.

وما ان وصلت عكا القديمة، حتى كان الناس يتدافعون نحو الســـور ليشهدوا مسرح النيران، وقد عاد البحارة كلهم منذ الصباح الباكر يـــروون للناس اخبار عملاق النيران الذي هب ليضئ الشواطئ، وكيف بـــدت لـــهم الدنيا كلها تحترق، والناس يلتفون حولهم وكان كل واحد منـــهم ســـندبادا عائدا من رحلة طويلة . فنزلت إلى الميناء لاطمئن على عبد حزبوز وفتح الله اللذين أبحرا عند منتصف الليل، فوجدتهما على الشـــاطئ يشـــاركان البحارة رواية اندلاع النيران في خزانات البترول وقد اختلفا مـــع بعـــض البحارة الآخرين الذين راحوا يبدون رأيهم بان ذلك لا بد وانه نتيجة لعملية فدائية جريئة، بينما يصر عبد حزبوز وفتح الله على انه لا يمكن ان يكون عملية فدائية وانما قد يكون حريقا شب في احراش الكينا هناك، وما كـــدت اغادر المكان حتى كان عشرات رجال الشرطة وحرس الحدود يعتقلون كـــل من يصادفهم من الرجال في الميناء .

Scanned by CamScanner

حملت سيارتي بصناديق البيرة توجهت نحو الحريق مباشرة، عابرا عشرات الحواجز البوليسية، ثم انعطفت في شارع الكيشون، ومن ثم شارع الـ "آي.بي.سي " مخترقا مئات رجال الشرطة الذين يعتقلون كل مار وعابر، ومئات السيارات المستوقفة في الطريق، لاخوض بعدها بحرا من الناس الذين اندفعوا نحو الحريق وأخبار الانفجارين اللذين ايقظاهم من نومهم حديثهم الوحيد، وكنت حينها البس " الشورتز " والصندل مما كان يزيل أي شك في مظهري فلا تستوقفني الشرطة، إلى ان وصلت بالقرب من مكان العملية، فأوقفت سيارتى واخترقت مئات الناس لاقف عند اقرب نقطة لا تصلها النيران التي كانت تمتد نحو الشرق ما يقارب الكيلومترين، ولم يبق واحد من سكان " المعبوة " الواقفين هناك من لم يعبر عن دهشته كيف عرف هؤلاء " اللقطاء " - كما كانوا يسمونهم - انه يوجد هنا خزانات للبترول تحت الارض، بينما يعيشون هم ما يقارب الخمسة عشر عاما دون ان ينتبهوا لذلك، فأرد عليهم " هؤلاء البناديق .. لا يوجد محل في إسرائيل الا ويعرفونه "، فيعلق احدهم " بأنني صادق على ما يبدو، ثم أعقب " ومن يدري .. فربما كان احد هولاء البناديق بيننا .. آه لو أستطيع امساك احدهم " . ثم اقول في سري " آه يا ابناء سارة، اننى هنا بينكم وما هى إلا بداية " . ثم أتركهم وأنعم النظر مرة اخرى في النيران الملتهبة وسيارات الاطفاء التي تعمل دون انقطاع . اما الانفجار الثاني الذي كانوا يتحدثون عنه، ما هو الا تفجر محطة القوى الكهربائية الرئيسية المحاذية للخزان الذي وضعت فيه العبوءة بعد ان طوقته النيران، كما وعرفت هناك ان انبوبا واحدا قد تفجر، وأما الثاني فقد ظل سليما، ورغم هذا فقد تدفق البترول المشتعل ليغطي مساحة كيلومترين من حوله ملتهما كل العرش المحاذي له. وقبل ان يسيطر رجال الاطفاء على الحريق الذي استدام يوما كاملا، غادرت المكان وتوجهت نحو " قريات موتسكين " لتوزيع صناديق البيرة التي كنت أنقلها

Scanned by CamScanner

بسيارتي الخاصة، بعد ان اعلمت مدير العمل في حيفا انني اوزع البيرة في قريات موتسكين اليوم بسيارتي الصغيرة لعطل في السيارة الكبيرة، فانهيت عملي مبكرا وقفلت عائدا لتوي إلى عكا للاحتفال بنجاحنا الباهر مع باقي الرفاق كعادتنا بعد نجاح كل عملية، والاستماع إلى انبائها من جميع الاذاعات العربية، ومن إذاعة صوت فتح من القاهرة في الساعة السابعة مساء، وقد اخذ يذيع الخبر مع تفصيل كامل لمنطقة العملية، والإشادة بقرى الجليل كطلبي في تقريري الاخير، كي احمل السلطات على التشكك بشباب هذه القرى مما يدفع بهم إلى اعتقال المئات واضطهادهم فيدفعهم ذلك إلى الانخراط في الثورة الفلسطينية والالتحام بها ليؤدوا دورهم في المعركة.

وهذا بالفعل ما حصل، فقد اعتقلت السلطات مئات من الشباب العرب من جميع القرى للتحقيق معهم، وهكذا شهد الجليل اكبر حملة اعتقالات، وإهانة، أما مقهى الكراكون في ازقة عكا القديمة فقد شهد احتفالنا الرابع في سلسلة احتفالاتنا .

Scanned by CamScanner

ذهبت إلى عملي في حيفا صباح اليوم التالي، وما كدت أدخل على مدير الشركة، حتى بادرني قائلا، ان احد الاشخاص باسم " إلياهو " اتصل به بالامس يطلب التحدث الي، فاخبره انني اعمل في " قريات موتسكين "، فطلب اليه ان يخبرني بذلك اذا ما اتصلت من مكان عملي لاتصل به فورا .

اتصلت بمكتبه في مقر " الشين - بيت " فرد علي شخص آخر، ولكن سرعان ما رد علي بنفسه، فسألته مستغربا اذا ما كان قد اتصل بالامس يسأل عني، وماذا حدث، فاجاب انه اتصل ليطمئن على سلامتي، وخوفا من ان تكون الشرطة قد اعتقلتني بعد ان قامت باعتقال المئات من الشباب العرب ممن يعملون في المنطقة المناعية وضواحي حيفا في اعقاب الانفجار الذي حدث في خزانات البترول في " قريات حاييم " وأنه كان قد اتصل بجميع مراكز البوليس ليطمئن اذا ما كنت غير معتقل بعد ان عرف من مدير العمل انني كنت أعمل في " قريات موتسكين " في الامس، فقلت ان السيارة الكبيرة ليست على ما يرام، فلذا فضلت العمل على سيارتي الخاصة في

Scanned by CamScanner

قريات موتسكين ، فطلب الي " مقابلته في الغد في مقر " الشين - بيت " في شارع " سانت لوكس " حين أفرغ من عملي .

التقيت به في مقر المخابرات بعد ظهر ذلك اليوم، فراح يحدثني عن عملية " قريات حاييم " ومدى دهشته للطريقة المتقنة والجريئة التي نفذت بها، والدراسة الوافية لمكان العملية مع ان تلك الخزانات تعتبر من الخزانات السرية والتي لا يعرف بوجودها حتى سكان المنطقة نفسها، مبديا رأيه أن من قام بهذه العملية لا بد وأنه يعرف المنطقة جيدا من قبل، ولا بد وانه مطلع على بنائها ومد شبكة الانابيب فيها " لان الخزان الذي وضعت فيه العبوءة يحتوي في داخله على المفتاحين الرئيسيين الموصلين للبترول والغاز لجميع الخزانات، ولحسن الحظ لم ينفجر انبوب الغاز والا لكانت كارثة كبرى، ولذا لا بد للمخابرات من التحري على كل من كان يعمل في سنوات مد شبكة الانابيب قبل خمسة عشر عاما، من ابناء عكا والمنطقة، بالاضافة إلى مراجعة اوراق مكتب العمل ربما يحتوي على بعض اسمائهم، ثم سألني اذا ما كنت اعرف اشخاصا من عكا أعتقد أنهم كانوا يعملون في السابق في هذه المنطقة يمكن ان تكون لهم يد في هذه العملية، فتظاهرت بالتفكر قليلا، الا انني أجبته اننى لا اذكر مثل هؤلاء الاشخاص ولكنني اقترح ان يحققوا مع جميع عمال البناء المتقدمين في السن ربما وجدوا من يفيدهم فاستحسن الفكرة ووعد باتباعها مع جميع عمال البناء القدامى في منطقة الشمال، ثم سألني اذا ما كنت قد اشتبهت باحد في الامس وانا أعمل في قريات موتسكين او اذا ما كنت قد سمعت شيئا يساعد المخابرات على تقفي آثار منفذيها، فاجبت اننى لم اسمع شيئا، وانه من الصعب علي القيام بمثل هذا العمل بنجاعة ما دمت أعمل طيلة اليوم في توزيع صناديق البيره والمشروبات الروحية من مكان إلى مكان والانتباه لما أفرغ وما حمل ومحاسبة الزبائن وخاصة ان اكثر عملي في المناطق اليهودية . فاذا كان

Scanned by CamScanner

يريدني ان أعمل بنجاح معهم، فلا بد من توظيفي رسميا وتخويلي صلاحيات معينة، استطيع استخدامها في التحري عمن يقومون بـــهذه الاعمـــال التخريبية "، ولن يكون من الصعب علي عندها ايقاف اي شخص اشتبه به وسؤاله عن هويته وعن عمله في المنطقة التي اوقفه فيها، فاجاب انـــه يفكر في ذلك وعلي ان أمهله ريثما يتدبر الامر، وهنا اطلعني علـــى انـــه سيرسلني في مهمة تحرية إلى نابلس في الغد اي يوم الجمعـــة، ربمـــا استطعت من تسكعي هناك فبى الشوارع ومقاهي المدينة سماع اي شـــيء يشير إلى عملية " قريات حاييم " او غيرها من العمليات التي لم يكتشـــف منفذوها بعد، او مجرد اشتباهي بأي من رجال المنظمات، فوافقت على ذلك على ان أسافر يوم السبت بدلا من يوم الجمعة، لوجود ما يستوجب وجودي في البيت يوم الجمعة ثم الاتصال به بعد عودتي .

وبينما كنت في بيت والدي في عكا مساء يوم الجمعة مع يوسف ابو الخير نرتب امر سفرنا إلى نابلس صباح الغد، حتى جاء فتح الله يعلمنـــي بأن قوات الامن قد اعتقلت رامز خليفة، فخرجت لتوي اتقصـــى أخبـــار اعتقاله، الا انني لم استطع معرفة اكثر من انه اعتقل مع مئات من الشباب الآخرين .

كان على محمد غريفات ان يذهب إلى عمله يوام السبت بدلا من يوم الاثنين بناء على طلب من قائد وحدته لامر ضروري، فلذلـــك ســـافرت بسيارتي إلى نابلس برفقة يوسف ابو الخير في الصباح الباكر، كي يعـــود يوسف بالسيارة إلى عكا ويقل محمد غريفات إلى معسكره، ويحضر معه ما قد أخفاه محمد من قنابل يدوية وذخيرة للمدافع الرشاشة التي كنا نزود بـها باقي أفرار المجموعة في نابلس كلما توفرت لدينا كمية منها، فوصلنا نابلس في الساعة السادسة والنصف صباحا حيث عاد يوسف بعد ان اتفقت معـه على ان نلتقي بعد عودته إلى نابلس ثانية في مقهى قبالة مقـــر الحـــاكم

Scanned by CamScanner

العسكري بحيث يوقف السيارة هناك، ثم سافرت إلى قرية بورين لزيارة عمتي هناك ريثما يحين الوقت المتفق مع شاكر والآخرين بين التاسعة والعاشرة في نفس المقهى الذي اتفقت ويوسف ان نلتقي فيه، وكنا نلتقي في كل مرة في غير المقهى الذي التقينا فيه في المرة السابقة. بحيث نجتمع في المقهى ويجلس كل منا إلى طاولة منفردة دون ان نكلم بعضنا، ثم نخرج بعد ان نجتمع جميعا شاكر ورفاقه اولا ثم نحن لنلتقي بعدها في بيت شاكر .

بعد زيارتي لعمتي في بورين عدت إلى نابلس ثانية، وكانت الساعة حوالي التاسعة حين وصلت، فتوجهت نحو محلات العكر للحلويات حيث جلست هناك بعض الوقت، ثم خرجت، ورحت أتسكع في الشارع كعادتي قبل ان ادخل المقهى الذي ينتظرني فيه باقي الرفاق كي اطمئن إلى ان احدا لا يتعقبني او يتعقبهم، وانتبهت حين مروري امام مقر الحاكم العسكري ان ثمة شخصا ما كان يقف فوق العمارة، قد أثار ظهوري انتباهه بشكل غير طبيعي وكأنه كان ينتظر مروري، فتعمدت ابراز وجودي في الشارع نفسه كي امتحن انتباهه لى اذا ما كان مجرد وهم مني ام انها حقيقة، ورحت أدخل محلا ثم أخرج وأدخل آخر او اقف امام واجهات الحوانيت بينما كنت أراقب حركاته من خلف نظارتي، فلاحظت انه يتبعني بنظره اينما . توجهت وكيفما تحركت، ولكنني لم أؤكد انه يراقبني انا بالذات، وظننت بادئ الامر انه لا بد يراقب كل من يرى وجوده غريبا في الشارع او يثير شكوكه، فعدت ادراجي ناحية محلات العكر ثانية وقد تنبهت حولى إلى امكانية ملاحقتي، ونصب شرك لي، مستعرضا في ذهني آخر مقابلاتي مع رجال الشين – بيت " وسؤالهم لى عن رامز خليفة وعبد حزبوز وفتح الله، وبالتالي سوال " إلياهو موزرت " عني صباح عملية " قريات حاييم "، وسواله لى اذا ما كان لي اصدقاء في نابلس استطيع استغلالهم للتحري عن

Scanned by CamScanner

رجال المنظمات، ومن ازور في نابلس واذا ما كان باستطاعتي المبيت عند احد اصدقائي اذا تأخرت، كل هذه الاسئلة أثارها وجود ذلك الرجل فوق مقر الحاكم العسكري وانتباهه لوجودي مما اثار انتباهي لكل حركة من حولي او كل وجه يمر بي . مخفيا هذا التنبه خلف نظارتي، وسرعان ما اكتشفت صدق هواجسي ومشاعري .. اذ انتبهت إلى انني التقي بأحد الوجوه في طريقي للمرة الثالثة او الرابعة، وكانت احدى هذه المرات خلف احدى طاولات محلات العكر، فلم أعره انتباها وتابعت سيري حتى توقفت عند احدى بسطات شواء اللحم، وكان الوقت المحدد لاجتماعنا في المقهى قد فات .

طلبت إلى البائع ان يشوي لي سيخين من اللحم كي اكسب بعض الوقت لمراقبة ما يدور حولي قبل ان اتجه ناحية المقهى، فانتبهت إلى ان نفس الوجه يمر بي مرة اخرى متصنعا عدم الانتباه لوجودي، وكان برفقته هذه المرة شخص آخر، حدجني بطرف عينه، ويظهر أنه يراني لاول مرة وأراد التعرف على شخصي كي يتابع ملاحقتي، فتأكدت من انني ملاحق فعلا وبشكل جدي . تناولت الرغيف من البائع صانعا دورة حول نفسي وانا أعض على الرغيف، وكأنني ابحث عن كرسي اجلس عليه، جائلا بعيني جهات الشارع الاربع واذا بي مطوق من كل الجهات، ففي الناحية الاخرى من الشارع وقف اثنان آخران ة يشربان عصير البرتقال من الكشكات، بينما راح ثلاثة جنود بكامل اسلحتهم يجوبون الرصيف من جهتهما جيئة وذهابا، ومن الناحية التي اقف فيها ثلاثة جنود آخرين يجوبون الرصيف بشكل معاكس لرفاقهم وكأنهم يقومون بدورية عادية، فرحت أفكر بطريقة للخروج من هذا المازق الذي وجدت نفسي فيه فجاة، وهذا الشرك الذي نصبه لي "الياهو موزرت "، باتقان حين أوهمني انه يرسلني في مهمة تحرية . وكنت واثقا انني لم أرتكب اي خطأ ليكون علة للمخابرات في الشك بي ومراقبتي،

Scanned by CamScanner

وكنت متاكدا ان هذا الشرك ما هو الا وليد الشك والحذر من كل من يعمل مع المخابرات بشكل عام، دون ان يكون هناك ما يثير الشك، وانما زيادة في الحيطة والحذر، الا ان ما خشيته ان يكون الشك يدور حول الجماعة في نابلس نفسها .

فرغت من الساندويش وتابعت سيري في الشارع لأتأكد اذا ما كان وجود الجنود مجرد صدفة، ام انه جزء من هذا الطوق الذى وضع حولي إلى ان حانت الساعة، فانتبهت إلى انهم يسايرونني على الناحيتين واصبحوا يسيرون في نفس الاتجاه الذي أسير فيه من كلا الجانبين، فانعطفت مقابل الساعة في شارع آخر إلى اليسار، فاستمروا هم الآخرون في نفس الشارع، والأربعة رجال الآخرين يتبعوني، فتأكدت من ذلك من الملاحقة هذه المرة فعلا، وقررت بدوري ان العب لعبي معهم، وكان همي قبل ذلك ان أطلع باقي الرفاق الذين لا بد ينتظرونني منذ اكثر من ساعة، في المقهى، واطلاع يوسف ابو الخير الذي لم يعد بعد، لانني كنت واثقا انهم لا يعرفوه، ولا اريد له ذلك، فانعطفت يسارا داخلا حي " القصبة " ورحت أتسكع في الحوانيت سائلا عن الأسعار تارة، او اشرب عصير البرتقال تارة اخرى متصنعا الانصات إلى حديث الناس، اذ كنت كلما رأيت مجموعة من الناس، أقف إلى جانبهم متعللا باستعراض ما يعرض إلى جانبهم من بضائع، وخاصة اذا كانوا من الشباب كي أوهم ملاحقي انني اقوم بمهمتى التى ارسلت من اجلها، بينما كنت في الواقع اتلذذ على منظر ملاحقي وهم يتآكلون غيظا وهم يسايروني بين مئات المتسوقين، فيختاروا بين ان ينتبهوا إلى تحركاتي ام إلى شق طريقهم بين المتسوقين، لاسيما ثلاثة من الجنود دفعوا هم الاخرون بانفسهم وسط الزحام. فراحت رؤوسهم وعيونهم تتحرك في كل اتجاه وكانهم دمى اتوماتيكية، حتى كنت أشعر بعض الاحيان في رغبة ملحة

Scanned by CamScanner

للضحك بصوت عال، وكل همي كان ان لا يحتك بي احد منهم في الناحية التي اخفى فيها مسدسي .

خرجت من السوق واتجهت مباشرة ناحية المقهى، وعلى بعد أمتار من مدخله رأيت شاكر وأحمد يجلسان إلى طاولة يدخنان النرجيلة، بينما جلس عادل إلى طاولة اخرى في الجهة المقابلة، فحككت رأسي وأنا ادخل دون ان أنظر اليهم لافهمهم انني ملاحق فياخذوا حذرهم وينتبهوا إلى ما يدور حولهم، فجلست إلى طاولة مطلة على الشارع كي ارى يوسف ابو الخير عند قدومه، وطلبت نرجيلة وفنجان قهوة كي أفهمهم انني لن استطيع الخروج خلفهم اذا ما خرجوا وان يتركوني أتدبر الامر وحدي . وما كاد النادل يأتيني النرجيلة وفنجان القهوة حتى كان أربعة رجال المخابرات يطوقوني كل اثنين إلى طاولة محاذية، متصنعين المرح وعدم الانتباه، وراحوا يتحدثون وكانهم يكملون حديثا سابقا بينهم اثنان منهم عن النساء وحياة الليل، واثنان عن التجارة والاستثمار والتعامل التجاري بين الضفة الغربية والسوق الإسرائيلية . وقبل ان ياتيهم النادل بطلباتهم كان يوسف ابو الخير يقبل علي، فالتقت عيناه بعيني، فرفعت باطن كفي المستريحة على الطاولة امامي، ومن ثم رحت أنقر . بأصابعي على الطاولة وكانني اقوم بحركة عفوية، محولا نظري نحو إثنين منهم، وكان يوسف يتمتع بحدة نظر وذكاء غريب، ففهم قصدي دون ان يتوقف عن السير او يلمح لي انه أدرك ما يجري ثم توقف بباب حانوت مقابل متظاهرا بالشراء، لياخذ هو الآخر دوره في ملاحقة الجنود الذين كانوا يتسكعون في الخارج، والذين رأحوا يلعنونني ويلعنون المخابرات ويلعنون هذا اليوم الاسود الذي كلفوا فيه بملاحقتي، لانني أمرجحهم من مكان إلى آخر دون جدوى، كما اخبرني يوسف ابو الخير بعد ذلك .

Scanned by CamScanner

خرج شاكر وأحمد من المقهى اولا، ثم تبعهم عادل، وقد أدركوا ما يحدث تماما، بينما بقيت انا في المقهى حتى فرغت من النرجيلة، فطلبت فنجان قهوة آخر كى أوهمهم انني سأمكث في مكاني طويلا، ورحت ارشف القهوة بتؤدة، بينما راحوا هم يتحرقون غيظا إلى جانبي، وانتهزت لحظة حديث بينهم فوضعت ليرتين على الطاولة أمامي وخرجت فورا كى أعيقهم قليلا ريثما يدفعون حسابهم، فاستطيع بذلك التحدث إلى يوسف، الذي ما ان رآني خارجا حتى راح يسير في الشارع أمامى، وحين اصبحت على بعد أمتار قليلة منه، قال بانه يدرك ما يجري، وانه استطاع أن يكتشف ان الجنود يلاحقونني ايضا، فطلبت اليه ان ينتبه للرجال الاربعة الذين سيخرجون خلفى من المقهى ويتعقبهم، ربما استطاع الوقوف على ما يتحدثون به، واذا ما سمع ما يعرض الجماعة للخطر، ان يعمل وبسرعة على ابلاغهم ذلك ليتدبروا امرهم . ثم سبقته وتابعت سيري وانعطفت نحو بناية البلدية، وتوقفت امام احد الحوانيت لاتأكد اذا ما كان الرجال الاربعة لا يزالون خلفي . فلم أر غير اثنين منهم، توقفا هما الآخران حين توقفت، فتابعت سيري مسرعا هذه المرة إلى ان وصلت عمارة البلدية، وأنا متأكد انهما يسرعان خلفي، فتوقفت قليلا خلف زاوية العمارة، وعدت من حيث أتيت مسرعا مائلا برأسي إلى الامام كى تكون الصدمة عنيفة، واذا بأحدهم يصطدم بى بشدة، وقد ضرب رأسي برأسه فترنح قليلا وكانه سيغمى عليه، فتصنعت الغضب صارخا في وجهه باللغة العربية لاوهمهما انني اظنهما عربا، طالبا اليه ان ينتبه كيف يمشي وينظر أمامه، وفي غمرة ذهوله وارتباكه اعتذر لي واستمر في طريقه، مصنحا نظارته التى كادت تسقط عن عينيه، لاحقا برفيقه الذي استمر في سيره، واذا بيوسف ابو الخير يسايرهما في الناحية الاخرى من الشارع وقد رأى ما حدث فراح يكتم ضحكته بيده، والحاج أسعد يقف أمام احد الحوانيت يتابع ما يجري، وعلامات الارتياح

Scanned by CamScanner

بادية على وجهه إلى حد الابتسام، وفي هذه اللحظة تذكرت فتح الله وحمدت الله على انه لا يرافقني، والا لكان يلم علينا الشارع بضحكه الذي لن ينقطع لساعات كعادته . راح الحاج اسعد يسير في نفس الاتجاه الذي اسير فيه، إلى ان اقتربت منه، ولم أكد أخبره انني ملاحق من كل الجهات حتى رد بانه يعرف، وانه يلاحقهم هو الآخر منذ الصباح، وان لا أخشى شيئا لان رفاقنا يلاحقونهم في كل زاوية ومعهم سلاحهم، فاخبرته ان لا داعي للخوف علي وان يتركهم ويعود مع الآخرين لانتظاري في بيت شاكر حتى اتخلص منهم . ثم سبقنا متجها ناحية ساعة المدينة، فوجدت احدى فتيات عكا تقف عند محمص تشتري الفستق الحلبي، وكنت أعرفها جيدا، فوقفت اتحدث اليها وأداعبها اكثر من نصف ساعة، وهم لا يزالون يلاحقونني . وبينما كنت اتحدث اليها انتبهت إلى يوسف يقف بالقرب من كشك لعصير البرتقال، فتركتها وتوجهت نحوه، ثم وقفت إلى جانبه وكأنى لا اعرفه، طالبا إلى البائع كأس عصير، فاخبرني يوسف وهو يميل براسه قليلا إلى الناحية المعاكسة انه سمعهم يقولون " ان ابن الـ هذا لا يريد دخول أي بيت .. ويظهر انه لا يعرف احدا في نابلس " وان احدهم سأل الآخر اذا ما كان يعتقد انني انتبه اليهم، فرد عليه الثانى انه لا يعتقد ذلك، لانني لا اعرف ايا منهم، ولانني مطمئن إلى ان احدا لن يلاحقني من المخابرات، فقلت ليوسف انني اعرف ما يقصدون، وعليه ان يستأجر سيارة اجرة، ويعود إلى عكا، لانني لا أدري متى ساتخلص منهم، واننى ساتأخر في نابلس . فقال انه ينقصه عشرين ليرة، فأخذت عشرين ليرة من جيبي، وضعت عشرا منها امامه ساحبا مفاتيح السيارة وناولت البائع عشرا تاركا بقيتها امام يوسف لياخذها دون ان ينتبه حتى البائع لذلك، وتابعت سيري لادخل بعدها مقهى آخر بالقرب من المقهى الاول، بعد ان جلست وطلبت نرجيلة وفنجان قهوة متصنعا، تعقب الناس في حديثهم، ولم البث طويلا حتى كانوا اربعتهم

Scanned by CamScanner

يحتلون طاولتين في زاويتى المقهى كما فعلوا في المرة السابقة فمكثت اكثر من نصف ساعة وقد مللت اللعبة كلها، فعاودت نفس الحيلة الاولى معهم، اذ تركت ليرة على الطاولة، وخرجت بسرعة في اتجاه سيارتى التي كان يوسف قد أوقفها أمام مقر الحاكم العسكري بالقرب من المقهى، صعدت السيارة وأدرتها ناظرا في المرأة، واذا بهم يسيرون بكل سرعتهم على جانبي الشارع، فانطلقت بسيارتي بسرعة جنونية في اتجاه وادي التفاح في مخرج نابلس الغربي، ورحت أنظر اليهم يتبعونني بنفس السرعة التى خرجت بها، وكانت سيارتاهما تقفان بالقرب من سيارتى، في الناحية الاخرى من الشارع، واتجهت نحو وادي التفاح باقصى سرعتي حتى غابت سيارتاهما عني، فانعطفت عند وادي التفاح يسارا في طريق جانبية، ووقفت ارقب سيارتيهما اللتين عبرتا بسرعة جنونية، فعدت ادراجي إلى نابلس ثانية. وأوقفت سيارتى في نفس المكان الذي كانت تقف فيه طيلة الوقت .
وما كدت أغادر السيارة حتى مر بى احد معارفي من العرب في إسرائيل يعمل في مركز شرطة نابلس، فرحب بي ودعانى اشرب القهوة معه في مركز الشرطة، كى أرافقه بعد ذلك للبحث عن دراجة نارية يشتريها، فسألته اذا ما كنت استطيع ايقاف سيارتى في باحة المركز، فأجاب انني بالطبع استطيع .

أعد القهوة، ثم خرجنا إلى حديقة المركز نجلس على العشب، حيث مكثت معه اكثر من ساعتين أقنعه خلالها انني سأرافقه ذات يوم إلى تل-ابيب واعثر له على دراجة هناك تلائمه، لان جميع دراجات الضفة الغربية غير صالحة، وكنت طيلة الوقت انظر ناحية الشارع لاتأكد من انهم كفوا عن ملاحقتي، وكانوا قد كفوا عن ذلك فعلا، حتى الجنود لم يعد لهم اي اثر .
وقبل ان أغادر مركز الشرطة التقيت بأحد الضباط الذين أعرفهم سابقا، وكان يعمل في السابق في مركز الرطة عكا الذي راح يرحب بى هو الآخر،

Scanned by CamScanner

فسألته اذا ما كنت استطيع ابقاء سيارتي في باحة مركز البوليس ريثما أقضي عملا لي، لاننى أخشى اذا ابقيتها في مكان ما في المدينة، ان يفجرها احد رجال المنظمات في نابلس، فلم يعارض في ذلك، وطلب إلى احد رجال الشرطة المناوبين ان يسلمني السيارة في اية ساعة اعود فيها، فشكرته وخرجت . رحت أسير في الشارع متوجها ناحية ساعة المدينة، وكلي تنبه لكل من يسير في الشارع، الا انهم كانوا قد ينسوا فعلا فاختفوا جميعا . وزيادة في الحيطة توجهت ناحية تاكسي اجرة، وطلبت إلى السائق ان يقلني حتى آخر الشارع في الجبل المطل على وادي التفاح من الشمال، بحيث استطيع كشف اية ملاحقة لى لخلو الشارع من السيارات والمارة، لقلة منازل السكن هناك، ثم نزلت وسألته اذا ما كان يستطيع العودة بعد نصف ساعة ليقلني إلى المدينة ثانية واذا لم يجدنى لينتظرني حتى أعود كي أوهمه انني ازور احد البيوت هناك، فوافق على ذلك . وما ان غاب عني حتى رحت اذرع الشارع جيئة وذهابا، ولم الاحظ اية سيارة او حتى شخص يمر في الشارع غيري، إلى أن عاد التاكسي ليقلنى مرة أخرى إلى مركز المدينة، وكانت الساعة قد قاربت السادسة مساء .

تركته وتوجهت إلى عربة أجرة ثانية، وطلبت إلى سائقها ان يطوف بي شوارع المرتفع الجنوبى من المدينة، وهي المنطقة التى يسكن فيها شاكر، متعللا بأنني ازور المدينة لاول مرة، وأريد التعرف عليها، فسألني في الطريق من اي بلد اكون من الارض المحتلة سابقا فاجبته انني من مدينة " رمات غان " فقال دهشا " وهل يوجد عرب في رمات غان ؟ فأجبته ممعنا في كذبى انني يهودي من اصل سوري، وانني ككل افراد عائلتي اتكلم العربية بطلاقة، فلم يعد يحدثني الا حين استوضحه عن بعض الاشياء، ولا أدري ما الذي خر لي لاخبره انني يهودي، مع انني كنت استطيع مراوغته بشكل آخر، كان أخبره انني من أي بلد عربي آخر فلي

Scanned by CamScanner

الارض المحتلة غير عـكا، وبدات أتحسب ماذا يحدث لو كان هذا السـائق أحد رجال المنظمات وحاول جري إلى مكان ما ينتظره فيه رفاق لـــه، الا انني كنت مطمئنا إلى مقدرتي في التخلص من اي مأزق لثقتي من قوتـــي الجسدية في مثل هذه الحالات، ولوجود مسدسي معي، ريثما اثبت لهم انني عربي ولست يهوديا، والغريب اني بعد لحظات من هذه الفكرة الطارئة لى، تمنيت لو يحدث ذلك بالفعل، فلماذا لا تحدث مثل هذه الأشياء في نابلس او فبى اي مدينة من مدن الضفة الغربية حيث يؤمها الإســرائيليون وكأنــها بلدهم منذ عشرات السنين، وفى غزة، لا تجرؤ سيارة خاصة على العبور في شوارعها، وليس الافراد، وشعرت برغبة في ان أضرب السائق وأهينـــه ربما فعل شيئا، ورحت انتظر ربما يحصل ما أتمناه، الا ان شيئا من ذلك لم يحدث .

وبالقرب من بيت شاكر طلبت إليه التوقف لاننى أود اكمال طوافـــى ماشيا . وكان قد طاف بى اكثر من نصف ساعة، وعندما كنت أودعه شاكرا نظر الي نظرة ذات معنى وقال بصوت خافت " الله معاك ". وكانت لهجتـــه تطفح بشيء من الصدق، مما أخافني، فنظرت اليه، لكنه انطلق بســيارته. وبسمة عريضة على شفتيه، لتبقى هذه البسمة احد الالغاز التى لم تحل في حياتى .

رحت اسير في اتجاه بيت شاكر ببطء، وأنا أراقب المنطقة جيدا. إلى أن تأكدت أنها خالية من اية حركة مشبوهة، ولكى اطمئن اكثر، دخلت احد المنازل التى صادفتني في الطريق ليكون دخولي اليه آخر امتحان، اذ لا بد لمن يلاحقني لو صح ذلك، من انه يتبعني إلى البيت، لان ذلك هو ما كـــان ينتظره ملاحقي منذ الصباح . طرقت الباب، فخرجت عجوز مهيبة تســألني من أريد، فسألتها اذا ما كان هذا هو بيت عماد الدين أحمد، فردت ضاحكة،

Scanned by CamScanner

انها تسكن هذا الحي ما يقارب العشرين عاما، ولا تعرف ايا بهذا الاسم في الحي، فشكرتها وخرجت ناظرا حولي، وقد تأكدت ان لا ملاحقة لي بتاتا .

توجهت فورا إلى بيت شاكر على بعد امتار قليله . وما كدت ادخل حتى هب جميعهم لاستقبالى، وراحوا يهنئونني بالسلامة، وقال شاكر معلقا ماذا فعلت بهم ؟ لقد افقدتهم صوابهم وهم يجرون خلفك، أفقدتنا صوابنا ونحن نجري خلفهم .. كان يخيل لي اننا نمثل فيلما هذا اليوم " فأجبت ساخرا بأنني لو كنت اعرف سلفا لكنت دعوت " الختيار " اذن لمشاهدة هذا العرض، بل لا بد من دعوته إلى عكا ذات يوم، اذ انى أستطيع دعوته هناك على أقلام اجمل مما رأيتم اليوم، اذ كنت اشركه في احدى عملياتنا داخل الامبراطورية ومن ثم أرغمه على الاحتفال بنجاحنا وبرفقة ضباط " الشين بيت " والشرطة الاسرائيليين، عله يعرف اخيرا من تكون مجموعة رقم ٧٧٨ فيعجل في ارسال المواد المتفجرة والاسلحة اللازمة لنا، وهنا رحت اصب جام غضبي على " ابو عمار " و " ابو اياد " وقدومي وابو علي وابو شامح كعادتي، لانهم يهملون تلبية طلباتنا، اذ لم تشف عملية " قربات حاييم " غليلى، وكنت اتمنى لو أملك عشرين او ثلاثين كيلوغراما من الـ " تي ن.تي. " اضعها كلها في عبوءة واحدة بدلا من الخمسة كيلوغرامات من المواد المتفجرة المصنوعة بيتيا، فلم تكسر غير انبوب واحد . فرغنا من قصة ملاحقتى والإحتياطات التي كان افراد مجموعة ٧٧٨ قد اتخذوها لحمايتي اثناء الملاحقة، انتقلنا للحديث عما اذا كانت هناك ثمة شكوك تدور حولي، حتى قاموا بمثل هذا التعقب فقصصت عليهم ما حدث لي مع المخابرات بعد عملية " قربات حاييم " وأنني ارسلت اليوم في مهمة تحرية في نابلس علني اهتدي إلى طرف خيط يقود المخابرات إلى المجموعة التي قامت بالعملية، كما اطلعتهم على اعتقال رامز خليفة ليلة الامس لإشتباههم به، وانني لا اعرف مجرى التحقيق معه بعد، واذا ما كان ثمه داع فعلى

Scanned by CamScanner

لاعتقاله، او انه مجرد صدفة كباقي المئات من الشباب ولكني سأعرف حال عودتي إلى عكا . ولاول مرة أشعر بالخوف يتسرب إلى بـــاقى الرفـــاق، فرحت أطمئنهم على أنها مجرد مناورات من " الشين - بيت " لامتحـــاني شخصيا، هذا بالنسبة لملاحقتي، اما بالنسبة لاعتقال رامـــز فـــهي طريقـــة يستعملونها مع كل الشباب عند وقوع أي حادث لمجرد ارهابهم كى لا يفكروا بالقيام بأي عمل، وربما قادهم الاعتقال الجماعي لطرف خيط يوصلهم فـــي النهاية إلى المجموعة، ولو ان لديهم ادنى شك فعلى بأننا نحن الذين نقـوم بهذه العمليات لكانوا يعتقلوننا جميعا وأنا اولهم، وما كانوا بحاجة لتعقبي او تعقب باقى افراد المجموعة، فانني اعرفهم جيدا، واعرف كل مناوراتـــهم. لكى اطمئنهم اكثر، اطلعتهم على انني سأقوم باختطاف رامز خليفة من مكان اعتقاله في نظارة عكا، اذا لم يطلقوا سراحه يوم الجمعة القادم وجددوا له فترة التوقيف وهي ثمانية ايام، لانهم لو فعلوا ذلك لكان معناه انه يتحتـــم علينا ان نعمل وبكل سرعة، كى لا نضع رامز خليفة في اكثر مما يحتمـــل من امتحان، فنعرضه ونعرض انفسنا للخطر، لانهم لن يجددوا له التوقيـــف الا اذا كان لديهم فعلا ما يبرر تجديده، ولهذا فانني سأتصل بهم في الاسبوع القادم لاطلاعهم على آخر التطورات كي نعمل على ضوئها . وهنا اتفقنـــا جميعا انه حال اعتقال ايا من شاكر او الحاج اسعد او الاستاذ احمد او عادل خلال ذلك الاسبوع وفى أي وقت لاحق، ان نكون جميعا في حالة طـوارىء لثمان واربعين ساعة متواصلة، ويتحتم على باقى أفراد المجموعـــة مـــن نابلس ان يقوموا برقابة متواصلة على بيوتهم مـــن خارجـــها، لتفـــادي الاعتقال، لانه لو صح واعتقلوا احد أفراد المجموعة، ثـــم طـــافوا عليـــهم جميعهم لاعتقالهم فهذا يعني انهم اكتشفوا ولا بد لهم من مغادرة الضفـــة الغربية إلى الضفة الشرقية، وفى هذه الحالة يتحتم على من يعتقل أن يصمد في التحقيق لثمان وأربعين ساعة على الاقل كى يعطي للأخرين مهلة لتدبر

Scanned by CamScanner

امرهم، اما انا وافراد المجموعة ٧٧٨ نعدهم بأننا سنقوم بعد اول اربع وعشرين ساعة من اعتقاله باختطافه من المعتقل اذا استطعنا، او اختطاف شخصية اسرائيلية كبيرة او عدة شخصيات نحتجزهم كرهائن حتى اطلاق سراحه، ولن نطلق سراح رهائننا حتى يذاع نبا استلام المنظمات له، واعطائنا الاوامر مباشرة من إذاعة فتح لاخلاء سبيلهم، وقد لاقى اقتراحي هذا اعجابا من الجميع موافقة تامة، وهنا قال الحاج اسعد انه يستطيع الان وبعد ان قلت ما أريده ان يزف الي بشرى طالما انتظرتها، فسألته اية بشرى يمكن ان تكون غير ان " ابو عمار " يبعث الينا بشكره الشخصي على نجاح العملية، فقال ضاحكا بأن هذا هو القسم الاول من البشرى، اما القسم الثاني هو انه يقول لي ان الهدية في الطريق، وسأسمع نبأ وصولها إلى المكان الذي حددناه نحن بأنفسنا، خلال اسبوع من إذاعة فتح في القاهرة، وسينقلها " قاسم ابو خضرا " بنفسه، اما نبأ وصولها فسيكون ببيان موجه لمجموعتنا كما يلي " السمسم .. الاحمر " . قفزت من مكاني أكاد اطير من الفرح ورحت أعانقهم قائلا " الآن سنثبت للقيادة من هي منظمة فتح ومن هي مجموعة ٧٧٨ وسنثبت لديان والعالم من هي منظمة فتح ومن هي الثورة الفلسطينية .

وهكذا افترقنا على ان أخبرهم في الاسبوع القادم اذا ما أطلق سراح رامز خليفة . اما اذا لم يطلق سراحه فلن يعود لنا هناك من مبرر غير اختطافه، وهذا معناه موت كل احلامنا في الاستمرار في العمل من الداخل . كما وكنت قد اعددت تقريرا وافيا عن كيفية تنفيذ العملية ونتائجها بالتفصيل، وعن آخر تحورات علاقاتي مع المخابرات، وملاحقتهم لي ذلك اليوم، وعن اعتزامنا اختطاف رامز خليفة اذا لم يطلق سراحه، كي يرتبوا امر انتظارنا على الحدود اللبنانية من جهة البحر في هذه الحالة . وصلت قريات حاييم " في طريقي عائدا إلى عكا حوالي الساعة الثانية عشر ليلا،

Scanned by CamScanner

فدخلت مقهى " تل - حنان " ومنه اتصلت بمقر الشين - بيت " وطلبت التحدث إلى " الياهو موزر " الذي رد علي بعد لحظات، فقلت له بحدة وبدون مقدمات انني أعود لتوي من نابلس، وانني آمل أن يكون رجاله الذين جندهم ليلاحقوني ويقتفون اثري طيلة اليوم، أخبروه ما فعلت بهم، فراح يتظاهر بعدم فهم ما أقصده، فقلت له انه اذا كان يظن بأنني غبي، فانه يرتكب بذلك خطأ فادحا، وانني كل ما استطيع قوله في ذلك، انه كان عملا غير لائق، وان جميع رجاله الذين الحقهم بي، على درجة كبيرة من الغباء وعدم الحيلة، وعليه استبدالهم اذا ما كان يصر على اتباع مثل هذه الاساليب معي، وانه اذا كان يشك باخلاصي، فليس اهون ، عليه من مصارحته لي بذلك من وسيلة، ولا حاجة له اتباع مثل هذه الاساليب التافهة معي. فراح يدافع عن موقفه ويعتذر لي طالبا مني ان لا اسئ فهمه، لانه لم يبعث بهم ليتعقبوني او يلاحقوني، وانما يعتقد ان من واجبه حين يرسلني في مهمة خطيرة كهذه، ان يحافظ على سلامتي، وكانت وظيفتهم هي حراستي، والمحافظة علي هناك من اي خطر قد يتهددني. وكان لا بد له من اتخاذ هذه الخطوة دون ان يعلمني، ثم اقترح علي تأجيل الحديث في هذا الموضوع حتى لقائنا يوم الثلاثاء المقبل، لانه يريد ان يعرف اذا ما كان لدي من جديد، واذا ما كنت قد سمعت شيئا ما في نابلس، فاجبته بالنفي، وعبرت له عن فشلي الذريع في ذلك لانني كلما كنت أجلس في مكان ما، فاما يبتعد الناس عني، او يتحفظون من التكلم أمامي، ويظهر انهم كانوا يكتشفون فورا انني من العرب الذين يعيشون في إسرائيل ولا بد أن رجاله قد اطلعوه على هذه الظاهرة .

Scanned by CamScanner

اجتمعت مساء اليوم التالي بباقي أفراد المجموعة، وأطلعتهم على كل ما حصل وعلى نتائج لقائي بباقي الرفاق في نابلس، وطلبت اليهم مراقبة إذاعة فتح جيدا مساء كل يوم، وحال سماعهم نبأ وصول الحمولة الاتصال بي فورا، وان يكونوا جاهزين جميعا لنتدبر امر استخراجها من البحر، وهنا انتقلنا للحديث عن استمرار اعتقال رامز خليفة، وما كل الخطوات التى علينا اتخاذها بعد ان وصلني خبر تطور التحقيق معه، فيما اذا كان له يد في عملية " قريات حاييم " واحضار شهود عيان ليشهدوا أمامه انهم قد رأوه في مقهى تل - حنان " في منطقة مفراتس الصناعية ذلك المساء، وهذا مما أثار مخاوفنا من تحول مجرى التحقيق معه في اتجاه خطر اذا ما كان لدي المخابرات فعلا اي طرف خيط عن وجود رامز في منطقة العملية، واصر رامز على انكار ذلك، فتمدد فترة التوقيف بفترة اخرى، وعندها لا شك في ان رامز سيعبر أمتحانا عنيفا وقاسيا، ولذلك يترتب علينا ان نعمل وبسرعة اذا ما حدث ذلك، كي لا نحمل رامز اكثر من طاقته في عبور هذا

Scanned by CamScanner

الامتحان مع ثقتنا القاطعة ان لديه من الجلد والقوة والتجربة معهم ما يجعله يصمد في امتحان الايام الثمانية الاولى، وأنه لن يعترف بأي شيء حتى لو كانت ثمة دلائل قاطعة عليه، لانه يعرف اننا سنختطفه في نفس اليوم الذي ستمدد فيه فترة التوقيف كما اتفقنا سابقا .

رحنا نتدارس خطة الاختطاف كما وضعناها لنقوم بتنفيذها ليلة السبت، اذا لم يطلق سراحه يوم الجمعة، بحيث اقتحم انا النظارة الموجود فيها داخل مركز الشرطة في عكا بسلاحي برفقة محمد غريفات، لانني اعرف مركز الشرطة في عكا كما اعرف بيتنا لكثرة ما سجنت فيه منذ صباي، وأعرف مدخله الجانبي الذي تستعمله عائلات الشرطة المقيمة فيه، والمحاذي للنظارة تماما، بحيث نستطيع منه مفاجأة الشرطي المناوب، وعندها نرغمه على فتح النظارة واخراج رامز ثم نضع الشرطي مكانه . لننضم بعدها إلى يوسف ابو الخير وفتح الله اللذين يحرسان المكان في الخارج، ومن ثم نهبط جميعا إلى مركب عبد حزبوز الذي ينتظرنا بمحاذاة السور قبالة مركز الشرطة تماما على اهبة الاستعداد، لنغادر البلاد مباشرة إلى لبنان، وأتفقنا على ان نعد لذلك العدة، ونجهز كل ما يلزمنا لهذه المهمة كي نكون على اهبة الاستعداد، اذا ما فشلت في اطلاق سراحه بتوسطي لدى المخابرات في لقائي معهم بعد يومين بحجة أنه صديقي وانني اعرفه جيدا، وبهذا اضمن معرفة سر التحقيق معه، ومعرفة اذا ما كان هناك ما يبرر مخاوفنا من اعتقاله، وان علينا البقاء في حالة طوارئ دائما وعدم المبيت في بيوتنا ومراقبة حركة المخابرات داخل البلدة .

اجتمعت يوم الثلاثاء بالمخابرات في حيفا، حيث تحدثت مع " إلياهو " عن نتائج مهمتي في نابلس يوم السبت الفائت، ثم سألته عن سبب اعتقال رامز خليفة، وعدم إطلاق سراحه حتى الان، ما داموا قد قبضوا على احد المشبوهين بعملية " قريات حاييم " كما اعلن في الراديو، فأجاب بلهجة

Scanned by CamScanner

يائسة بان الشخص الذي اعتقلوه، لم يكن سوى أحد العمال المساكين ممن اعتقلوهم في منطقة العملية وليس له في هذه المسألة لا ناقة ولا جمل. وان المخابرات الإسرائيلية تكاد تفقد وعيها لفشلها الذريع في العثور حتى ولو على طرف خيط بسيط يقودهم لتعقب مرتكبي عمليات حوتريم وكيشون والطنطورة وقريات حاييم والقبض عليهم، او حتى معرفة ما اذا كانوا من المجموعات الداخلية ام انهم يأتون عن طريق البحر .. ولكن المخابرات بدأت تعتقد ان مرتكبي هذه العمليات كلها لا بد وان تكون احدى المجموعات الداخلية التي تضم عربا من إسرائيل اذا لم يكونوا نفس المجموعة التي تتركب من العرب في إسرائيل فقط، لان جميع العمليات التي قامت بها هذه المجموعة تحتاج إلى معرفة دقيقة للمنطقة وطبيعة الحياة و الحركة فيها ولاسيما عمليتي كيشون وقريات - حاييم " ولذلك لا بد لهم من اعتقال اكبر عدد ممكن من شباب العرب في المنطقة، لاسيما وإذاعة فتح لا تكف عن تحريضها الشباب من سكان قرى الجليل، فربما اسفر التحقيق معهم بالصدفة عن شئ ينتهى بالقبض على أفراد هذه المجموعة او المجموعات .

اما بالنسبة لرامز فقد اكد لي انهم لم ينتهوا من التحقيق معه بعد، فقاطعته معترضا، انني اعتقد ان ليس ثمة ما يبرر تأخيره وتعطيله عن عمله، لانه يقضي أغلب وقته معي، وأنه كان يسهر معي ليلة الحادث بالذات في مقهى " الكراكون "، مما سيثير شكوكه حولي لعدم اعتقالكم لي، وما ذلك الا مؤامرة من " الشين - بيت " لتشكيك أصدقائي بي وتلويث أسمى بين شباب عكا . كما انني لو عرفت عنه ان له علاقة مشبوهة باي شخص في الضفة الغربية، لما تأخرت في ابلاغ المخابرات ذلك حتى ولو كان اخي . ثم عبرت له عن استيائى لهذه الطريقة التي يتبعونها، والتى تدفع بالشباب العرب إلى مناهضة السلطة " وبالتالي إلى العمل ضد امن الدولة، ما داموا يعتقلون بطريقة تعسفية سواء عملوا ام لا، فوعدني بأنه

Scanned by CamScanner

سيتعهد اطلاق سراح رامز خليفة بنفسه حال اطلاعه على مجرى التحقيق معه، وما علي الا ان أكون مطمئنا، لانه يريد التحدث إلي في امر اهم من ذلك بكثير .

وراح يشرح لى كيف ان قيادة " الشين - بيت "، لاسيما هو شخصيا، تبني علي آمالا كبارا، اكبر بكثير مما اتصور، وان هذه الآمال ليست في تعقب الناس هنا، والاستماع إلى حديثهم كما فعلت حتى الان، وانما لمهمة أكبر بكثير من هذه، فسألته ضاحكا اذا ما كان لم يجد شخصا آخر ليتسلى معه غيري ذلك اليوم، فأجاب بأنه يتكلم بكل جدية، فعقبت ساخرا بأنني لم اكن أعرف انني على هذه الدرجة من الاهمية لديه، وسألته ما يمكن ان تكون هذه الأمال الكبار، وما هذه المهمة الخطرة التي يعنيها لارى اذا ما كنت أصلح لها .

صمت قليلا ثم رد قائلا بأنني اعربت له مرة عن استيائي من تفاهة المهام التى يكلفوني بها. وانني كنت اظن انهم سيكلفوني بمهمة ذي اهمية وعلى مستوى المغامرة، فعقبت أن ذلك صحيحا، ولا أزال مصرا على رأيي هذا، وهنا صمت مرة اخرى ثم أستطرد سائلا " لنفرض اننا سنكلفك في مهمة داخل عمان .. فهل انت مستعد للقيام بها ؟ " فأجبت بهدوء " اذا كانت تعجبني " . ثم طلبت اليه ان يوضح لي ما يقصده، فراح يحدثني بهدوء واقناع، عن نيته الصادقة في ارسالى إلى " عمان "، كي التحق هناك بمنظمة " فتح "، وبذلك اصبح رجل " الشين - بيت " الاسرائيلي بين صفوفها، ثم راح يحدثني عن ابن عمي الذي يعمل في المخابرات الاردنية وامكانية استغلاله هناك لاخراجي من أي مازق قد أقع فيه لصلة القرابة، وقد تم استغلال نفوذه لالحاقي بمنظمة " فتح "، مما يضمن لي مركزا جيدا في صفوفهم، وهنا عرض علي أي مبلغ من المال اطلبه من " الشين- بيت " .

Scanned by CamScanner

سالته بدوري ما نوع هذه المهمة التي ساكلف بادائها ؟ بعد التحاقي بصفوف " فتح "، فأجاب كأن اكون رجل المخابرات الإسرائيلية في صفوفهم، وعلى اتصال دائم بهم، فأستطيع اعلام المخابرات الإسرائيلية مسبقا بالعملية، التي تنوي مجموعات " فتح " القيام بها داخل الاراضي " الإسرائيلية "، او الدخول بمجموعات كهذه مستغلا معرفتى لمناطق داخل " إسرائيل "، ثم الايقاع بهم في شرك الكمائن الإسرائيلية .. أو ربما، استطعت هناك ان أطلع على بعض التنظيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة " واسرائيل " نفسها . فسألته اذا ما كان سيزودني في هذه الحالة بأي عنوان للمخابرات الإسرائيلية في عمان او غيرها من مدن الأردن أو قراه، أستطيع الاستعانة به، او يكون حلقة الوصل بي مع المخابرات الإسرائيلية .. وكنت بهذا انوي جره للاعتراف لي اذا ما كان لديهم مثل هؤلاء الاشخاص بين صفوف " فتح "، فأجاب ان ليس باستطاعته تزويدي بمثل ما أقصده من عناوين، وعلي ان اعمل هناك بمفردي، وحسب ما ارتئيه . فسألت سلخرا عما سيكون عليه مصيري اذا ما اكتشف امري هناك وقبض علي، حيث لا حكم في مثل هذه الحالة غير المشنقة، فاجاب انني سأكون في هذه الحال قد مت " شهيدا كباقي الجنود الاسرائيليين الذين يموتون يوميا فداء للوطن . وكل ما تستطيع المخابرات الإسرائيلية فعله، انها ستبذل كل ما في وسعها من مجهود لاستبدالي باسرى من رجال فتح، والتكفل بزوجتي وولدي مدى الحياة . فقلت ضاحكا، انه قد غاب عني ذلك، كما غاب عنى انني اذا ما نجحت في مهمتي يكون هو قد حصل على رتبة اعلى مما سيعزيني فوق المشنقة، فسأل بنوع من الغضب الهادئ، اذا ما كنت اسخر منه، فأجبت بانني لا اسخر، وانما لا يعجبنى ما يقترحه علي، وانني مستعد للتسلل إلى عمان والقيام بهذه المهمة، شريطة أن يكون اتصالى مع " الشين - بيت " بواسطة رجال هناك، وأن يتعهد خطيا في ملفي باتقاذي اذا ما اكتشفت، وان

Scanned by CamScanner

يكون لدي هوية تشهد بأنني من سكان الضفة الغربيـــة، وان تزودنـــي المخابرات بتصريح يمكنني من العبور والعودة متى شئت .. فقال انـــه لا يستطيع البت في هذا الموضوع بمفرده، وانما سيعرضه على القيادة بحيث يدرس بشكل جدي، والمهم أنني موافق على القيام بالمهمة بشكل مبدني . ثم أفترقنا على ان أفكر انا الآخر في الموضوع جيدا .

استمريت في عملي باقي أيام الأسبوع كالمعتاد، وكنت خلال هـذه الفترة أفكر في قضية اعتقال رامز، واذا ما كان سيطلق سراحه يوم الجمعة ام لا . وكان فتح الله مكلفا، بالعبور كل مساء إلى جانب طاقـة الغرفـة الانفرادية المحتجز فيها ليتأكد من وجوده هناك، بحيث يكح، فيعرف رامـز خليفة كحته ويرد عليه بمثلها . اتفقنا على ان نلتقي جميعنا في بيتي في عكا مساء الجمعة لنتدارس عملية اختطافه لآخر مرة اذ لم يطلق سـراحه، وطلبت إلى عبد حزبوز وفتح الله إجراء آخر فحص لمركبه وآلاته ويجـهزه جيدا للابحار، واخفاء اطواق النجاة والنظارات المائية للجميع، كما واتفقنـا على ان نكون جميعنا على أهبة الاستعداد .

ما كدت اعود من عملي يوم الجمعة إلى البيت، حتى كان الجميـع يستقبلونني بفرح وارتياح، وبادرني عبد حزبوز بقوله ان رامز خليفة خرج من المعتقل وينتظرني في بيته، فتركتهم لتوي متوجها لرؤيته على ان نلتقي جميعا في بيته . وما كاد يستقبلني، حتى رحت أمطره بالأسئلة عن مجرى التحقيق معه، ونوع الاسئلة التي كانوا يوجهونها له، وكان التحقيق كلـه يدور حول وجوده مساء عملية " قريات حاييم " في مقهى " تل - حنان " في منطقة مفراتس الصناعية، واذا ما كان له اية علاقة باحدى المنظمات، الا انه انكر ذلك تماما وخرج من التحقيق سالما . ثم جلسنا جميعنا بعـد ان توافدوا الواحد تلو الآخر، وتدارسنا امكانية استمراره في العمل معنا ام لا . الا ان الجميع قرروا استمراره بشكل حذر، على ان لا يشترك معنا في تنفيذ

Scanned by CamScanner

عملياتنا الاولى المقبلة، كي يبرز وجوده عشية كل عملية نقوم بها إلى ان تنصرف انظار المخابرات عنه، وسلم هو بقرار الجميع بعد ان عارضه بشدة، ثم سمعنا معا اذاعة صوت فتح من القاهرة في الساعة السابعة مساء، وكنت أتوقع إذاعة نبأ وصول الحمولة، وكان قد مر اسبوع كامل منذ ان اعلمني، الحاج اسعد بذلك، واتفقنا على ان نواظب على سماع الاذاعة كل يوم والاتصال بى في حالة سماعهم النبأ كما أتفقنا . ثم اخبرتهم اننى سأسافر في الغد إلى نابلس كى اطلع باقي الرفاق على اطلاق سراح رامز لينقلوا الخبر إلى القيادة . أوقف سيارتي صباح الغد في جنين، واستقليت عربة أجرة، بسفرة خاصة إلى القدس، تفاديا لاية ملاحقة من المخابرات لي، فوصلت القدس حوالي الساعة التاسعة صباحا، وتوجهت نحو سوق المدينة القديمة، ثم عدت بعد ان تسكعت قليلا وابتعت بعض الأشياء لمجرد صرف النظر، واستقليت سيارة اجرة ثانية عائدا بها إلى نابلس .

وصلت نابلس حوالى الساعة الثانية عشر ظهرا، فنزلت من السيارة بالقرب من بيت شاكر بعد ان تفحصت خلو المنطقة من داخل السيارة، وفى طريقى إلى بيته دخلت احد البيوت لاسأل عن إسم غير موجود، كما فعلت في المرة السابقة، كى أطمئن إلى ان بيت شاكر غير مراقب، ثم توجهت إلى بيته مباشرة، فاستقبلتني زوجة اخيه بحفاوة سائلة اذا ما كنت قد التقيت بشاكر في طريقي، فاجبت انني لم اتوقف في المدينة قد وتوجهت إلى البيت مباشرة، فاخبرتني انه قلق جدا وأنه خرج من البيت مند الصباح لينتظرني في المدينة، ثم ارسل احد ابنائها لاستدعائه . وسرعان ما كان يعود يتبعه باقي الرفاق، فاطلعتهم على اطلاق سراح رامز خليفة، وعلى مقابلتي الأخيرة مع المخابرات بعد ملاحقتهم لى، وطمأنتهم ان ليس ثمة ما يخشونه، واخبرتهم بما اقترحوه علي بالنسبة للمهمة التي ينوون ارسالى بها إلى عمان، طالبا إلى الاستاذ احمد اعداد تقرير للقيادة بحضوري عن كل

Scanned by CamScanner

ما أحدثهم به، ويطلب رأي القيادة بمقترحات المخابرات هذه، ثم ضمنت التقرير نيتنا بالقيام بعدة عمليات بعد تسلم الحمولة مباشرة، تستهدف خطوط البترول فقط، وانني سأقدم لهم تقريرا وافيا عن ذلك في الأسبوع القادم، اما اذا كانت لدى القيادة اهداف خاصة يودون ضربها، فعليهم ان يبعثوا لي بأوامرهم . وبعد ان فرغنا من إعداد التقرير قفلت عائدا إلى جنين حيث أبقيت سيارتي، ومن هناك تابعت طريقي إلى عكا .

Scanned by CamScanner

في نفس اليوم اجتمعت بباقى أفراد المجموعة، لنضع خطة عمل وافية بعد وصول الحمولة التي كنا نتوقع وصولها كل مساء . واستقر رأي الجميع على ان نقوم بثلاث عمليات جريئة تستهدف المصالح البترولية في اماكن مختلفة وفي نفس الليلة، ورحنا نتدارس إمكانية هذه المصالح وامكانية نجاح العملية بكل هدف منها، إلى أن توصلنا اخيرا إلى تعيين الاهداف بحيث تكون في المفاتيح الرئيسية لخط البترول الرئيسي الواصل من معامل التكرير في حيفا إلى الخزانات القطرية في " جليلوت يام " والواقعة بالقرب من مدينة الخضيرة قبيل مصنع " إلياتس " على بعد ما يقارب الخمس منة متر في الجانب الغربي من الشارع الرئيسى حيفا - تل ابيب .

اما الهدف الثاني فكان جسر القطار الحديدي القائم فوق نهر اسكندر " بالقرب من " بنيامينا "، موعد قطار الشحن العسكري المحمل بالبترول، والهدف الثالث في المفاتيح الرئيسية لخط البترول الواصل من

Scanned by CamScanner

معامل التكرير في المنطقة الصناعية إلى مخازن الاحتياط العسكرية الرئيسة في الياجور، واتفقنا على ان اقوم انا بنفسي بعمليات الاستطلاع لهذه الاهداف خلال الاسبوع، واعداد برنامج عمل واف للقيام بها . وهنا اقترح محمد غريفات ان يقوم بدوره هو الأخر بعملية تفجير لمستودعات الذخيرة الضخمة للمعسكرات الاسرائيلية في الجولان، الواقع تحت إشراف المعسكر الذي يعمل فيه كي يظل العمل مستمرا، ولكننا لم نوافقه رأيه حرصا منا عليه اولا ولتبق عملياتنا محصورة في الاهداف المدنية ذات المصالح الاقتصادية والتي لا يمكن إخفاؤها من الناحية الإعلامية لان المقاومة كانت في تلك الفترة بأحوج ما تكون إلى اثبات وجودها سياسيا إلى جانب اثبات وجودها عمليا، ولكننا اتفقنا على ان يبقى اقتراحه موضع بحث ودراسة ريثما نطلع القيادة عليه، ونحصل على موافقتها، وفي الحال جلس محمد ووضع تقريرا وافيا عن هذه المستودعات وماذا تحوي، ولم يحتج ذلك منه إلى وقت طويل لانه كان يعرف جميع التفاصيل عنها، وأخذته منه كي انقله إلى شاكر في اول لقاء لي معه .

في طريق عودتي من عملي في اليوم التالي، اوقفت سيارتي إلى جانب الشارع المؤدي إلى " كفار حسيديم " بعد مفرق الياجور، ورحت اتتبع خط البترول مشيا على الاقدام شمالا في اتجاه " كفار حسيديم " خلف الإشارات الدالة على امتداد الخط قاطعا ما يقارب الكيلومترين حتى وصلت ما ظننت أنها المفاتيح الرئيسية، وقبالة مزرعة إبطن، وبالقرب من مضخة المياه الرئيسية التي تزود المنطقة الصناعية، وقسما كبيرا من منطقة حيفا وضواحيها، ثم عدت في اتجاه السيارة بعد ان اطلعت على منطقة العملية جيدا، ومدى متانة اغلاق فتحة الخزان الارضي الذي يحمي المفاتيح ونوع الاقفال، وكانت امكانية تنفيذ العملية تبدو سهلة بالنسبة للعمليات السابقة .

Scanned by CamScanner

وحين وصلت سيارتى . تقدمت في الشارع الذي لم يكن يبعد عن الخط غير ما يقارب الخمس مئة متر، إلى ان وصلت قريبا من الهدف، فأوقفت سيارتي، وكشفت محركها، متظاهرا بتصليح عطل فيه لمراقبة المنطقة جيدا، ومعرفة ظروف الحراسة الليلية وبدئها، ورغم انني بقيت في المكان حتى الساعة الثامنة مساء، الا انني لم الحظ اية حراسة للخط، فتركت المكان على ان أعود مرة اخرى لمراقبة الحراسة عليه .

مساء اليوم التالى وبينما كنت انتظر باقى الرفاق في مقهى الكراكون، اذ بعادل عكر وهو احد اصدقائى القدامى يدخل المقهى، ولم اكن أفكر ان دخوله هذا سيخلق لي أكبر مشكلة وأخطر مأزق اقع فيه منذ ان بدأت العمل الفدائى .

تقدم مني محييا ثم جلس إلى طاولتى، وكان قد أخبرني بعد عملية كيشون انه هو الذي قام بالعملية، امتدادا لحديث سابق كان لنا عن المنظمات الفدائية والثورة الفلسطينية، وامكانية الالتحام بالثورة لمحاربة إسرائيل من الداخل، وكان ذلك بعد حرب حزيران مباشرة، وكنت قد بدات أدبر امر الانضمام إلى منظمة فتح، فسألته يومها اذا ما كان ينضم لاحدى المنظمات الفلسطينية لو أتيحت له الفرصة، فأجاب انه يفعل ذلك بدون تردد، ثم سالنى أذا ما كنت انا الآخر على استعداد لذلك، فأجبته انني يئست من الحياة في إسرائيل ومن الدول العربية، ولذلك أنوي الهجرة اما إلى كندا او إلى فرنسا مع زوجتي وابنتى الصغيرة، وانني قد حصلت على جواز سفر وأريد منه صورة تذكارية، وكنت في الواقع أنوي تجنيده بعد امتحانه، الا ان الصورة بقيت عندي ولم أحدثه بالموضوع مرة اخرى، ثم مرت الايام إلى ان جاء ذلك اليوم وأخبرنى انه هو الذي قام بعملية كيشون، وراح يقص علي يومها كيف أنه تسلل إلى منطقة العملية ليلا عن طريق البحر، ووضع العبوة التي تسلمها موقوتة من الفدائيين اللذين يعمل معهم في الضفة الغربية بين

Scanned by CamScanner

الاناييب مختلقا قصة خيالية . فتجاهلت الحديث ولم اطلع المخابرات عليه مطلقا، رغم انه كان يصلح لان يكون طعما جيدا لصرف النظر بعيدا، ومن ثم ليكون اثباتا على تعاوني معهم، الا انني رحت أشك فيه، ربما كان مدفوعا من المخابرات نفسها لامتحان اخلاصي في العمل معهم، او انهم يشكون بى فدفعوه ليستفزني ويستدرجنى للحديث، وإلا لما كان يترك منات الشباب في عكا ليأتى الي بالذات ويطلعني على مثل هذا الامر الخطير حتى ولو كان مجرد الكذب . ورحت أتعقبه وأراقب حركته، إلى ان تأكدت ان الموضوع كله لم يتعد كونه مجرد أحلام شاب وطني اراد ان يعوض عن رغبته في العمل وتحرقه لمأساة الشعب الفلسطيني بالتباهى أمامي بعمل لم يقم به، لكي يثبت لى وطنيته امتدادا لحديثنا السابق، وها هو اليوم يعود ويجلس أمامي في مقهى الكراكون وبعد عملية " قريات - حاييم " ليضمنى في امتحان أحرج واخطر هذه المرة .

نظرت اليه قائلا، بعد ان طلبت له ما يشربه " كيف حالك يا عادل، وما اخبارك هذه الايام ؟ " فنظر إلي وبسمة انتصار ترف على شفتيه، ثم وضع كفه مفتوحا على الطاولة امامى وكان يرمز بذلك إلى " الكف الاسود " فعرفت فورا ما يعني وما ينوي قوله لي، وأية كذبة كبرى هذه المرة لديه، فشعرت برغبة جامحة لصفعه بكل قوتى صائحا في وجهه " يا ابن الكلب ألم تجد احدا في عكا وفي إسرائيل كلها غيري تكذب عليه .. " الا انني تصنعت الاهتمام بما ينوي قوله، فنظرت اليه متسائلا، ماذا يعني، فأجاب بسؤالى والابتسامة لم تفارق شفتيه بعد " ها .. ما رأيك ؟ " فسألت " بماذا ؟ " فاجاب " بالنيران التى اشتعلت في الاسبوع الماضي "، فنظرت اليه متصنعا المفاجأة، فضحك ضحكة عالية، فقلت متخابثا " ضربة معلم "، ثم رحت أستدرجه في الحديث، فأخذ يقص علي كيف انه قام بها وحده، وبنفس الطريقة التي نفذ بها العملية الاول مستعملا لغة الرمز وما هذا الا

Scanned by CamScanner

بداية لاعمال اكبر في المستقبل، وأنه يكتفي الآن بما قاله، ولكنه سيخبرني في وقت لاحق بكل شيء تفصيليا، اما الآن فانه يود الحديث معي بالنسبة لعلاقتي بمحمد غريفات ولومي على صداقتي له، متسائلا كيف أصادق واحدا مثله يخون أمته وقضيته وينضم للجيش الإسرائيلي، وقد قرر ان تكون عمليته الثالثة هي اغتياله . شعرت بقشعريرة تسري في عروقي خوفا على محمد من هذا المجنون، وكنت طيلة الوقت الذي كان يحدثني فيه أفكر كيف على ان اتصرف معه، وقد خامرني شك قاطع بأنه مدفوع من " الشين- بيت " لامتحاني كما في المرة السابقة، إذ لا يمكن ان يحمل نفسه مسؤولية كهذه لمجرد حب الظهور، ولكي يظهر أمامي مظهر البطل، ولماذا اختارني انا بالذات . فلا بد وأن يكون ذلك حلقة اخرى اذن، من سلسلة الملاحقات الاخيرة لي . فسألته لماذا لم يطلعني على الامر من قبل ولم يحاول تجنيدي معه لاشاركه العمل، فاجاب انه منذ ان تحدثنا في المرّة السابقة، كان يفكر في تجنيدي، ولكنه خشي ان لا أوافقه على ذلك لزواجي من يهودية، ولانني لا أهتم بمثل هذه الامور .. فاستدركت سائلا لماذا يأتمنني الان اذن ويطلعني على مثل هذا السر الخطر، وهو يعرف ما ستكون نتائجه اذا ما بحت به ؟ فأجاب باسما، بأنه يثق بي إلى اقصى الحدود لانني لن أفعل ذلك واننى ربما لا اقبل العمل معه، اما ان اخبر السلطات عنه، فهذا ما لا يفكر به مطلقا، فاخبرته اننى سأكون سعيدا للانضمام معه إلى منظمة " فتح " والعمل سوية، وعليه ان يؤجل ما يفكر به بالنسبة لاغتيال محمد غريفات حتى نلتقي مرة اخرى ويطلعني بالتفصيل كيف التحق " بفتح "، وكيف قام بعمليتي " كيشون " و" قريات حاييم "، واذا ما نظمني معه، فانني سأغتال محمد غريفات بنفسي وبطريقة لا يكشفها احد .

رحت افكر كيف اخرج من هذا المأزق الذي زجني فيه عادل عكر، واضعا أمام عيني كلا الاحتمالين، فاذا كان مدفوعا من " الشين - بيت " فلا

Scanned by CamScanner

بد لى من اطلاعهم على ذلك لاثبات اخلاصي ولن يسبب ذلك اي ضرر له، اما اذا لم يكن مدفوعا، فمعناه انه يكذب ويتمادى في الكذب إلى حد اختلاق قصص بطولية، كى يثبت لى رجولته ويشتري احترامي له، مما قد يدفع به إلى تنفيذ وعيده باغتيال محمد غريفات كي يعوض عن كذبه، ولو لاثبات برهان عملي يغطي على كذبه امامي، ومعنى هذا ان لا بد لي من العمل على التخلص منه بأسرع وقت ممكن كبى لا ينفذ وعيده، وبهذا تصاب مجموعتنا بخسارة فادحة ولا تعوض . ورحت أفكر في اي الطريقتين اتخلص منه .

اجتمعت بباقي أفراد المجموعة، واطلعتهم على الامر، ثم تدارسنا الموقف فاقترح فتح الله ورامز خليفة علينا اغتياله والتخلص منه، الا ان الآخرين عارضوا الفكرة، لانه في هذه الحالة سيكون لدى المخابرات شك قاطع بى، اذا كان مدفوعا منهم، وسيجرنا ذلك إلى ما لا تحمد عقباه، وتوصلنا اخيرا إلى قرار يقضي بأن اطلع المخابرات على كل ما سمعته منه، فاذا كان مدفوعا منهم لامتحان اخلاصي لهم فقط، فانهم يكتفون مني بذلك، واذا كانت المخابرات تشك بأنني على علاقة مع احدى المنظمات، فسيكتفون من عادل بأنه لم ينجح فبى مهمته، ومني بانني أخبرتهم بالامر، وسيكون وعيده باغتيال محمد غريفات جزء من مهمته التي خطتها له المخابرات وليس من خطر على حياته . اما اذا كان الامر كله من بنات أفكاره لمجرد المفاخرة أكون بذلك قد اصطدت عصفورين بحجر واحد، أبرهن من ناحية على إخلاصي للمخابرات، ومن ناحية اخرى ادفع الخطر عن محمد غريفات بسجن عادل، وهذا على اي حال أفضل من اغتياله " والحقيقة انني اشفقت عليه، وقررت عدم اطلاع المخابرات على الامر في لقائي الأسبوعي معهم فبى اليوم التالى، والذي كان مجرد لقاء عادي ولم يدم طويلا .

Scanned by CamScanner

كرست باقي ايام الاسبوع لعمليات الاستطلاع للاهداف التي حددناها، حيث كنت اقوم بدورية استطلاعية بعد ظهر كل يوم حتى الساعة الثامنة والنصف مساء، وكنت اصطحب ابنتي الصغيرة " أرواح " معي وفتح الله، إلى أن درسنا مناطق العمليات جيدا، وظروف العمل وكيفيته، ثم أعددنا تقريرا وافيا في ذلك، سلمنه يوم الجمعة لشاكر وباقى الرفاق في نابلس، بحيث قام الاستاذ احمد باعداده من جديد لارساله للقيادة، كما وضمنا التقرير رجاء آخر من المجموعة إلى " أبو عمار " ان يعمل كل ما في وسعه لتزويدنا بما طلبناه من المواد المتفجرة بأسرع وقت كي تكون ضرباتنا متواترة .

Scanned by CamScanner

خرجت يوم السبت مع زوجتي وطفلينا أرواح ونمر إلى شاطيء البحر في نهاريا منذ الصباح، على ان نعود إلى البيت مبكرين، وكنت طيلة الوقت افكر وأنا على الشاطئ لماذا لم تصل الحمولة بعد، فقد مضى عليها اسبوعان كاملان منذ ان اخبرني الحاج اسعد باتها ستصل قريبا . كما ورحت أفكر بطريقة اخراجها من البحر متفحصا اصلح الامكنة لدفنها، حتى عينت المكان المناسب، ثم عدنا قبيل المساء إلى البيت .

جلست أشاهد برامج التلفزيون في غرفة النوم بينما كنت مستلقيا فوق السرير والراديو الترانزيستور إلى جانبي، وقد تركته موجها إلى اذاعة القاهرة، في انتظار بدء البث من إذاعة " فتح " في الساعة السابعة مساء، وما كاد المذيع يفتتح برنامج إذاعة فتح في تمام السابعة، حتى راح يناديا " من أق إلى ٧٧٨/أ .. من أق إلى ٧٧٨/أ " فخفضت صوت التلفزيون، ورفعت صوت الراديو الترانزيستور، وهو يكرر النداء عدة مرات، فشعرت برعشة تتملكني وبأن قلبي يهوي .

Scanned by CamScanner

" السمسم .. الاحمر .. السمسم .. الاحمر " ثم بدأ نشرته الاخبارية، ولكنه قطع النشرة وراح ينادي مرة اخرى :

" من أق إلى ٧٧٨/أ .. السمسم .. الأحمر " .

فتاكدت ان الحمولة قد وصلت وانها تنتظرنا الان في قاع البحر على بعد ما يقارب الثلاثة كيلومترات من البيت فقط .

تمنيت لو استطيع ان أطير تلك اللحظة، ثم أغوص في أعماق البحر لانتشالها، اذ كان ذلك اعظم حلم يداعب خيالي وهو ان يؤمن لنا مصدر المواد المتفجرة والاسلحة بانتظام وبكميات كبيرة كي نواصل عملنا دون انقطاع وحسب ما نرتئيه نحن طبعا لطبيعة وأرض المعركة التي نقف عليها ونعرفها جيدا .

وانتظرت حتى نهاية الاخبار، حيث عاد المذيع يناديا للمرة الثالثة " من أق إلى ٧٧٨/أ .. السمسم .. الأحمر .. "، مكررا النداء ثلاث مرات متتالية، وبين كل نداء ونداء، فاصل من الاناشيد الوطنية . فهببت واقفا على رجلي وأنا لا أكاد أصدق .. ثم رحت أخاطب المذيع من داخل الترانزيستور " شكرا لك يا احلى مذيع " اننى هنا اسمعك الان جيدا ولا داعى للتكرارا، واذا بزوجتي تناديني من المطبخ متسائلة اذا ما كنت أكلمها وماذا أريد، فأجبت اننى أسالها اذا ما كان عشائي جاهزا لانني أكاد اموت جوعا ولانني اود الخروج من البيت لساعة او ساعتين لقضاء حاجة ما .

فرغت من عشائي، ثم أدرت سيارتي متجها بكل سرعتها نحو عكا، فوجدت الجميع في انتظار يوسف ابو الخير ريثما يفرغ من عمله لينقلهم إلى نهاريا، لنحتفل سوية بأروع بشرى تصلنا .

حككت رأسي بمروري امام المقهى متوجها نحو بيت والدي مباشرة، وما كدت ابتعد حتى كانوا يخرجون الواحد تلو الأخر لنلتقي بعد فترة قصيرة في البيت جميعنا، ثم انضم الينا يوسف ابو الخير بعد ان ارسلنا في طلبه،

Scanned by CamScanner

وكانوا قد سمعوا النداء جميعهم، فرحنا نشرب نخب ما كنا نحلم به كلنا اكثر من عام ونصف .. ونخب صديقنا القديم قاسم ابو خضرا .

ثم امكث معهم، فتركتهم عائدا إلى نهاريا بعد ان اتفقنا على ان ينتظرني رامز خليفة وفتح الله في الميناء في الساعة الرابعة صباحا، بعد ان يكون عبد حزبوز قد ابحر بقاربه نحو الهدف، كي نستطيع انتشال الحمولة واخراجها إلى الشاطئ مبكرا .. بحيث ننتظره ثلاثتنا على الشاطئ مقابل الهدف، بعد ان يكون قد قطرها إلى مركبه بالحبل المربوط بها والوصول بخشبة تطفو على سطح الماء كالمخطط .

في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي الاحد، كنت قد وصلت بسيارتي ميناء عكا، فوجدت رامز خليفة وفتح الله في انتظاري، فسألتهما عن سبب تأخر عبد حزبرز، وكنت قد رأيت مركبه لا يزال في الميناء، فاجابا بأنهما لا يعرفان، وقال فتح الله انه كان في طريقه اليه ليرى ما الخبر، فطلبت اليهما ان ينتظراني ريثما اذهب بنفسي لرؤية ما يؤخره، ثم عدت برفقته بعد ان أيقظته من نومه، ولم نغادر الميناء الا بعد ان ابتعد عنا يشق عباب البحر بمركبه متجها نحو السمسم .. بينما اتجهت انا ورامز خليفة وفتح الله بسيارتي في اتجاه نهاريا .

في الخامسة صباحا كنا قد وصلنا قبالة السمسم، ورحنا نحفر حفرة كبيرة بين أعواد القصب وشجيرات النخيل المتشابكة على الشاطئ، وما كدنا نفرغ حتى كان عبد حزبوز يقبل بمركبه متجها ناحية جزيرة السمسم، وما ان وصلها حتى راح يدور حولها عدة مرات مناورا، وأنا أرقبه بمنظاري من الشاطئ من كل الجهات حتى رأس الناقورة .. إلا ان البحر كان خاليا من أية مراكب اخرى قريبة، كما كان الشاطئ لا يزال خاليا تماما من المقتحمين او حرس الشواطئ سواء البرية او البحرية .. وكان فتح الله يروح طيلة الوقت ويجئ على الشاطئ وهو يلعن البحر الذي كان قد ارتفع

Scanned by CamScanner

على غير عادته . أما عبد حزبوز فكان يدور حول جزيرة السمسم يفرش شباكه ويجرها للتغطية، ثم لف شباكه وعاد بمركبه متجها نحونا إلى ان أصبح على بعد امتار من الشاطئ فراح ينادينى قائلا انه لم يجد هناك شيئا . وما كدت أسمع ذلك حتى شعرت بأني افقد صوابي، فصرخت سائلا اذا ما كان قد تفحص المنطقة جيدا، فأجاب انه طاف المنطقة جيدا، ولكنه لم ير شيئا، فرحت أتمتم ناظرا إلى فتح الله ورامز خليفة اللذين صعقهما الخبر، بأنهم لا يمكن ان يكذبوا علينا ويخدعونا في امر كهذا . وأن الارسال كان واضحا ولا يشوبه شك، فهل يعقل اذن ما يقوله عبد حزبوز ؟ فرد رامز ان لا مجال الشك بوصول الحمولة، الا اذا كان الذي نقلها قد أفرغها قبل ان يصل المكان المحدد .. فقاطعه فتح الله بأن الذي أحضرها لا بد وأن يكون قاسم ابو خضرا . ولذلك فانه يثق ثقة قاطعة بأن الحمولة قد وصلت وقد أفرغت في المكان المحدد لها، لانه عمل مع قاسم ابو خضرا في البحر ويثق به جدا، وانه يعرف المنطقة كباطن كفه، كما انه لا يكذب قط . واستبعدت انا من جهتي ان تكون الحمولة قد اكتشفت لانني قمت بعدة عمليات استكشافية في الليل ولم أشعر بأية حركة على الشاطئ او في البحر، كما انني لم ار أي مركب بالقرب من المنطقة، ومن ثم لكنا الان في ايدي السلطات لو حصل واكتشفت . وهنا صاح عبد حزبوز قائلا بأنه سيقترب قليلا من الشاطئ لكي أرافقه فناولت مسدسي لرامز " والمنظار لفتح الله طالبا اليهما ألا يغفلا عن المراقبة قط، وان لا يستعملا المدس الا في حالة اضطرارية جدا، ثم قفزت بثيابي في الماء متجها نحو المركب لانضم إلى عبد حزبوز .

اتجهنا ثانية ناحية " السمسم "، وكان البحر قد بدأ يهدا شيئا فشيئا، وكان راي عبد حزبوز ان نوسع دائرة البحث هذه المرة حول " السمسم " لانه يعتقد إن تيار البحر ربما يكون قد أبعد الحمولة كثيرا عن مكان

Scanned by CamScanner

ارسالها لطوه، فرحنا نمشط البحر بنظرنا في كل اتجاه وبدقة، وما كدنا نقترب من جزيرة " السمسم " حتى رايت الخشبة المشدودة إلى الحمولة تطفو فوق الماء، فصحت به قائلا وأنا أشعر بنشوة عارمة بأن ها هي الخشبة تطفو فوق الماء متهما اياه بالعمى، فاتجه نحوها وهو يجيب دهشا، انه لا يدري كيف لم يرها، بينما يرى السمك في قاع البحر وهو هانج، وانطلق يغني موال " في البحر لم فتكم في البر فتوني "، بينما كنت انا انظر إلى البرميلين المشدودين إلى الخشبة يلوحان في قاع البحر، فامسكت بالحبل الموصول بهما ورحت اشدها إلى المركب حتى حاذياه، فقطرتهما إلى جانبه الغربى ليكونا من جهة البحر المفتوح ونحن نعود إلى الشاطئ .

وعلى بعد ما يقارب الثلاثمائة متر من الشاطئ قبالة رامز خليفة وفتح الله، حللت الحبل الموثوق إلى المركب، وقفزت إلى الماء بينما استمر عبد حزبوز مبحرا في اتجاه عكا دون ان يتوقف، ورحت أجرهما نحو الشاطئ فافلت احد البرميلين من الحبل ورسا في قاع البحر، فتركته واستمريت جارا البرميل الذي بقي عالقا بالحبل على ان اعود للثانى بعد ان نخرج الاول، وما ان اقتربت من الشاطئ حتى قفز فتح الله إلى الماء يساعدني على اخراجه بينما راح رامز يحرس المنطقة من حولنا . وما كدنا نصل إلى الحفرة حتى كان المستحمون قد بدأوا يتوافدون ولاح لنا من بعيد قارب طوربيد يتجه نحو رأس الناقورة في دورية استكشافية، فدفنا البرميل الذي اخرجناه واتفقنا على ان نترك الثاني في الماء حتى المساء . فرغنا من دفن البرميل فوضعنا فوقه صخرة لا يقل وزنها عن مئتي كغم كانت بالقرب من الحفرة، وقفلنا عائدين إلى عكا وتركتهما على ان نلتقي في الساعة الخامسة مساء في مقهى الكراكون وتوجهت إلى بيت والدي في البلد القديمة لاتناول طعام الفطور عند والدتي، واذا بشاكر ينتظرني، وكان قد سمع الارسال مساء السبت فجاء مبكرا ليطمئن على مجرى الامور، هو يكاد

Scanned by CamScanner

يطير من الفرح، فاخبرته ان كل شئ قد مر بسلام، وان الحمولة اصبحت في ايدينا وفي مأمن تام، فعانقني من شدة الفرح، فطلبت منه ان يعود إلى نابلس فورا ليبعث بالتقرير الذي أعددناه يوم الجمعة عن العمليات التي ننوي القيام بها، ويرفقه بتقرير يطمئن فيه القيادة على وصول الحمولة بأمان، وينتظروا اخبار نجاح العمليات من إذاعة إسرائيل . كما وطلبت منه ان يضمن تقريره عدم رضانا لصغر الحمولة اذ كنا ننتظر حمولة طن من المواد المتفجرة، فقال شاكر ان التقرير الذي أعددناه يوم الجمعة أصبح في يد القيادة الان، لانه بعث به صباح الامس، وان تقرير اليوم سيصل هو الآخر في الغد .

عدت إلى نهاريا دون ان أعرج على البيت، فاوقفت سيارتي بعيدا عن المكان، ورحت أحوم على الشاطئ أحرس الحمولة، خوفا من ان يكون هناك شخص ما قد رآنا، وظن انها صفقة مخدرات مهربة، فيغتنم فرصة غيابنا ويخرجها، وخوفا من عثور اي من صيادي البندقية الذين يوغلون في ابحارهم خلف سمك البلاميدا، على البرميل الثاني الذي بقي في الماء، مصمما القضاء على اي شخص قد يقترب منه ويكتشفه، ولهذا كنت مسلحا بالاضافة إلى مسدسي بسكين " كوماندو "، وكنت ابتعد مرات عديدة ماشيا على الشاطئ، او اذهب لاجلس في محطة بنزين بعيدا من مكان الحمولة، حيث كنت أجلس تحت مظلة الكشك لاشرب بعض المرطبات أو آكل اي شيء، وكان صاحب المحطة يعرفني جيدا، لانني كنت زبونا دائما لديه منذ التحقت بمنظمة فتح، وكنت لا أزود سيارتي بالوقود الا من عنده، حتى استطعت بذلك شراء مودته وثقته التي كنت أسعى اليها، تمهيدا لمثل هذا اليوم، وكان هذا امرا ضروريا في بلد كفلسطين المحتلة لان كل فرد فيها رجل مخابرات بحد ذاته، فمجرد ان يرانى اي شخص أنتظر في مكان ما او احوم حوله، حتى يخبر الشرطة بذلك، ولهذا كنت مطمئنا انه لن يفعل ذلك،

Scanned by CamScanner

وأنه سيبرر وجودي هناك في حالة انتباه شخص آخر او حتى الشرطة لوجودي، ويجنبني اي شك في امري . وفعلا سألني بنفسه اذا ما كنت انتظر فتاة ما كل ذلك الوقت، فأجبته انني نصبت شركا في البحر، واخشى ان يخرجه احد ما، فوافقني على ذلك معقبا، ان كثيرا ما فعلوا ذلك معه شخصيا، ثم عقبت انني لا أعمل اليوم، وهذه احسن طريقة أريح بها أعصابي من عناء العمل .

بقيت على هذه الحال اروح على الشاطئ واجئ إلى ما بعد الساعة الواحدة من بعد الظهر، وهى الساعة التي تنتهي فيها أرواح من المدرسة، ولحسن حظى انه لم يقترب احد من صيادي البندقية من مكان البرميل ذلك اليوم قط، وان القلة القليلة من المستحمين الذين كانوا بالقرب من مكان البرميل المدفون والذين كانوا يمرون بعض الاحيان من فوقه قد غادروا الشاطئ . فعدت إلى البيت وأخبرت زوجتي انني فرغت اليوم من العمل مبكرا كى أصطحبها وولدينا إلى عكا بعد ان نتناول غداءنا لنبقى معهما هناك اسبوعا كاملا، وكانت زوجتي تحب قضاء اكثر اوقاتها في بيت والدي، حتى اننا كنا لا نقض من السنة نصفها، في بيننا في نهاريا . وكنت أثناء بقاء زوجتي مع ولدينا في بيت والدي خلال الاشهر الاخيرة، قد أعددت مخبأ في سقف البيت القرميدي، وجعلت له مدخلا في ظاهره من الخارج، اذ كان يحيط به من جهاته الاربع سياج من الاشجار العالية تفصله عن جميع البيوت من حوله، بحيث يتعذر على اي مار او اي شخص يقف في الطريق او بين البيوت المجاورة رؤية ما يجري خلف الأشجار . وكنت قد زودته بالكهرباء، وبكل الادوات اللازمة للعمل، حيث يمكن لى القيام بتحضير العبوءات والالغام اللازمة، وخزن أطنان من المواد المتفجرة والذخيرة، دون ادنى خوف من ان يلحظ احد حتى زوجتي اية حركة غريبة، أو من اية مفاجأة لي . لاسيما لا يمكن لاحد في نهاريا كلها ان يتصور ان في سقف

Scanned by CamScanner

هذا البيت تعشش أخطر مجموعة فدائية فلسطينية تقلق أمن إسرائيل وسلامها.

عند المساء كنت أعود إلى نهاريا يرفقة فتح الله ورامز خليفة متوجهين إلى مكان الحمولة، بعد أن عرجت على البيت وتزودت ببرميلي بلاستيك كبيرين ؟ مملوئين، من النوع الذي يستعمل للنفايات، فوصلنا قبيل المساء، حيث تركت رامز وفتح الله يخرجان البرميل المدفون بعد ان أزحنا عنه الصخرة سوية لافراغه في برميل النفايات، وغصت في الماء لإخراج البرميل الذي تركناه في البحر، الا انني لم أعثر عليه في البداية حيث رسا وبقيت أبحث عنه اكثر من ربع ساعة حتى وجدته اخيرا، وقد سحبه الجزر اكثر من عشرين مترا بعيدا عن مكانه، وما كدت أخرج به من قاع البحر حتى كان فتح الله قد فرغ من عمله وقفز إلى الماء يساعدني على إخراجه إلى الشاطئ الذي كان خاليا من الناس تماما، بعد ان اخذ الظلام يهبط شيئا فشيئا، ثم عدت وفتح الله بعد ان افرغناه هو الآخر في برميل النفايات الثاني لنغرق البرميلين الأصليين في قاع البحر بعيدا من الشاطئ. ثم عدنا جميعا لنخفي الحمولة في سقف البيت القرميدي .

أفرغنا الحمولة، وجلسنا نتفحص ما كانت تحويه من عشرات الكيلو غرامات من أصابع الجلنيت والمواد المتفجرة، ومسدسا خاتقا للصوت وذخيرة له، وقد سررت به إلى أقصى حد رغم استيائي من حجمه الكبير وقلة الذخيرة التى لا تزيد عن خزانين مليئين وواحد فارغ من الذخيرة، وعشرات أقلام التوقيت والكبسولات، وعبوة ألغام جاهزة للسيارات والقنابل اليدوية، وكنت رغم سروري البالغ بوصول الحمولة، ألا انني امتلات غيظا على المسؤولين عن ارسال الحمولة، اذ كانت قوالب الـ " تى.ن.تي "، من النوع الردئ جدا، إلى درجة اننى شعرت برأسي يدور من رائحتها الكريهة

Scanned by CamScanner

أما أقلام النوقيت فلم تكن من صنف واحد، زيادة على ما اعتراني من غضب لنوع المسدس الذي لا يصلح للحمل دائما، وقلة ذخيرته .

غادرنا نهاريا عائدين إلى عكا التي وصلناها حوالى الساعة الثامنة والنصف، لنلتقى هناك بباقي أفراد المجموعة، الذين بقوا في عكا لاثبات وجودهم ووجودنا، بحيث كان الواحد منهم يدخل المقهى تلو الآخر فيسألون بعضهم إذا ما كان واحدهم قد رأى احدنا، فيجيبه الآخر بأنه قد تركه قبل دقائق فقط، وأنه سيأتي بعد قليل .

Scanned by CamScanner

فرغت من عملي يوم الاثنين وعدت إلى عكا ورحت أبحث عن عادل عكر حتى وجدته، فضربت معه موعدا للقاء بيننا يوم السبت المقبل فوق السور إلى جانب الفنار بين الساعة الثامنة والتاسعة مساء، وكنت قد قررت التخلص منه، بحيث اطلع المخابرات في لقائي الأسبوعي معهم في الغد، اذ لم يعد أمامي الا ان أدفع الخطر عن محمد غريفات بسجنه اذا لم يكن مدفوعا من المخابرات او قتله، كما وهدفت من ذلك الموعد، إلى الاطلاع على طريقة تعقب المخابرات بالآلات الإلكترونية المسجلة التي يستخدمونها، لتفاديها .

وهكذا توجهت إلى مقر المخابرات في حيفا بعد ان فرغت من عملي في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي الثلاثاء، وما كدت أدخل حتى استقبلني " الياهو " مرحبا، ثم انتقل إلى سؤاله التقليدي بعد ان جلست اذا ما كان من جديد لدي، فابتسمت بخبث قائلا، بان لدي جديدا يحتاج معه إلى اعصاب متينة .. فترك مكانه وجلس إلى جانبي وهو يسألني اذا ما كنت

Scanned by CamScanner

جادا، فأجبته ان كل الجد، ورحت اربت على جيب بنطالي الصغير، فسألني ماذا أعنى بذلك، فقلت بعدم اكتراث، " انه الآن هنا " . فنظر الي قائلا بلهجة معاتبة " عدنا إلى المسخرة "، فقلت انني جاد ولا داعي للمسخرة، وحين اقول انه هنا واشرت إلى جيبي ثانية، فمعنى ذلك انه هنا، فسألنى من أعني، فأجبت في كل برود إنني أعني المخرب الذي قام بعمليتي " كيشون وقريات حاييم " .

وما كاد يسمع ذلك حتى قفز من مكانه كالمجنون وهو لا يصدق ما يسمع طالبا مني ان أعيد ما قلته فطلبت منه ان يكون هادئا، ولا يتعجل بالتفاؤل لانني لا اثق شخصيا بما اعترفه لي ذاك الشخص عن قيامه بعمليتى " كيشون وقريات - حاييم " رغم خطورته، فسألني إذا ما كان قد اعترف لي شخصيا بذلك، فأجبت ان نعم وسأسمعهم إعترافه لى مرة اخرى مباشرة، إذا ما كان لديهم أية وسيلة لالتقاط حديثي معه وتسجيله لانني ضربت معه موعدا يوم السبت المقبل، يقص علي بالتفصيل كيف التحق بمنظمة فتح وكيف قام بالعمليتين، فسألني متى اعترف لى بذلك فأخبرته ان قبل يومين فقط، فتساءل معاتبا بغضب لماذا لم أتصل به فورا وأخبره، فأجبت انني اردت التأكد منه اكثر، فربما كان يكذب ولذلك ضربت الموعد يوم السبت ولا بد لهم من تسجيل ما يدور بيني وبينه من حديث " فقال متحمسا ان لا بد لنا من تقديم الموعد معه، خوف قيامه بعملية اخرى حتى ذلك الحين، فطمأنته قائلا انه لن يفعل شيئا لانني اتفقت معه على ان أشاركه تنفيذ عمليته المقبلة بعد ان يطلعني على كل شيء، وما عليه الا ان يكون مطمئنا لانه يثق بي، ولن يفلت من أيدينا، ثم أطلعته على هويته مبديا رأيي ان لا مانع من تعقب حركاته، شريطة ان لا يعروه بذلك مطلقا كي لا يفسدوا علي اتمام مهمتي . ثم خرجت من مقر المخابرات بعد ان اتفقت مع " الياهو " وشخصين آخرين ان نلتقي في احد مقاهى نهاريا

Scanned by CamScanner

مساء السبت، لتزويدي بالة تصنت إلكترونية يضعونها على جسدي، ويشرحون لي كيفية استعمالها . عدت إلى نهاريا مباشرة كي اشرع في تحضير العبوءات، فوصلت قبل بدء البث من إذاعة فتح في القاهرة. فوضعت الراديو الترانزيستور إلى جانبي ورحت أجهز المواد المتفجرة قبل ضغطها في العبوءة، وإذا بالمذيع ينادينا بعد افتتاح البرنامج من أق إلى ٧٧٨/أ " وكرر النداء عدة مرات يفصلها فاصل موسيقى، فراح قلبي يخفق بشدة لانهم لم ينتهجوا مثل هذا النداء لنا من قبل، وشعرت ان لا بد وان يكون هناك شئ خطير قد حصل، فتوقفت عن العمل وأخذت الراديو الترانزيستور بين يدي منصتا فعاد يكرر النداء " من أق إلى ٧٧٨ لا تستعمل الاخضر " وكررها، ثلاثا وبدا نشرته الإخبارية، ثم قطع نشرته الإخبارية ليكرر النداء، ثم عاد وكرره في نهاية الاخبار .

وضعت المواد المتفجرة جانبا، ورحت اتمعنها وانا افكر ما يمكن ان يكون هذا الاخضر الذي " لا استعمله "، لانني لم أفهم من ذلك شيئا، ثم انتهيت من تفكيري إلى انهم يقصدون في ذلك " الخضرة " اي ان القيادة لا توافق على عملية أنابيب البترول في مدينة الخضيرة، التي كانت من بين العمليات التي ننوي القيام بها، والتي ضمناها في تقريرنا الأخير، ثم مرة اخرى رحت اتفحص ألوان المواد المتفجرة والاقلام أمامي، والألغام، ولم يكن بينها ما هو اخضر اللون، الا انني شككت بها، لانها كانت زيتية اللون، ولكنني لم أنته إلى تحليل قاطع للنداء، فقررت ان اترك المواد المتفجرة التي بين يدي على ما هي عليه وعدم الاقتراب منها، وقررت السفر إلى نابلسي في الغد علهم يعرفون ما الخبر .

ما كدت أصل عكا، حتى كان باقي افراد المجموعة ينتظرونني على أحر من الجمر، ولم يكونوا يعلموا انني في نهاريا، وما ان دخلت عليهم حتى راحوا يبحثون معي ما يمكن ان يكون معنى النداء الذي كانوا قد

Scanned by CamScanner

سمعوه سوية، فلخبرتهم انني لم أفهم ما يقصدونه تماما، ولكن هذا يكفي لان لا نقترب من المواد المتفجرة التي تسلمناها وأن لا نقوم بأية عملية، حتى نستوضح الامر مع شاكر وباقي الرفاق في نابلس وأنني سأسافر في الغد من اجل ذلك

وصلت نابلس من بعد ظهر الغد - وكنت قد سافرت بعد ان فرغت من عملي - فاتجهت إلى بيت شاكر مباشرة، فوجدته برفقة الأستاذ احمد، وما أن رأياني حتى صاحا يهنئاني بالسلامة، فسالتهما مستغربا ماذا حدث، فسألاني إذا ما، كنت قد سمعت النداء، فاجبت انني حضرت لاستوضح منهم ما تقصده القيادة، فأخبرني شاكر انهم يعنون الالغام العشرة الجاهزة التي بعثوا بها وكان الخطر في استعمالها، انها ذات ابر حساسة جدا، وأية لمسة منها للكبسولة التي سأضعها حين اعدادها دون عازل، سيؤدي إلى انفجارها، ثم راح يشرح لى كيفية استعمالها، والواقع انني لولا استدراكهم هذا الخطر بندائهم في الامس، لربما كانت تنفجر بى، لانني كنت أنوي توزيعها على العبوءات التي أنوي إعدادها . وقبل ان نفترق أطلعتهما على ما حصل لى مع عادل عكر وما انا مقبل عليه من ايقاعه بيد المخابرات .

اطلعت باقي أفراد المجموعة على ما استوضحته من شاكر، وواظبت وباقي أفراد المجموعة على عملنا ذلك الأسبوع كالمعتاد، بينما كنت اقوم في ساعات المساء بتحضير العبوءات الثلاث، واعددت عبوءة رابعة صغيرة من لغمين لتكون جاهزة للاستعمال، واتفقنا جميعا أن ننفذ عملياتنا الثلاث في مطلع الاسبوع التالى .

كان علي مساء السبت الالتقاء برجال المخابرات في احد المقاهي في نهاريا، لتزويدي بآلة التنصت الإلكترونية لتسجيل ما يدور بيني وبين عادل عكر من حديث كما اتفقنا في الاسبوع الماضي، فاخذت أبنتي الصغيرة أرواح معي في الصباح وقمت بجولة استطلاعية لكل الاهداف مرة اخرى حتى

Scanned by CamScanner

يحين موعدي مع المخابرات، متظاهرا انني اقوم برحلة تنزهية معها، وكنت استقيم عند كل هدف فترة قصيرة أدرس خلالها منطقة العملية مرة اخرى لتسهيل المهمة .

لم اذهب للمقهى المتفق عليه مع المخابرات في الوقت المحدد، بينما كانوا هم ينتظرونني ؟ قبل الوقت، تركوا طاولتهم قبل ان أجلس، وتوجهوا بي إلى منزل منعزل في ضواحي نهاريا، خاصا بالمخابرات، وكانت عملية تزويدي بالآلة الالكترونية اسهل بكثير مما كنت اتصوره، فقد ثبتوها تحت ابطبى اليمين، وطلبوا إلي ان اختار مكانا على السور بعيدا عن هدير أمواج البحر، وان اتوجه إلى نفس المنزل مباشرة بعد ان أفرغ من لقائى معه، محاولين ايهامي بأنهم سيظلون في المنزل، وأنهم سيقومون بتسجيل المحادثة فيه، ولكنني رغم عدم خبرتي بعمل هذا النوع من السماعات، عرفت ان ذلك مستحيلا، وأنهم لا بد وأن يجلسوا بالقرب من مكان لقائنا .

لم يأت عادل في الوقت المحدد، فرحت اتجول فوق السور تارة وعلى الشارع المحاذي تارة اخرى، عله يأتي رغم تأخره عن الموعد . وفي هذه الاثناء حدث لى حادثين غريبين، فبينما كنت اتمشى في الشارع، واذا بيوسف ابو الخير يقف أمامي وجها لوجه، وقبل ان احاول افهامه ان لا يكلمنى - إذ كان ذلك اليوم في نابلس لقضاء مهمة - هم بالحديث معي - متسائلا عن معنى وجودي في ذلك المكان، فسارعت إلى اغلاق فمه مشيرا اليه ان يبقى صامتا، وأن يستمر في طريقه، دون ان يكلمني واكتفيت بالرد عليه انني أتنزه، فأدرك ما يدور حوله واستمر في طريقه مبتعدا عنى، وما كاد يوسف يبتعد قليلا وانثنى انا ناحية السور، حتى بادرني احد الاصدقاء بالسلام متوقفا، فرددت تحيته وسألته عن احواله، فراح يحدثني غاضبا، كيف انه ينس من الحياة في اسرائيل لان " الشين- بيت " يطارده في كل مكان، ثم راح يشتم الدولة ورجال المخابرات، ولطرافة

Scanned by CamScanner

الصدفة انه راح يكيل ابذأ شتائمه لاحد رجال المخابرات المكلفين بتسجيل محادثتي مع عادل عكر، ولا وسيلة لايقافه عن ذلك، وكلما كان يضيف له شتيمة اخرى، كنت أتصور منظره وهو يستمع إلى شتائمه، فأنفجر ضاحكا .. وحين رآنبى أضحك قال غاضبا انه يعرف ان لا جدوى لمثل هذا الحديث معي لانني كما سمع من الناس، اصبحت انا الآخر أتعاون مع المخابرات ولذلك لا عيش له بعد هذا في عكا، فإذا كان الوضع قد وصل إلى الحد الذي اتعاون انا فيه مع المخابرات الإسرائيلية بعد ما كنت من خيرة شباب عكا فهذا معناه اليأس من جميع العرب الذين يعيشون في إسرائيل . وقد كان يعتقد - وهنا تيقنت من انه يكاد يميل بالحديث إلى مرحلة خطرة، فسارعت إلى ايقافه عن الحديث متعللا بأنني انتظر فتاة ما راجيا منه ان يتركني على ان نلتقي مرة اخرى ونتحدث .

فات على موعدي مع عادل اكثر من ساعة ونصف الساعة دون ان يحضر، وكنت قد يئست من مجيئه تماما، فرحت اتآكل غيظا عليه، وبدأت اخمن المكان الذي أختاره رجال المخابرات في تلك الساعة لتعقب لقائى منه مع عادل، وانتهيت إلى انهم لا بد وأن يكونوا فوق مستشفى المجانين قبالة السور، اي مقابل المكان الذي كان مقررا ان أجلس فيه مع عادل بعد ان نلتقي . فاتجهت سائرا فوق السور حتى وقفت في نقطة مقابلة، ورحت أخاطبهم بواسطة السماعة قائلا، باننى أعرف انهم يجلسون الآن قبالتي فوق سطح المستشفى، وأننى قد يئست من مجيئه، فاذا كانوا يصرون على استمراري في انتظاره، فليشعلوا عود ثقاب واحد، اما اذا كانوا قد يئسوا من الانتظار هم الآخرون ويقترحون تأجيل اللقاء، فليشعلوا عودين . ولم يتاخروا في ردهم، فسرعان ما أشعلوا عود ثقاب واحد، فقلت انني سأنتظر في هذه الحالة ولكن ليس اكثر من ساعة واحدة فقط، وعدت اتمشى فوق السور في اتجاه الفنار، وما كدت اصل حتى كان عادل يتجه نحوي وهو

Scanned by CamScanner

يعتذر عن تأخره، بينما رحت اشتمه لانه جعلني انتظره كل هذه المدة الطويلة، وانني لولا اهمية هذا اللقاء لما كنت انتظره، وانه اذا كان سيتبع هذه الطريقة معي في مواعيده فإنني لن أوافق على العمل معه في المستقبل. وبهذا فتحت موضوع الحديث معه مباشرة، ونحن نتجه فوق السور لنجلس في ساحة المدفعية القديمة، قبالة مستشفى المجانين. وكانت الساعة تقارب الحادية عشر ليلا .

جلس يحدثني عن انتمائة لمنظمة فتح عن طريق رجال اتصال من مدينة جنين، وكيف انهم زودوه بالعبوءتين اللتين أستعملهما في تفجير أنابيب البترول في ميناء " كيشون وقريات - حاييم "، وعن طريقة تنفيذ العمليتين، وكيف انه كان يتصل بقيادة فتح باللاسلكي ويستقبل الاوامر منهم مباشرة، وانه قد اضطر إلى قذف اللاسلكي في البحر بعد ان فاجأه الحرس بعد وضع العبوءة تحت أنابيب البترول في كيشون، وقد زود القيادة بتفصيل كامل عن منطقة العملية، مما مكنهم من إذاعة نبأ التفجير بالتفصيل في الساعة السابعة من مساء نفس اليوم، ثم كيف انه نقل العبوءة التي فجر فيها خزانات البترول في " قريات - حاييم "، بين صناديق الخضروات في سيارته، ثم اوقف السيارة إلى جانب الشارع قبالة الهدف، ووضع العبوءة دون ان يثير انتباه احد، ثم عاد إلى سيارته وغادر المكان خلال دقائق معدودة، ولا أدري كيف استطاع ان يجلسني ساعة كاملة معي يحدثني تلك القصة الغريبة المختلقة، دون ان يكون لها اي اساس من الصحة .

انتقل بعد ذلك عن قضية تجنيدي، متفقا معي على ان يفرغ منها خلال اسبوع نبدأ العمل سوية، وكنت خلال حديثه لي ابدي اعجابي به وبجرأته وذكائه ووطنيته الصادقة، بعد ان كنت أظنه شابا منحلا لا ينتبه إلى مثل هذه القضية المقدسة، وكنت افعل ذلك لاشجعه على التمادي في كذبه، كما كنت اسأله بدهشة، كيف قام بالعمليتين تماما، كي أتعلم منه.

Scanned by CamScanner

متخيلا رجال المخابرات وهم يتابعون حديثه، ثم سألته لاما، لماذا لم يطلعني على الأمر منذ بدئه في العمل، لاجره في الحديث إلى ما قاله لي سابقا من انه لا يثق بي لان زوجتي يهودية، وانني لست من المتحمسين قوميا، ولا تهمني مثل هذه الامور. وفعلا راح يحدثني كيف انه فكر عدة مرات في تجنيدي، الا انه لم يجرؤ على ذلك لخوفه من عدم موافقتي لتلك الاسباب، ولم يكتف بذلك بل راح يحدثني عما يسمعه عني من بعض الشباب في عكا، بأني قد انحرفت واصبحت اعمل مع " الشين - بيت " ضد أبناء شعبي، إلا انه لم يصدق ذلك، رغم انني اصادق الشاويش الخائن محمد غريفات . وهنا سألني عما تم عليه رأيي في اغتياله، فأجبته ان لا بد من تأجيل ذلك حتى يتم تنظيمي رسميا، وانني سأقض عليه بنفسي بطريقة جهنمية بحيث لا يعرف احد انه اغتيل واين هو موجود الا من إذاعة فتح. ثم سألته لماذا لم يجند شبابا آخرين من عكا " فقال انه لا يثق بأي واحد منهم، وراح يعرض بكثير من الشباب الذين نعرفهم، وخاصة بفتح الله وزامر خليفة وعبد حزبوز، ونعتهم بالمنحلين وأنهم يقضون اوقاتهم في السكر والعربدة والمحششة، وقد سرني ذلك التعريض بهم الذي قدته اليه، لانه يطابق نفس الكلام الذي قلته عنهم للمخابرات حين سألوني رأيي فيهم

توجهت، بعد ان ودعته وافترقنا، نحو سيارتي التي كانت تقف بالقرب من السور، لاوهمه انني مسافر إلى نهاريا. وما ان دخلت السيارة حتى رحت أكلمهم طالبا منهم ان يلقوني في نفس المكان فوق السور كي يتسلموا آلة التصنت لانني أرغب قضاء ليلتي في عكا .. وما هي الا دقائق حتى كنا نلتقي في نفس المكان وقد شدوا جميعهم على يدي بحرارة يهنئونني على نجاحي الباهر في أداء مهمتي، الا ان " الياهو " لم يكن مرتاحا لما سمعه، وسألني رأيي فيما قاله عادل عكر، وعبر عن شكه في

Scanned by CamScanner

صحة كل ما سمع، معقبا بأنه يعتقد ان عادل بالغ كثيرا في حديثه، فرفضت التعليق على ذلك مدعيا بأن هذا الامر قد أصبح من اختصاص " الشين- بيت " رغم ما يبدو لى فيه من المبالغة، واتفقنا على ان لا يطلعوه على الشريط المسجل الا اذا أنكر واصر على الإنكار، ودون ان يعلموه انني كنت على اتفاق معهم في تسجيل ما دار بيننا من حديث، وانما كان ذلك مهمة قاموا بها بأنفسهم، لانهم كانوا يترقبونه منذ زمن طويل، كي لا يفتضح امري في عكا، فيفشلوا بذلك إمكانية تعاوني معهم .

علمت مساء اليوم التالي ان المخابرات قد اعتقلت عادل عكر للتحقيق معه، بينما رحت انا أرتب لتنفيذ العمليات الثلاث التي خططنا لها، واتفقنا، جميعا، على أن تكون مساء يوم الثلاثاء بعد خروجي من مقر " الشين - بيت "، وكانت العبوءات كلها جاهزة بوزن خمسة وعشرين كغم " تي.ن.تي. " للواحدة وهي كل ما وصلني في الحمولة من متفجرات تقريبا الا من بضع كيلو غرامات ابقيتها احتياطيا .

انتهيت من عملى مبكرا يوم الثلاثاء، واتجهت إلى مقر " الشين- بيت " في حيفا، فكان لقاؤهم لي ذلك اليوم حارا جدا، واطلعوني على ان عادل عكر ينكر كل ما دار بيني وبينه من حديث رغم سماعه للشريط المسجل، ولا مفر من مواجهتي له والاعتراف امامه بكل ما دار بيننا، وتمهيدا لذلك أخبروه اننى معتقل، وانهم قد أرسلوني للتحقيق معي في صرفند، ولن استطيع هناك الاصرار على الانكار تحت وطأة التعذيب، فرفضت هذه الفكرة لان ذلك سيفضح أمري في عكا كلها بل والجليل بأسره ثم تركتهم على ان يحاولوا تدبر الامور وتحاشي مواجهتي له .

Scanned by CamScanner

انتهيت من لقائى بهم حوالي الساعة الرابعة من بعد الظهر، فاتجهت إلى عكا مباشرة، حيث كان محمد غريفات ينتظرنى في بزته العسكرية وسلاحه، ويوسف ابو الخير وفتح الله جاهزين للعمل . ولم يكن ما نخشاه من عبور الحواجز البوليسية والعسكرية في الطريق لوجود محمد غريفات معنا، وقد كان يجلس إلى جانب يوسف ابو الخير في المقدمة، بينما كنت أجلس انا وفتح الله في المؤخرة والعبوءات الثلاث أمامنا بشكل علني، وقد تسلح فتح الله بمسمدسي القديم، اذ كنت اتسلح بالمسدس الصامت، واحتفظنا بأسلحتنا جاهزة لفتح النار حال اية مفاجآة تعرضنا للقبض علينا . وكنا قد اتفقنا على عدم التسليم والمقاومة حتى الموت في حال افتضاحنا واشتباكنا مع اي من حواجز التفتيش، وأن نحاول الدخول بسيارتنا إلى اقرب مكان مأهول وتفجر العبوءات بنا وبالسيارة .

Scanned by CamScanner

مررنا اولا بهدفنا في " كفار - حسيديم "، حيث دفنا العبوءة بالقرب منه، لوضعها وتوقيتها في طريق عودتنا، وهكذا فعلنا عند هدفنا الثاني قرب خط القطار في بينامينا، وتابعنا سيرنا نحو الهدف الاخير في الخضيرة .

كانت الساعة تقارب السادسة والنصف مساء حين وصلنا، وكان القمر ساطعا، فاتجهت وفتح الله نحمل العبوءة والعتلات، بينما بقي محمد غريفات يراقب المنطقة على الشارع في سلاحه الكامل لتفادي أية مفاجأة لنا واعلامنا حال توجه اي انسان نحونا .

فتحنا ثغرة في سياج الخزانات ودخلنا، وكنا نتصور اننا سننتهي من تثبيت العبوءة خلال نصف ساعة، وهو نفسي الوقت الذي احتجنا اليه في عملية " قريات - حاييم "، اذ كان غطاء الخزان مشابها لغطاء الخزان في " قريات - حاييم "، فرحت وفتح الله نشغل عتلاتنا بعد ان كسرنا الأقفال، الا أننا لم نستطع ازاحة الغطاء من مكانه، واكتشفنا ان الغطاء موصول من الداخل بقضيبين متداخلين، فرفعنا الغطاء بكل قوتنا، قدرا يمكنني من ادخال يدي، فأفلت الغطاء من يدي فتح الله ووقع على يدي بكل ثقله، إلى حد اننى شعرت بيدي تنكسر، إلا ان فتح الله الذي راح يتصبب عرقا استطاع رفعه ثانية، إلى ان حررت القضيبين، ففتح الغطاء بعدها بسهولة، وهنا كانت المفاجأة .

كانت المفاتيح مدفونة تحت عشرات الاكياس من الرمل، بعد ان كان في اعتقادنا انها ستكون مكشوفة . نظر إلى فتح الله متسائلا، فقلت له حتى النهاية "، وركعنا نعمل بكل قوتنا على اخراج الاكياس من فوق المفاتيح إلى ان مر علينا ما يقارب الساعة من العمل المتواصل دون ان ننتهي، فراح محمد غريفات ينادي بين الفينة والاخرى من الشارع بعصبية قائلا " هل تظنان انكما في البيت " . اما يوسف ابو الخير فقد كان يروح ويجيء على الشارع طيلة الوقت بسيارته في انتظار انتهائنا .

Scanned by CamScanner

وقبل ان ننتهي من رفع الاكياس، توقف راكب دراجة نارية بالقرب من محمد غريفات على الشارع، ظنا منه انه ينتظر سيارة تقله على عادة الجنود، ولشدة دهشتي رأيت محمد يصعد خلفه تاركا مكانه، ولم ادر ما الذي حدث له، ولكنه ما لبث ان عاد مع يوسف ابو الخير الذي كان يدور بسيارته بين قيسارية والخضري، ثم نزل ليقف مكانه مرة ثانية وهو يتحرق غيظا لتاخرنا في انهاء عملنا، إلى ان استطعنا اخيرا ان نفرغ من اخراج الاكياس، ونكشف عن المفاتيح الضخمة جدا، فثبتنا العبوءة بينها، واغلقنا الفتحة كما كانت، ناثرين اكياس الرمل حولها، وغادرنا المكان بعد ان عملنا ما يقارب الساعتين متوجهين نحو محمد غريفات، وما كدنا ننضم اليه حتى كان يوسف ابو الخير يمر بنا ليقلنا إلى الهدف الثاني في " بنيامينا " .

توقفنا إلى جانب الشارع الرئيسي حيث بقي يوسف ابو الخير في السيارة، بينما توجهنا ثلاثتنا نحو الهدف الذي كان يبعد ما يقارب الكيلومتر في طريق جانبية، وقبل الهدف بحوالي مئة متر وقف محمد غريفات يحرسنا، بينما تابعت وفتح الله وبيدنا العبوءة التي أخرجناها من مخبئها، وثبتناها بسرعة في المكان المحدد لها تحت الجسر، وإقتناها للساعة الحادية عشر وخمس دقائق قبل منتصف الليل بعد ان وصلت العبوءة بساعة التوقيت، وهو الموعد الذي يمر فيه قطار الشحن العسكري للبترول فوق الجسر، وقفلنا عائدين .

وما كدنا نبتعد عن مكان الهدف حتى التقينا بجنديين يسيران برفقة مجندتين على نفس الطريق، فرحنا نتشاور على قتلهم، الا ان الأمر ثم بيننا على أن نتحاش ذلك اذا لم يتعرضا لنا بالسؤال، فوضع كل منا إصبعه على زناد سلاحه لنكون جاهزين للعمل، ولحسن حظهم وحظنا انهم لم يلتفتوا الينا البتة، واستمروا في طريقهم، فاضأت مصباحي اليدوي مرة واحدة في اتجاه السيارة، وهي للإشارة المتفق عليها مع يوسف ابو الخير ليتقدم

Scanned by CamScanner

نحونا ويقلنا، فأقلنا وتابعنا سيرنا في اتجاه هدفنا الثالث في " كفار حسيديم " .

في طريقنا مررنا بمضخة ضخمة للمياه بالقرب من " قريات شلومو "، وكان معنا في السيارة لغمان جاهزان من الألغام التي وصلت في الحمولة، كنا نخفيهما في باب السيارة، وكنا نحملهما لعملية طارئة. فاتفقنا على ان نستعملهما لنجرب فاعلية هذه الالغام، فتوقفنا بالقرب من المكان . ثم حمل فتح الله اللغمين بينما سرت امامه مصمما على قتل الحرس اذا ما اعترضني، أما محمد غريفات فقد وقف بسلاحه يحرسنا، ولحسن حظنا لم يعترضنا احد، فوضعت اللغمين تحت المضخة وثبت فيهما قلمي توقيت لست ساعات، وخلال عشر دقائق فقط كنا نبتعد عن المكان متابعين سيرنا إلى كفار - حسيديم .

لم نكن نتصور ان اللافتات المعلقة على طول خط الأنابيب في " كفار حسيديم " والتى تشير إلى انه خط انابيب للبترول، كانت للتمويه فقط، فما ان فتحت وفتح الله باب الخزان الحديدي، بعد ان اخترقنا السياج، حتى شممنا رائحة رطوبة الماء تنبعث منه، ولشدة دهشتنا اكتشفنا ان الخط كله لم يكن سوى خط مياه، ينقل مياه المضخة المنطقية الرئيسية بعيدا من الخزان، مما جعلنا نفكر في حمل العبوءة ثانية لكي نستعملها في احد خطوط البترول، الا اننا قررنا في النهاية استعمالها ونسف المضخة نفسها، فتركت فتح الله يحرسني حول المبنى، بينما زحفت انا تحت البناء على بطني، حاملا العبوءة بين يدي والمصباح اليدوي في فمي، ما يقارب الخمسة أمتار حتى وصلت إلى الطربينة نفسها، فثبت العبوءة بها جيدا مع قلم توقيت لست ساعات، وخرجت لننضم ثانية ليوسف ابو الخير ومحمد غريفات في السيارة إلى جانب الشارع، حيث عدنا بعدها مباشرة إلى عكا، فتركنا يوسف ابو الخير وفتح الله في عكا وتابعنا محمد غريفات وانا سيرنا إلى نهاريا

Scanned by CamScanner

حيث كانت زوجته تقضي الاسبوع مع ولديهما حسين ولنا وكانت الساعة حين وصلنا لا تتجاوز الحادية عشر ليلا بعد .

اخذت أنباء الانفجارات تتوالى من محطة اسرائيل في الصباح الواحد تلو الآخر، عدا نبا انفجار العبوءة في مضخة المياه في " كفار - حسيديم "، وانتظرت نبأ الانفجار حتى المساء، الا انه لم يذع. فمررت في طريق عودتي من عملي في حيفا في مكان العملية، فوجدت عشرات رجال الشرطة وحرس الحدود يحيطون بالمكان المتهدم من الانفجار، فتابعت سيري مارا بحاجزين عسكريين، عائدا إلى عكا لنحتفل بنجاح العمليات بعد ان استمعنا إلى إذاعة انبائها من إذاعة فتح والإذاعات العربية، ونبا اعتقال العشرات من سكان قرى المثلث والجليل من محطة إسرائيل، بعد ان راحت إذاعة فتح تبالغ في مديح وتحريض ابناء المثلث والجليل، فضمنا بذلك تحويل انظار المخابرات نهائيا عن البحر بعد أن كان بعضهم يصر على ان جميع العمليات التي قمنا بها كانت تنفذ عن طريق البحر، ولهذا قررنا إبعاد الاهداف وتوزيعها في العمليات الأربع . في نهاية الأسبوع اصطحبت ابنتبى أرواح، وسافرت إلى نابلس، مارا بأماكن العمليات جميعها حيث قدمت هناك تقريرا كاملا عن نتائجها، وقد أخبرني شاكر ان الحمولة الثانية ستصلنا خلال اسبوع واحد وعلينا ترقب انبائها .

في يوم الثلاثاء من الاسبوع التالي ذهبت إلى مقر " الشين - بيت " كالمعتاد، فوجدت " الياهو " في انتظاري مع بعض رجال المخابرات ممن أعرفهم، فراحوا يسألونني اذا ما كنت قد عرفت أو سمعت شيئا ما يساعدهم على تعقب منفذي العمليات الأربع في الأسبوع الماضي، وعبروا عن اعتقادهم بأنهم مقتنعون الآن أن من يقومون بهذه العمليات لا بد وأن يكونوا من الداخل وليس عن طريق البحر، فوعدتهم ببذل كل ما في وسعي للتحري عن هويتهم .

Scanned by CamScanner

انتقلنا للحديث . عن عادل عكر وإصراره على الإنكار، وأنه لم يعد أمامهم مفر من ان اواجهه والاعتراف عنه امامه، بينما حدثني به. فرفضت بادئ الأمر، مدعيا بان ذلك سيفضحني في عكا كلها ولن أستطيع العمل بعد ذلك معهم مطلقا، ولكنهم راحوا يقنعوني بأنه لن يحصل لى أي ضرر. لان عادل مقتنع انني معتقل وانني تحت التعذيب في صرفند. وما علي إلا ان اطلق لحيتي بضعة ايام، أما هم فسيلبسوني ثيابا ممزقة ملطخة بالدم. ثم يصبغون اماكن من وجهي لتبدو وكأنها أثار تعذيب، فطلبت اليهم ان يمهلوني يوما او يومين ريثما افكر في الامر .

رحت افكر في الامر بيني وبين نفسى، ثم اطلعت باقى افراد المجموعة على الإمر، فوافقني الجميع ان لا بد لى من الموافقة، لان ذلك سيضمن لنا كف المخابرات عن البحث في هاتين النقطتين، ومن ناحية اخرى، سيزيد ذلك من ثقة المخابرات بى. مما سيجعلني بعيدا عن الشبهات، كما وسيضمن ذلك لنا ابتعاد الناس عنا في عكا ونبذنا، فنستطيع العمل دون ان يلتفت إلى تحركاتنا أحد .

اتصلت مع المخابرات بعد يومين، وأخبرتهم انني موافق على اقتراحهم، وأنني قد أطلقت لحيتي لهذا الغرض، فاتفقنا على ان نلتقي مساء السبت في مقبرة نهاريا، لارافقهم من هناك إلى سجن الجلمة .

التقينا مساء السبت في مقبرة نهاريا، وكنت قد بدأت القاهم هناك، تمهيدا لعملية اختطافهم التي بدأنا نخطط لها. واعلمنا القيادة بها في تقرير أرسلناه فبى وقت سابق، وطلبنا فيه تزويدنا بحقن مخدرة لاربع وعشرين ساعة على الاقل، للاحتفاظ بهم لضمان اطلاق سراح اى منا قد يقبض عليه

رافقتهم إلى سجن الجلمة، وهناك استبدلت ملابسي بثياب ممزقة عليها آثار من دم، ثم ضمدوا رأسي بشاش ملطخ بالدم، وصبغوا بعض

Scanned by CamScanner

الأماكن من وجهي وحول عيني، فنظرت في المرآة، واذا برعشة رهيبة تسري في كل اعضاء جسدي وتتملكني، لمنظري الذي كان يبدو رهيبا فعلا فاشفقت على عادل سلفا . وقبل ان يدخلونى على عادل وضعوا الحديد في يدي ورجلي. ثم فتحوا باب زنزانته وقذفوا بى داخلها، فألقيت بنفسى متدحرجا على الارض امامه .

ما ان رآنى عادل حتى كاد يغمى عليه، والحقيقة انني رثيت له من أعماق قلبي وشعرت بحاجة ملحة للبكاء، اذ كان في حالة تحمل على الشفقة، وتصورت نفسي مكانه في يوم من الايام . تعلقت نظراته المستغيثة بى، الا اننى اشحت بوجهي عنه قائلا انني لم أعد احتمل التعذيب، وانني قد اعترفت بكل ما قاله لى، وانه اذا لم يعترف فانه سيوقعني في داهية، وان اطلاق سراحي متعلق به .

وضع يده على كتفي ونظر في عيني قائلا انه لن يسمح لنفسه ان يكون سببا في تعذيبي وسجني وانه سيعمل ما في وسعه كي لا يورطنى، وهنا انحدرت الدموع من عينيه مما جعلني أخجل من نفسي وأتمزق له، وما كان منه بعدها الا ان اعترف بما قاله لي، والاغرب من ذلك انه أعترف بتنفيذ عمليتى " كيشون وقريات حاييم " كما جاء في اعترافه . وحين غادرت زنزانته اقتربت منه واضعا يدي المكبلتين حوله وقبلته قائلا الله معك يا عادل " ثم اكملت سيري، " واذا لم يكتشف امرنا ونموت او يقبض علينا في النهاية، فانني لن انساك، فلا فرق بينك الآن وبين اي واحد من مجموعتنا .. فقد كنت كبش فداء لنا جميعا " .

ما كدنا نخرج من زنزانة التحقيق، واستبدل ثيابي وأغسل وجهي حتى راحوا يستجوبوني بخصوص صورة لعادل كان قد أعطاني إياها . فأدركت انهم يحاولون نصب شرك لي هذه المرة فأجبت بأن ذلك صحيحا، وان ذلك حدث حين كنت انوي الهجرة ؟ وانها لا تزال عندي واستطيع

Scanned by CamScanner

إحضارها في أي وقت يريدون، فعقب " الياهو " انه كان مجرد سؤال عابر، وتركتهم بعد ان اتفقنا على ان نلتقي دائما في مقبرة نهاريا بدلا من مقر "الشين - بيت" في حيفا لابعاد الشبهة عني، بينما فعلت ذلك في الحقيقة للسبب السابق، ولتفادي اية مفاجأة لي مع المخابرات، وعندها استطيع مناورتهم على الأقل، لأنني كنت ألقاهم دائما وأنا مسلحا دون ان يشعروا بذلك، كما واتفقت مع باقي الرفاق ان يرافقني أحدهم في كل مرة القاهم فيها لحراستي من خلف الأنصاب .

Scanned by CamScanner

كان مقررا ان نحتفل مساء السبت بعيد الميلاد الاول لابني نمر في بيتنا في نهاريا، جميع اعضاء المجموعة وجميع اخوتي واخواتي ووالدتي وبعض الاصدقاء . وما كدت أفرغ يوم الجمعة من نقل الحاجيات اللازمة للاحتفال، حتى سمعنا سوية نبأ وصول الحمولة من إذاعة فتح، وكان النداء هذه المرة " من أق إلى ٧٧٨/أ .. السمسم .. الاخضر " وكان هذا يعني ان الحمولة قد افرغت بالقرب من نهاريا تماما وليس في المكان السابق، فاتفقت مع حزبوز أن القاه في الصباح الباكر على الشاطئ قبالة الاخضر .

في الساعة الخامسة صباحا كان عبد حزبوز يقبل في قارب وأنا أتابعه بمنظاري، واكتفى حين مر بي ان لوح لي بيده، وظل متجها نحو الهدف، ثم رايته بعد ان حام عدة مرات ينحنى على الماء مستمرا في سيره نحوي دون ان يتوقف، إلى ان أصبح على بعد ما يقارب الثلاثمئة متر من الشاطئ حيث ترك الحمولة ترسو في قاع البحر . فسألته عن

Scanned by CamScanner

كمية الحمولة، فأجاب انها اربعة براميل كبيرة، ثم ودعني وهو يتابع إبحاره عائدا إلى عكا بعد ان اتفقنا على الإلتقاء هناك .

في السادسة مساء من نفس اليوم، وقبل ان يأتي أهلي واصدقائي للاحتفال بعيد ميلاد نمر، توجهت مع فتح الله ويوسف ابو الخير إلى الشاطئ، متزودين ببرميلي نفايات فارغين، لنقل الحمولة فيها . واكتشفنا لدهشتنا ان ما جره عبد حزبوز كان بوميلين فقد وليس أربعة براميل كما قال لي، فتحنا البرميلين لنتأكد من محتواهما فوجدنا ان احدهما يحوي مواد متفجرة فقط، اما الأخبر فكان يحوي عددا كبيرا من القنابل اليدوية، وساعات توقيت، وذخيرة للمسدسات، فتأكدت من انه لا بد وأن يكون هناك برميلين آخرين، فافرغناهما ونقلناهما إلى عكا .

كانت ساعات التوقيت غارقة كلها بالماء، مما جعلني افقد اعصابي لانها كانت كلها تالفة ولا يمكن استعمالها . ذهبت إلى عبد حزبوز وأخبرته اننا وجدنا برميلين فقط ولا بد من ان يكون ثمة برميلان آخران، لاننا وجدنا ذخيرة للمسدسات ولا بد وان تكون الحمولة تحتوي على مسدسات، كما اننا لم نجد حقن التخدير وقد وعدوني وعدا قاطعا بإرسالها مع الحمولة، فأجاب انه يستغرب الخبر وأنه متاكد ان الحمولة كانت تحتوي على أربعة براميل وليس اثنين، ولا يمكن ان تكون الرؤيا قد اختلطت عليه، ومن المحتمل ان يكون البرميلان الآخران قد انفلتا من الحمولة في طريق عودته، او انهما انفلتا في نفس المكان الذي أرسى فيه الحمولة وابعدهما الموج .. فاتفقنا على ان اذهب في الصباح للبحث عنهما حول المنطقة التى اخرجنا منها البرميلين اولا، اما اذا لم اعثر عليهما، فاننا سنلتقي قبالة نهاريا لارافقه في مركبه للبحث عنهما على طول الطريق الذي سلكه في نقل الحمولة .

Scanned by CamScanner

بقينا ساهرين تلك الليلة في احتفال عيد ميلاد ابني نمر، حتى ساعة متأخرة من الليل، وفي الصباح الباكر ذهبت إلى الشاطئ ونزلت إلى المـــاء بحثا عن البرميلين في قاع البحر، الا انني لم افلح في العثور عليهما رغم انني بقيت في الماء اكثر من ساعة كاملة .

ما كنت اخرج من الماء حتى كان عبد حزبوز يقبل بقاربه يرافقـــه فتح الله، فانضممت اليهما وسلكنا نفس الطريق الذي سلكه في الامس، بعد ان أخبرته انني لم اجد شيئا، ولا بد لنا من البحث المتواصل حتـــى نعـــثر عليهما .. رحت وفتح الله ننظر إلى الماء كل في جانب من جانبي المركب، اما عبد حزبوز فكان يسير قاربه في نفس الطريق بدقة متناهية وكانه يسير فوق شارع، اذ كان يعرف البحر جيدا، حتى وصلنا المكان الـــذي اخـــرج الحمولة منه، وراح يحوم حول المنطقة اكثر من نصف ساعة دون جدوى، ثم عاد في نفس الطريق الذي سلكه بدقة وبطء متناهيين، وما كـــاد يقطـــع نصف المسافة حتى صاح فتح الله مسرورا وهو يلكم عبد حزبوز بين كتفيه

" يا سلام عليك يا ريس .. شوف هالطرستين ما اكبرهم .. يمينك يا ريس "

. ثم راح يفرك يديه وهو يطلق قهقهة عالية، فنظرنا حيث كان يشير فلاح لنا البرميلان الضائعان في قعر الماء بعيدا عن خط سيرنا فمال عبد حزبوز بقاربه ليتوقف فوقهما تماما .

عرفت منذ البداية اننا لن نستطيع اخراجهما بالغوص العادي لعمـــق الماء، ولا بد لنا من غواص محترف، اذ لم يكن بيننا من غواص محـــترف رغم ان عبد حزبوز وفتح الله من البحارة المعروفين في عكا، ورغم انـــي عملت في البحر مع قاسم ابو خضرا لا يقل عن خمس سنوات كاملة فـــي البحر والتمتع بقدرة جيدة على السباحة والغوص .

أنزل عبد حزبوز " الباتر " وقاس عمق الماء، وكان فعلا يزيد على أربعة أمتار، فرحنا نتشاور بيننا كيف نخرجهما، وقر الرأي على ان أحاول

Scanned by CamScanner

انا اولا بقدر استطاعتي، واذا لم افلح، فلا بد لنا من احضار غواص محترف من نهاريا او عكا، واغتياله بعد اخراجهما، واغراقه في البحر .

بقيت أحاول الغوص والوصول اليهما اكثر من ساعة كاملة، الا انني لم أفلح في الوصول اليهما مطلقا، إذ كنت أشعر في كل مرة ان شراييني تكاد تنفجر، وكان عبد حزبوز يعارض محاولاتي بعد ان جرب هو وفتح الله الغوص مرتين، قائلا باتني أعرض نفسي لخطر الموت بسبب عمق الماء . ولم يعد أمامنا من مبرر الا تنفيذ ما اتفقنا عليه، وفي طريق عودتنا لمعت في ذهني فكرة لمحاولة اخيرة يائسة بحيث نخرج إلى الشاطئ ونحمل معنا حجرا كبيرا اغوص به، بينما تكون المرساة إلى جانب البرميلين، ولن احتاج عندها للانتظار في الماء مطلقا، اذ يكفي ان اقلب البرميلين فوق المرساة ليعلقا بها .

ورغم معارضة عبد حزبوز لفكرتي، مقسما ان شراييني كلها ستنفجر، وأنني لن أخرج حيا، الا انني أصررت على خوض التجربة. فخرجنا إلى الشاطئ واحضرنا حجرا كبيرا وعدنا إلى مكان البرميلين .

أوقف عبد حزبوز المركب فوقهما تماما، ثم انزل المرساة بجانبهما، فامسكت بالحجر بين يدي وقذفت نفسي في الماء، فغصت بسرعة هائلة، وما ان وصلت البرميلين حتى أفلت الحجر وقلبتهما فوق المرساة وعدت إلى أعلى باقصى سرعة، وما كدت اصل سطح الماء حتى كان عبد حزبوز وفتح الله يتلقفاني ليساعداني على الصعود مذعورين، لمرأى الدم النازل من أنفي، فاستلقيت في القارب بينما راح عبد حزبوز يرفع المرساة والبرميلين عالقين بها، إلى ان قطرهما إلى المركب، ثم تابعنا سيرنا محاذين للشاطئ حتى أصبحنا قبالة مقبرة نهاريا ما يقارب المئتى متر من الشاطئ فارسينا البرميلين، حيث تابع عبد حزبوز ابحاره إلى عكا، بينما نزلت وفتح الله نجم الحمولة نحو الشاطئ حيث كنت قد اوقفت سيارتي .

Scanned by CamScanner

ما كدنا نخرج البرميل الاول إلى الشاطئ ونسير به نحو المقبـــرة، حتى كانت تحلق من فوقنا طائرة " فايفر " عسكرية على ارتفاع منخفـــض جدا، فقلت لفتح الله الذي نظر الي متسائلا ما نفعل، أن يستمر في الســـير كي لا نثير الشكوك .. وضعنا البرميل بين القبور وعدنا لنخرج الـــبرميل الثانى قبل ان تعود الطائرة من فوقنا، الا اننا ما كدنا نصل بالبرميل الثانى إلى الشاطئ حتى كانت تتجه نحونا وتمر مرة اخرى من فوقنا .

فتحنا البرميلين، فوجدنا احدهما يحوي موادا متفجرة والثاني يحوي ستة مسدسات ومدفعين رشاشين من نوع " كلاشنكوف " وحقـــن ومـــواد مخدرة وأقلام توقيت وكبسولات . افرغنا المواد المتفجرة فـــي برميـــل للنفايات كان معنا، بينما دفنا البرميل الآخر، ثم نقلنا المواد المتفجرة إلـــى منجرة يوسف ابو الخير مباشرة في عكا بين صناديق المشروبات الروحية والمرطبات في سيارتي، ثم عدت ونقلت البرميل الثاني في نفس الليلة إلـــى بيتى في نهاريا، بعد ان نقلت زوجتي مع أرواح ونمر إلى عكا في النهار .

كانت ساعات التوقيت كلها قد تلفت من البحر، ولا يمكن لنا اصلاحها في اي مكان، اذ لم يكن اي من اصدقائى يعمل في تصليـــح الســـاعات، فوضعتها في البنزين يومين كاملين عل ذلك يجدي معها نفعا، وحين تـــأكدت ان لا فائدة من ذلك، قررنا ان آخذ بعضها إلى نابلس لاطلاع شاكر علـــى الامر عله يستطيع اصلاحها، فاصطحبت يوسف ابو الخير وفتح الله، دون ان أنتظر محمد غريفات كما كان مقررا ليرافقنا ببزته العسكرية .. وقـــد ندمنا على ذلك بعد أن مررنا جميعا بأصعب امتحان منذ تنظيمنا حيث كـــان اختبار حياة او موت .

Scanned by CamScanner

كنا قد خرجنا من عكا مبكرا، دون ان نستمع لانباء الصباح، فلذلك لم نعرف ان مجموعة فدائية قد قامت بعملية تفجير في سوق العفولة العام ذلك الصباح، وقبل ان نصل مفرق مجيدو - العفولة في اتجاه جنين. هدأ يوسف ابو الخير من سرعة السيارة والتفت الي، وكنت أجلس في صندوق السيارة الخلفي وساعات التوقيت الملفوفة بخرق بالية تحت أقدامي، بينما جلس فتح الله إلى جانبه، فلفت انتباهي إلى ان الطريق إلى جنين مغلقة بعشرات رجال الشرطة وحرس الحدود الذين يفتشون كل سيارة تمر تفتيشا دقيقا . فسالتهما اذا ما كانا قد سمعا الانباء فاجابا بالنفي، فطلبت من يوسف ان يستمر في سيره ويتجه إلى اليمين في اتجاه وادي عاره، لنتفادى نقطة التفتيش متابعين سفرنا إلى نابلس في طريق طول كرم، ولكننا ما كدنا نصل مفرق كركور، حتى كانت تعترضنا نقطة تفتيش اخرى، وما كاد يوسف يتوقف حتى وضعت مخدة كانت تحت رأسي مستلقيا على المقعد متصنعا

Scanned by CamScanner

النوم بعد ان حررت أمان مسدسي متأهبا لاية مفاجاة، اذ لم يكن أمامنا اي مفر آخر .

تقدم شرطي من موخرة السيارة وصرخ بي يوقظني بلهجة عصبية ومهينة، فتظاهرت بالاستيقاظ وسالت مغضبا ماذا يريد، بعد ان غمزت فتح الله ويوسف ان يكونا متأهبين، فطلب مني هويتي الشخصية، فناولته إياها بعصبية، وقبل ان يفحص الهوية سألني بنفس اللهجة الاستفزازية عن المخدة ماذا تكون وماذا تحوي، فقذفته بها بعصبية، محتجا على لهجته الجافة والاستفزازية، وعلى انها المرة الرابعة التي توقفنا الشرطة بها وتفتشنا، وكنت أقصد في ذلك اغضابه كي أشغله في النقاش معي واحوله عن تفتيش السيارة والوصول إلى الساعات، لانه كان يهوديا شرقيا، وقد نجحت في ذلك اذ راح يسترضيني بعد نقاش قصير، ويشرح لي معتذرا، ان من واجب الشرطة ان توقف جميع السيارات التي تمر وتفتشها، وأن من واجبنا كمواطنين في الدولة أن نساعد الشرطة لتقوم بمهمتها، لان هؤلاء " المخربين " يسيئون لنا ايضا في هذه العمليات " التخريبية " التي يقومون بها دون فائدة .

التقينا في نابلس بشاكر والحاج اسعد والاستاذ أحمد، وقدمنا لهم تقريرا بوصول الحمولة، وما لاقيناه من صعوبة في إخراجها كما وضمنا تقريرنا مدى استيائنا من عدم المسؤولية في تحضر الحمولة وضمان سلامتها، وطلبنا ان تكون القيادة هى المسؤولة المباشرة في اعداد الحمولة وتفحص مغاليقها بحيث توضع في الماء أربعا وعشرين ساعة وفحصها بعد ذلك قبل ارسالها الينا، تفاديا لغرق المواد التي تصلنا بالماء، كما حصل للحمولة الاخيرة . ومرة اخرى عبرنا عن استيائنا لقلة كمية المواد المتفجرة، شارحا لهم مدى الخطورة في نقلها واخراجها، ولذلك لا بد لهم من ارسال كمية كبيرة دفعة واحدة، كى لا يضطروا إلى المخاطرة، اذ من

Scanned by CamScanner

يستطيع الوصول بأربعة براميل بسلام، يستطيع الوصول بخمسين برميل، ثم سلمته الساعات التالفة لاصلاحها او تزويدي بغيرها، ثم طلبنا في نهاية تقريرنا حمولة اخرى بحيث تحوي لا يقل عن طن من المواد المتفجرة، وارسالها هذه المرة قبالة مصنع للأسبست بالقرب من المقبرة في نهاريا - الذي يعرفه قاسم ابو خضرا جيدا - لانني كنت قد استأجرت هناك بيتا قديما من الخشب بالقرب من الشاطئ تماما باسم فتاة يهودية صادقتها لهذا الغرض، وكان موقعه لا يبعد عن مكان الارساء غير مئة متر تقريبا ومنعزل عن اي مكان للسكن .

وما ان فرغنا من اعداد التقرير، حتى فتح الحاج اسعد حديثه معنا قائلا ان " أبو عمار " يرجونا شخصيا ان نقوم بنسف عمارة واحدة في حيفا اذا كان باستطاعتنا ذلك في حد ادنى من الخطر على وجود المجموعة واستمرارها في العمل، ليكون ردا على نسف بيوت الفدائيين والمتعاونين معهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، تنفيذا للقصاص الجماعى الذي أعلن عنه موشيه ديان. فابديت استغرابي لهذا الطلب الضئيل، ناظرا إلى يوسف ابو الخير وفتح الله اللذين راحا يضحكان، ثم سالتهما " ها .. شو رأيكم بطلب الختيار "، فرد فتح الله." باين قلبه حنون هالختيار .. أما أنا بقول عنا "تي.ن.تي." لخمس ست عمارات " . وهنا طلبت من الحاج اسعد ان يبلغ " ابو عمار " شخصيا، اننا سننفذ طلبه هذا الأسبوع بالذات، ولكننا نطلب اليه المعذرة لمخالفة الاوامر، واضافة اربعة عمارات من عندنا زيادة على ما يطلبه، لاننا لا نستطيع القيام بعملية هزيلة، فاما ان نعمل بعنف او لا نعمل مع تقديرنا لكل المضاعفات، وستشمل هذه العملية جميع اطراف حيفا وقلبها، وأننا سننتقي أجمل العمارات، ولكي يتأكد من ذلك، اعددنا تقريرا في نفس الوقت واضعين اسماء الشوارع التي ستكون فيها العمليات وحددنا نهاية الاسبوع آخر موعد لتنفيذها . ثم اطلعناهم على رأينا فيما

Scanned by CamScanner

سيكون لهذه العمليات من رد فعل عنيف داخل اسرائيل، وما قد تسببه من صدام فعلي مع العرب الذين يعيشون في اسرائيل هذه المرة، وعليهم اعداد العدة لاستغلال ما قد ينجم عن حركات القمع ضد العرب، كما وعليهم اتخاذ كل الوسائل الوقائية للوقوف أمام اية عملية انتقامية عنيفة من اسرائيل، فربما يقوم الطيران الاسرائيلي بغارات قصف تكون ضحاياها أضعاف اضعاف نتائج العمليات الخمس .

عدنا إلى عكا، وهناك دعوت جميع أفراد المجموعة للتشاور في طلب ابو عمار ، وما قدمناه من تقرير، فوافقني الجميع على المخطط، واتفقنا ان اقوم انا بتعيين العمارات التي سننسفها اولا لمعرفتي الشاملة لحيفا، ثم اقوم بجولة استكشافية اخرى اثناء عملي في توزيع المشروبات الروحية، اطلع فيها محمد غريفات وفتح الله ويوسف ابو الخير عليها، وخطة تنفيذ العمليات فيها .

Scanned by CamScanner

عينت الاهداف، واطلعت باقي المجموعة عليها. ثم اصطحبت للآخرين ليتعرفوا عليها ويدرسوا مداخلها وطبيعة مواقعها، فوافقني الجميع عليها. إلا أن محمد غريفات، اعترض على نسف أضخم عمارة في " قريات اليعازر " كنت قد شملتها ضمن العمارات التي ننوي نسفها. وكان اعتراضه لكثرة الحركة والمقاهى من حولها خوفا من الفشل، ومن ثم عدم جدوى العبوءة التي سنضعها فيها اذ نحتاج إلى عبوءة مضاعفة على الاقل للتاثير بها، فاستبدلناها بهدف آخر .

أعددنا ما وصلنا من مواد متفجرة بخمس عبوءات بزنة خمسه وثلاثين كيلو غرام من المتفجرات للعبوءة الواحدة، وقد ابتكرنا طريقة جديدة في إعداد العبوءات هذه المرة لتلائم طبيعة ارض العمليات في الأماكن المأهولة، وكان علينا ان نبحث عن وسيلة تبدو فيها العبوءة شيئا عاديا ومتداولا بكثرة في الشارع الاسرائيلي، فوقع اختيارنا هذه المرة على استعمال براميل عصير الفواكه المركز الكبيرة، المصنوعة من البلاستيك

Scanned by CamScanner

المقوى والتي تشبه في شكلها العلوي القنينة، وكان هذا النوع من البراميل شائع الاستعمال سواء في محتوياتها الاصلية او في استعمال الناس لها سواء للماء او السوائل الاخرى، حتى أن بعض العمال كانوا يستخدمونها كثيرا في تنقلاتهم . وقد اخترنا اللون الازرق والاخضر بحيث تأخذ المواد المتفجرة في داخلها نفس اللون فلا تبدو غريبة للعين الفاحصة . ولما كان من الصعب علينا ضغط المواد المتفجرة من فتحة البرميل الضيقة، قصصنا قاعها الدائري الشكل قصا متناسقا ودقيقا، ثم ضغطنا المواد المتفجرة فيها واضعين قاعا من الغنبار القوي ثم الصقنا القاع البلاستيك المقصوص فوقه بلصوق قوي، ودهناها جميعا بنفس اللون، بحيث لم تعد بادية حتى للناظر اليها من قريب، أما بالنسبة لاقلام التوقيت ما كان علينا الا ان نفتح الغطاء اللولبي من اعلى ووضع القلم داخل المتفجرات واغلاق البريمة .

اتفقنا على ان يرافقني في هذه العمليات يوسف ابو الخير ومحمد غريفات وفتح الله، وعلى ان نكون مساء الاربعاء من نفس الاسبوع، واستطعت برفقة محمد غريفات نقل جميع العبوءات مساء الثلاثاء واخفائها في صندوق سيارة الشحن التي اعمل عليها في حيفا والتي، كنت ابقيها دائما هناك بعد عملي في شارع الميناء، وقد حصل لنا حادث طريف في طريقنا إلى حيفا، حيث توقفنا عند الحاجز العسكري لكثرة السيارات، تقدم منا اثنان من حرس الحدود لتفتيشنا ولكنهما عرفا محمد غريفات وسلما عليه بحرارة وراحا يسألانه عن أحواله، وكان احدهما قد انتبه للبراميل من خلفنا فراح يسأل محمد غريفات عما يفعل بكل هذه الكمية من " البراميل " اي العصير المركز، فرد محمد عليه انها لي وأني انقلها إلى احد زبائني في العمل في حيفا، فالتفت الي سائلاً اذا ما كنت استطيع ان أضع قليلا من عصير الليمون في مطرته، فاعتذرت له لان الزبون قد يردها لو اكتشف

Scanned by CamScanner

انها قد فتحت، ثم تناولت قنينتي بيره من صندوق كان في السيارة وناولتهما له ولصديقه، ثم تابعنا سيرنا، وقد أعطانا هذا الحادث ثقة كبيرة بأنفسنا، لتاكدنا من ان العبوءات تبدو براميل عصير طبيعية ولا تثير أي شك .

كان من المقرر ان نبدأ بتنفيذ العمليات حوالى الساعة السابعة والنصف مساء وهو الوقت الذي تقل فيه الحركة ما بين عودة الناس من اعمالهم وخروجهم للفسحة ليلا . إلا انني غيرت رأيي وقررت ان نستغل المطر الغزير الذي كان ينهمر في حيفا ذلك اليوم، ونبدأ عملنا في الخامسة والنصف، مستغلين شلل الحركة في الشوارع من ناحية ولابعاد الشك في تحركنا نهارا اذا ما تصرفنا كعادتنا بشكل طبيعي .

بحثت عن يوسف ابو الخير فلم أجده، فتوجهت إلى الميناء واصطحبت فتح الله، متجها إلى بيت محمد غريفات. فالتقيت به في الطريق إلى بيته، وكان بلباسه المدني فاطلعته على اقتراحي بالنسبة لتنفيذ العمليات، فاستحسن الفكرة وطلب الينا ان ننتظره ريثما يرتدي بزته العسكرية ويأخذ مدفعه الرشاش معه، الا انني أخبرته ان لا داعي لذلك ما دام مسدسه وسكينه وبطاقته العسكرية معه، وان لا حاجة لبزته العسكرية، لان مهمته ستكون قيادة السيارة وحراستنا من داخلها، واعلمته انني لم أعثر على يوسف ابو الخير، ولذلك فاننا سنقوم بالعمليات نحن الثلاثة فقط، فعقب بان ذلك يكفي ولا داعي لاكثر من ذلك .

وكعادتنا عند كل عملية، سبقني محمد غريفات وفتح الله إلى حيفا منفردين كل في سيارة أجرة منفردة، بينما تبعتهم انا بسيارتي حيث التقينا عند مفرق " التشيك - بوست " وتابعنا سيرنا إلى حيفا .

في حيفا نقلنا جميع العبوءات من سيارة الشحن إلى سيارتي واتجهنا مباشرة نحو هدفنا الاول في " قريات - اليعازر "، فبقي محمد غريفات داخل

Scanned by CamScanner

السيارة خلف عجلة القيادة على أهبة الإستعداد، ثم ترجلت انا وسرت اولا نحو منزل خاليا، بينما تبعني فتح الله بالعبوءة التي فرغنا من وضعها في المكان المناسب بسرعة وعدنا إلى السيارة، ولم تستغرق العملية من الوقت غير خمس دقائق فقط، تابعنا سيرنا بعدها نحو الهدف الثاني في " قريات شيرنتساك " متوقفين امام الهدف تماما وبنفس الطريقة ثبتنا العبوءة تحت اعمدة المنزل وعدنا بسرعة لنتجه نحو هدفنا الثالث في الكرمل .

فرغنا من هدفنا الثالث دون ان تعترضنا اية مفاجاة رغم ان المارة كانوا يروحون ويجيئون في الشوارع ولكن أما جريا واما مختبئين تحت الشماسي من المطر .

توقفنا أمام هدفنا الرابع في شارع " موريا " وكانت أجمل عمارة موجودة في الشارع كله وتقع على مفترق شارعين في مدخل الكرمل ومبنية بواجهاتها الثلاث المكشوفة من الحجر الايطالي الغالي الثمن، فاتفقنا على ان أدخل انا اولا من المدخل الأمامي، ثم لاقف في الشرفة من الخلف، وعندها يناولني فتح الله العبوءة لاثبتها في مكانها .

وقفت في الشرفة وأشرت إلى فتح الله الذي اتجه نحوي بالعبوءة، ولكنه قبل ان يصلني كان قد خرج من المنزل زوجان شابان في اتجاهه، فخفق قلبي خوفا من ارتباك فتح الله لهذه المفاجأة، إلا ان فتح الله ابتسم لهما ابتسامته الحلوة المعتادة وهو يخلي لهما الطريق وتابع سيره إلى مدخل العمارة وليس في اتجاهي، وما ان سارا بسيارتهما، حتى خرج، وناولني العبوءة ووقف يحرسني إلى جانب العمارة إلى ان دخلت بها إلى كراج السيارات وثبتها إلى العمود المركزي المحاذي لخزان الغاز المركزي للوقود ثم عدت وفتح الله إلى السيارة ثانية حيث تابعنا سيرنا نحو هدفنا الخامس في " نفية شأنان "، حيث توقفنا امام العمارة تماما في شارع برل ٢٤، فتقدمت فتح الله الذي تبعني بالعبوءة دون ان يعترضنا احد او نصطدم

Scanned by CamScanner

بأية مفاجأة، اذ كان المطر ينهمر غزيرا في " نفية شاتان "، والبرد قارسا لعلو المكان، مما جعل الحركة تكاد تكون معدومة في الشارع . وما ان فرغنا من وضع العبوءة بين أعمدة العمارة حتى سارعنا قافلين إلى عكا لنلتقي

هناك بباقي الرفاق في السابعة والنصف في مقهى الكراكون ونشرب نخب " الختيار " ونخب تنفيذ اول عملية يطلبها هو منا مباشرة، ثم اخرجت سكيني ورحت أحفر على الطاولة امامي ٢٢-١٠-١٩٦٩ " . " نسف بنسف " . وقد اتفقنا على ان تكون عملياتنا المقبلة جميعها في القلب، مدينة تلو المدينة ومستوطنة تلو المستوطنة .

لا لم انم تلك الليلة، وكنت قد تاخرت للمبيت عند والدي في عكا، فخرجت عند الفجر ورحت اتمشى فوق السور ونظري لا ينفك يتشبث بالكرمل . وحين اشرفت على ميناء الصيادين تفحصت المراكب الا انني لم ار مركب عبد حزبوز، ويظهر انه عز عليه وعلى فتح الله العودة إلى الميناء قبل ان يريا حيفا تصحو من اغفاءتها على صدر الكرمل مذعورة، فلم أنزل إلى الميناء، وعدت اتمشى فوق السور .

ما كاد نظري يتحول عن الكرمل ليبحث عن مركب عبد حزبوز وفتح الله في عرض البحر حتى كان صوت اول انفجار يلقي على الدنيا تحية الصباح، فنطرت لارى اية عبوءة كانت واذا بالدخان يتطاول فوق سماء " نفية - شأنان " فابتسمت أرد التحية وبصوت عال " يا صباح الفل " . وما كدت انظر إلى ساعتي التي كانت تشير إلى ٤:٤٠، إلا وصوت يرتفع من خلفي يقول ضاحكا و " الختيار " .. فتلفت واذا بمحمد غريفات يقبل على سعيدا، نظر الي وهو يتوقف أمامي، فتعانقنا، ثم عدنا أدراجنا لنفترق عند جدار السور بعد ان اخبرته انني ساسافر بعد ساعة إلى حيفا لأشهد مسرحية الانفجارات عن قرب .. اما هو وباقي افراد المجموعة عليهم ان

Scanned by CamScanner

يمارسوا حياتهم اليومية كالعادة دون ان يخرجوا من عكا، وخاصة عبد حزبوز وفتح الله .

في الساعة السادسة كنت قد وصلت إلى حيفا وبدأت في توزيع المشروبات الروحية والمرطبات على زبائني في شارع الميناء، وكانت اصوات سيارات الإسعاف والمطافئ والشرطة لا تزال تملأ شوارع المدينة . وبينما كان رجال المطافئ والشرطة لا يزالون منهمكين في " نفية - شأنان " والناس يتجمهرون في الشوارع يتحاورون حول الانفجار، روع الدنيا انفجار ثان في شارع موريا في " هدار هكرمل " فنظرت إلى ساعتي وسجلت الساعة ٦ر٢٥ صباحا . وقبل ان يصحو الناس من وهلتهم كانت السنة اللهب تتطاول حتى السماء، فصعدت سيارتي وتوجهت نحو شارع موريا، الا انني لم أستطع الوصول، إذ كانت الشرطة قد أغلقت الطريق وراحت تحقق مع كل من وجد في المنطقة . وقبل ان يستطيع رجال المطافئ وسيارات الإسعاف البدء في عمليات الإنقاذ حتى جاء صوت الانفجار الثالث في جادة " وودوج " في مركز الكرمل فأخرجت دفتري لاسجل الساعة السابعة والنصف، بينما ساد الهرج والمرج بين الناس وراحوا يقذفون رجال الشرطة ورجال الأمن الذين فروا إلى سياراتهم بالحجارة لكي يتوجهوا نحو ذلك الصوت الآتي إليهم من الجحيم، ولم يعد أمامهم الا ان يستدعوا قوات الجيش وحرس الحدود ليحتلوا حيفا ويسيطروا على المدينة الغاضبة وليفتشوا كل ابنية حيفا للبحث عن شياطين سكنتها .

اما انا فصعدت سيارتي لاستمر في توزيع المرطبات والمشروبات الروحية وكان شيئا لم يحدث، أرهف السمع بين الآونة والاخرى علني أسمع صوت الانفجار الرابع والخامس ولكنني فرغت من عملي في الرابعة من بعد الظهر دون ان أسمع شيئا، فصعدت سيارتي الخاصة بعد ان اوقفت سيارة الشحن وتوجهت نحو قريات اليعازر وقريات شبرنتساك، ومررت امام

Scanned by CamScanner

العمارة التي وضعنا فيها العبوءة في " قريات اليعازر " فوجدتها لا تـــزال سليمة ولكنني ارتحت لعدم وجود اية سيارة شرطة او تجمهر هناك فعرفت ان العبوءة لم تكتشف، وما كدت ابتعد قليلا نحو " قريات - شبرنتساك " حتى كان صوت الانفجار يدوي، فملت بسيارتي عائدا من حيث اتيت لافسح الطريق امام عشرات سيارات الاسعاف والمطافئ والشرطة .. لاتابع سيري بعدها نحو عكا تفاديا للعواقب .. وقد اوقفت في الطريق للتفتيش خمـس مرات متتالية، رأيت خلالها مئات العرب الذين كانوا ينزلونهم من الباصـات ويأخذونهم من أماكن عملهم ثم يحملونهم في سيارات الجيش والشرطة إلى المعتقلات .

وفي عكا شعرت وأنا أتابع سيري نحو البيت انني ادخـــل مدينـة محتلة، اذ كانت قوات الشرطة والجيش تغلق مداخلها وتجوب في طرقاتـــها تعتقل العشرات من ابناء عكا والقرى المجاورة، وما كدت اصل البيت حتى وجدت يوسف ابو الخير في انتظاري ليخبرني ان السلطات قد اعتقلت عبد حزبوز وفتح الله مع كل صيادي الاسماك في عكا .

جاءت في البيت إلى الراديو ورحت استمع لاذاعة إســرائيل التـــي اخذت تذيع اخبار الانفجارات طوال اليوم وردود الفعل الشعبية العنيفة التى وصلت عند الجمهور الاسرائيلي إلى حد الهستيريا على قياداته السياســية والعسكرية وخاصة في حيفا حيث راحوا يطالبون بإقالة قائد شرطة حيفـا والشمال "اهرون سلع "، كما وأخذ الراديو يذيع الاستنكارات التـــي كـان العملاء من رؤساء الطوائف والبلديات يتوجهون بها إلى رئيسة الـــوزراء وموشيه ديان . كما وراح يذيع نبأ اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي الذي عقد جلستين طارئتين الواحدة في تل ابيب صباحا والثانية في القدس بعـد الظهر وقد اتخذ قرارا للرد بعنف على هذه العمليات وهدد بعملية انتقاميـة تستهدف مخيمات اللاجئين، والحقيقة انني أشعر بالرهبة لاول مـرة ممـا

Scanned by CamScanner

ستكون عليه عمليات الجيش الإسرائيلي الانتقامية من مخيمات اللاجئين لتلك الموجة العنيفة من العداء الهستيري الذي تملك الصحف والجمهور الإسرائيلي، لتلك الخسائر الفادحة التي اسفرت عنها الانفجارات ولكثرة الجرحى وبعض القتلى الذين ملئوا المستشفيات في حيفا .

اما الإذاعات العربية فكانت تذيع اخبار الانفجارات وردود الفعل الإسرائيلية باتصال كما وراحت تذيع بيان الناطق الرسمي لمنظمة فتح الذي اعلن ان نسف البيوت في حيفا كان رد فعل على نسف السلطات لبيوت المواطنين العرب الارض المحتلة وان فتح ستواصل هذه العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين ما لم توقف الحكومة سياستها في القصاص الجماعي وقصف مخيمات اللاجئين في اربد وغيرها، كما وراحت تذيع بيان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي تعلن فيه مسئوليتها عن هذه العمليات مما أثار غضبي واشمئزازي لهذه المزايدة الرخيصة .

اما انا فكان شيء واحد يشغلني وهو اعتقال عبد حزبوز وفتح الله، وعدم اذاعة نبأ انفجار العبوءة الخامسة في شارع " أفنر " في " قريات اليعازر "، ولكنني لم اكن اخشى العثور عليها لاننا لم نترك اية بصمات عليها لاستعمالنا الكفوف اثناء تحضير العبوءة ووضعها .

وبت تلك الليلة في عكا ورحت أبرر تسكعي في الشوارع والمقاهي وكأنني اتسرق اخبار الناس وأتحرى على منفذي هذه العمليات، إذ كان رجال الأمن وعملاؤهم من العرب منتشرين في كل المدينة، وقد مارست دوري هذا عليهم، وكنت متأكدا من انهم سيقدمون تقريرا للمخابرات الاسرائيلية يذكرون فيه نشاطي في التحري عن الفاعلين .

بقيت أتسكع هكذا حتى بعد منتصف الليل، وفكري لا يزال مشغولا بالعبوءة الخامسة . كنت أسمع عن شئ اسمه حاسة سادسة وتحكم العقل في الاشياء من بعيد، الا أنني لم اكن أؤمن مرة واحدة في ذلك، ولكنه قد

Scanned by CamScanner

حصل لي بالفعل، ففي اللحظة التي كنت أفكر فيها بالعبوءة وأنا أتخيلها في موضعها الذي وضعتها فيه متمنيا لو كان لدي آلة إلكترونية إفجرها، واذا بصوت انفجار عنيف يدوي في سماء حيفا ليصل عكا، فنظرت تلقائيا إلى " قريات اليعازار " واذا بالدخان يتصاعد منها وصفارات الإنذار تجلجل في أجواء حيفا، فنظرت نحوها واضعا يدي على شفتي لارسل قبلة لها عبر البحر قائلا " فلتعرفوا الرعب انتم الآخرون .. لن ادعكم تناموا بعد اليوم " ثم اخرجت دفتري الصغير وسجلت الساعة ٢٠ر٢ فجرا، حيث قفلت بعدها راجعا إلى البيت لأغمض عيني على أروع منظر اراه .

كانت أخبار الانفجارات في حيفا والاعتقالات الجماعية للعرب في إسرائيل، والاعتداء عليهم في اماكن عملهم وفي منطقة حيفا، وعكا حديث الناس في كل مكان، وقد اعتكف معظم شباب عكا ممن يعملون خارجها في بيوتهم . فرحت أتسكع في أزقة البلد القديمة داخلا كل مقهى في طريقي لاكمل دوري بالنسبة لرجال المخابرات، والغريب ان كثيرا من الشباب كانوا يكفون عن الحديث حين كنت ادخل عليهم المقهى، اذ كان خبر اعترافي على عادل عكر قد عم عكا جميعا إلى حد ان زوجة صديقي محمود الصغير وهو من الزم اصدقائي كانت قد تركته وذهبت إلى بيت والديها تاركه له اثنى عشر ولدا في البيت، مهددة طالبة الطلاق منه اذا لم يبتعد عني ويتنازل عن صداقتي .

مررت في طريقي برامز خليفة فاخبرتني زوجته انه قد ذهب لعمله، فعرجت على يوسف أبو الخير في منجرته فوجدته منهمكا في عمله، فسالته اذا ما كان سمع أية اخبار عن فتح الله وعبد حزبوز فاخبرني ان المخابرات قد اعتقلت المئات من شباب عكا وخاصة صيادي الاسماك ولا داعي للقلق، وانه سيذهب إلى مركز الشرطة حيث هما معتقلان لتركيب مكتبة في بيت احد الضباط هناك وسيحاول الاتصال بهما .

Scanned by CamScanner

تركت يوسف ابو الخير وتوجهت إلى بيت محمد غريفات، فوجدته في لباسه العسكري وعلى اهبة السفر للالتحاق بوحدته، فسألته ما الخبر، اذ كنت اعرف انه كان في إجازة حتى صباح الغد، فاخبرني انه تلقى استدعاء مستعجلا لاستنفار الجيش الإسرائيلي في الشمال وانه يعتقد ان اسرائيل ستقوم بعملية انتقامية ضد لبنان وعلى مخيمات اللاجئين في الأردن، لانه سمع بيانا تفصيليا من الجبهة الشعبية ان عناصرها هم الذين قاموا بتفجير البيوت في حيفا عن طريق البحر، مبديين تصورا تفصيليا للطريق الذي سلكته عناصرها مطابقا للطريق الذي يسلكه قاسم ابو خضرا بحيث بات وقوع قاسم ابو خضرا في كمائن البحرية الإسرائيلية وشيكا ومؤكدا، وكان محمد غريفات غاضبا لهذه المسرحية إلى حد فقدان الأعصاب، وهو يصرخ " مش معقول .. مش مكفي مخلوش ولا واحد من عناصرهم الا دخلوا السجن من أغلاطهم كمان لاحقينا احنا .. ما يخلونا نشتغل ياخي والله ربنا ما عاد يخلص عبد وفتح الله .. ياخي يذبحوا بعضهم بره بس يسيبونا احنا نشتغل .. ثورة اللى كل واحد فيها عامل منظمة لحاله مش معقول تنتصر ياخي .. مش معقول " .

وضعت يدي على فمه، ورحت أهدئه وأقنعه ان المخابرات الاسرائيلية تعتقد ان مجموعة من العرب في إسرائيل هي التي قامت بهذه العمليات بالتعاون مع مجموعة من الضفة الغربية، وقد صرح " اهرون سلع " بذلك في مؤتمر صحفي، وهذا يعني انهم لن يصدقوا بيان الجبهة الشعبية ولا خطر من ذلك، ولكنه لم يقتنع قائلا انه يعرف الإسرائيليين جيدا وأنهم لا يتركون ثغرة دون استغلالها وهذه ثغرة خطيرة عملنا كل ما في وسعنا لابعاد نظرهم عنها .

وما ان هدأ محمد حتى جلسنا ورحنا نستعرض كل الخطوات التي قمنا بها في تنفيذ العمليات الخمس، لنرى اذا ما كنا قد ارتكبنا خطأ قد

Scanned by CamScanner

يقودهم الينا، فلم نجد اي خطا، ثم اتفقنا على ان نكون جميعنا علـــى أهبـة الاستعداد لمواجهة اي طارئ بحيث لا ننام في داخل البيوت وأن يكـون سلاحنا جاهزا دائما، اما بالنسبة له فعليه ان يكون جاهزا لنزع فرقته مـن أسلحتها اثناء دوريتها الليلية وتخطى الحدود بهم لانقاذ عبد حزبوز وفتـــح الله اذا ما اكتشف امرنا واشتبكنا مع الشرطة، ثم افترقنا بعد ان تعانقنا على أمل اللقاء في الاسبوع القادم .

Scanned by CamScanner

ما كدت أعود إلى البيت حتى وجدت استدعاء عاجلا لى إلى مقر " الشين - بيت " في حيفا، فتفحصت مسدسي جيدا وتزودت بباغة ثانية، وسافرت إلى حيفا بعد ان مررت بيوسف ابو الخير وأخبرته بذلك وان عليه الاتصال بمحمد غريفات فورا اذا طال غيابي اكثر من ١٢ ساعة، لانني هذه الحالة لا بد وأن اكون معتقلا، ثم شددت على يده وودعته .

في مقر " الشين - بيت " وجدت " الياهو موزرم " في انتظاري وقد بدا عليه التعب البالغ، فنهض بتثاقل يستقبلني، وهو يقول " اعرف انك لم تستطع معرفة أي شئ لان الجهاز كله والشرطة كلها لم تستطع ذلك .. وأعرف انك لم تنم منذ البارحة وأنت تتسكع في الشوارع والمقاهى " . فعقبت متصنعا الغضب " ولكننى أقسمت هذه المرة على كشف " هؤلاء المخربين " لو كلفني ذلك حياتي . وهنا اخبرني " إلياهو " بلهجة قاطعة انه متأكد ان هذه المجموعة التي قامت بالعمليات الأخيرة هي من العرب في إسرائيل، لان مثل هذه العمليات لا يمكن لاي مجموعة جاءت من خارج

Scanned by CamScanner

الحدود ان تفعلها بهذا الاتقان والعنف، وكذلك اية مجموعة سواء كانت من الضفة الغربية او من قطاع غزة، لان المجموعة التي نفدت هذه العمليات تعرف ولا شك طبيعة الحياة اليومية في المدن الإسرائيلية وخاصة حيفا، كما وتعرف المنطقة جيدا، لانها تصرفت كما لو كان شخص ما يتصرف داخل بيته، كما وان هذا الانتقاء الشامل لكل الاحياء في حيفا والتوقيت المتفاوت لا يمكن ان يكون صدفة، وأنه يعتقد انها كانت مجموعة صغيرة لا تزيد على الاثنين ومعهما سيارة مسروقة، واحد يبقى داخل السيارة والآخر ينزل منها ويضع العبوءة بكل سهولة ثم يعود .. والإرجح انهما لا بد وأن يكونا أشقرين لان جميع العمارات التي نسفت لا يسكنها الا يهود اوربيون .. ثم عقب " بتعرف يا فوزي انه راح في العمارة اللي في موريا واحد من احسن رجال المخابرات عندنا " .. فقلت متصنعا الجدية " الله يرحمه " ثم عقبت في سري " ويحرقه " .

صمت " الياهو " قليلا ثم تابع حديثه قائلا ان الصورة واضحة الآن أمامي وأستطيع العمل حسب ما ارتئيه أنا ولكن يجب علي ان أركز اهتمامي داخل وادي النسناس والحليصة في حيفا وفي عكا ومنطقة الجليل، وفي وقت لاحق في جنين ونابلس اذ لا بد وأن يكون مصدر المتفجرات من هاتين المدينتين .. ثم اخرج من جاروره ورقة صغيرة مطبوعة ووضعها أمامي .. فأخذتها واذا هي أمر رسمي صادر عن جهاز المخابرات لعدم التعرض لي في أي مكان أكون فيه ومد يد المساعدة الي من اي جندي او شرطي في حالة الضرورة . فابتسمت له مادا يدي أصافحه قائلا " الآن يستطيع فوزي ان يعمل " .. وقبل ان اخرج التفت اليه قائلا بعفوية " شو مع عبد حزبوز وفتح الله ؟ " فسأل مدهشا ما الخبر ؟ فاخبرته انهما معتقلان، فقال انني سألقاهما امامي في عكا، فعقبت وسأسألهما ربما استطاعا ان يعرفا شيئا ما من المعتقلين الآخرين .

Scanned by CamScanner

لم أذهب إلى نابلس طيلة الاسبوع الأول، كما لم يأت الي أي من الرفاق هناك، فخشيت من قلقهم علينا ولذلك قررت السفر إلى هناك والتسكع في الشوارع والمقاهي فقط اذ لا بد وان يراني احدهم فأستطيع التحدث اليه دون ان الفت النظر إلى أنني أعرفه .

دخلت مقهى " الطقطق " حيث كنا نلتقي في كثير من الاحيان واذا بالحاج اسعد يدخن النرجيلة في الزاوية، فتجاهلته تماما وجلست ليس بعيدا عنه قالبا كفي على الطاولة، وهي الاشارة ان لا يكلمني البتة، ولكي افهمه انني اود رؤية شاكر انتهزت فرصة راح يثرثر فيها النادل معي فقلت " ش " وكأنني أريده ان يصمت . فما كان من الحاج اسعد الا ان دفع حسابه وخرج . لم تمض نصف ساعة على خروج الحاج اسعد حتى كان شاكر يمر أمام المقهى منتهزا فرصة تعرفه على احد الزبائن فوقف معه يسلم عليه ليلفت انتباهي ثم استمر في طريقه .

خرجت من المقهى وتبعته، وما ان أدركته حتى أخبرته دون ان التفت اليه ان لا داعي للقلق وأنني قد كلفت من المخابرات الاسرائيلية بالبحث عمن قاموا بالعمليات ومعي امر مكتوب من المخابرات ولكن عليهم ان يبقوا على حذر، كما وطلبت منه ان لا يأتي إلى عكا مطلقا وان لا يقوم بأي نشاط خلال اسبوعين . وقبل ان أبتعد عنه قال " الحمولة في الطريق "

Scanned by CamScanner

صحوت ليلة الرابع من تشرين الثاني على صوت انفجار بعيد ثم تبعه انفجار آخر ولعلعات رشاشات ثقيلة، وكنت ابيت ليلتها في نهاريا، وكان صوت الانفجارين وطلقات المدافع الرشاشة قد اتت من ناحية البحر، فتملكنى خوف مبهم من ان قاسم ابو خضرا قد وقع في كمين البحرية الإسرائيلية كما كان محمد غريفات قد تنبأ، وتذكرت قول شاكر " الحمولة في الطريق " . تسللت من جانب زوجتى بهدوء وأخفيت سلاحي، ثم توجهت إلى شاطئ نهاريا، ولم اكن في حاجة للبحث كثيرا، فقد كانت كشافات زوارق الطوربيد تمشيط البحر والشاطئ على بعد ما يقارب الكيلومترين من شاطئ نهاريا قريبا من السمسم، فعدت إلى البيت خشية ان يعقب ذلك عملية تمشيط للشاطئ كله، وقلبي مثقلا بالحزن وقد بدا كل شئ ينهار، ولا ادري كيف لم أشك ولو للحظة ان لا بد وأن يكون قاسم ابو خضرا هو الذي وقع في الكمين .

Scanned by CamScanner

ركبت سيارتي في الصباح واتجهت إلى عكا حيث طفت بجميع الرفاق لاخبرهم بما حدث وليكونوا على حذر وفى حالة طوارئ لمدة أسبوع كامل . وقد توقعنا اعتقال عبد حزبوز وفتح الله مرة اخرى .

وقبل ان اخرج من بيتنا في عكا فوجئت باحد رجال المخابرات يسأل عني خارج البيت، فحررت امان مسدسى تحت حزامي المغطى بالجاكيت، وخرجت اليه، فأخبرني ان " الياهو " ينتظرني في صالة اوتيل دولفين في نهاريا، فطلبت منه ان يذهب وسأتبعه بعد نصف ساعة فقط .

عرجت في طريقي على محمد غريفات وأخبرته ان فتح الله وعبد حزبوز قد اعتقلا ثانية، ثم أخبرته بطلب " الياهو " لي وطلبت اليه ان يرتدي ملابسه العسكرية ويأخذ رشاشه ويحاول حراستي من خارج اوتيل دولفين دون ان يلفت الانتباه، وحين يسمع طلقات داخل الصالة ان يهب لمساعدتي، واخبرته ان ذلك من باب الحيطة فقط وانني لا أعتقد انهم اعترفوا عنا، ولكنني أعتقد ان " إلياهو " سيطلب مني التحري في عكا عمن لهم اتصال مع قاسم ابو خضرا .

انزلت محمد غريفات قبل الاوتيل بقليل ثم تابعت بسيارتي حتى دخلت الاوتيل ويدي فوق مسدسي استعدادا لاي شرك قد أقع فيه . كان " إلياهو " ينتظرني وحده مما جعلني أشك في ان رجاله يختبئون في مكان ما . وما ان رآني حتى نهض من مكانه يستقبلني وهو يعتذر عن ازعاجه لي قائلا انه لن يطيل على في الحديث . ولم أنتظر هذه المرة كي يبدأ هو الحديث، فبادرته بالسؤال عما جرى واذا ما كان قد حصل شئ خطير . فنظر الي سائلا اذا ما كنت اذكر حديثنا الأخير الذي اكد لى فيه ان " المخربين " الذين قاموا بعمليات حيفا لا بد وأن يكونوا من العرب في إسرائيل ومن منطقة عكا بالذات، فقلت ان طبعا اذكر وتساءلت اذا ما توصل إلى طرف خيط يقودنا اليهم، فضحك ضحكة صفراوية قائلا بأنه يعتقد ان ما توصل

Scanned by CamScanner

اليه هو اكثر من ان يكون طرف خيط، فقلت دهشا " من قضاء عكا " فرد انه لا يعرف حتى الآن بالضبط ولكن يجب ان يكونوا من قضاء عكا . وهنا اخذ قلبي يخفق بشدة ولكنني نظرت في عينيه وانا اقترب وجهي سائلا لماذا ؟ "، فرد بعصبية " لان قاسم ابو خضرا وعمر السيلاوي في ايدينا. وقد سألتك مرة عنهما لان قلبي كان يحدثني " فقلت بشئ من الدهشة مش معقول " . ورحت ابدي استغرابي من ان يكون قاسم ابو خضرا وعمر السيلاوي قد وصلا إلى حيفا وقاما بالعمليات بالفعل . فرد انهما لم يقوما بالعمليات ولكنهما يهربان الأسلحة والمواد المتفجرة لمن يقوم بهذه العمليات، وانهما قد قبض عليهما ليلة الامس وهما ينقلان زورقا مليئا بالمتفجرات إلا انهما يصران على الإنكار ويدعيان ان ما تلقوه من أوامر هو إن يلقوا المتفجرات في البحر لاشخاص يأتون لانتشالها بعد عودتهما وأن علي مراقبة الشاطئ وصيادي الاسماك من عكا، ولذلك لم يذع نبأ اصطدام دورية البحرية بزورقهما او حتى اعتقالهما اذ لا بد وأن يأتي المخربون " لانتشال الحمولة فنقبض عليهم .

تركت " إلياهو " عائدا إلى عكا بعد ان التقطت محمد غريفات في طريقي، حيث اطلعته على ما دار بيني وبين "الياهو " من حديث وتكليفي بتعقب من تأتيهم المتفجرات، كما واطلعت باقي افراد المجموعة عند وصولي عكا . وقد اتفقنا أن نبقى على أهبة الاستعداد دائما تفاديا لأي خطر، كما واتفقنا على وضع خطة لاختطاف " الياهو موزر " وبعض رجال المخابرات حتى نهاية الشهر كي ننقذ ابو خضرا وعمر السيلاوي .

ادرت الراديو في المساء كي أسمع إذاعة فتح من القاهرة، واذا بالمذيع ينادينا " من اق إلى ٧٧٨/أ .. الصديق لم يعد " وقد رددها ثلاث مراث، ثم قطع نشرة الاخبار يردد ثانية " من أق إلى ٧٧٨/أ .. الصديق لا

Scanned by CamScanner

يعرف العائلة "، فتنهد الجميع وكان كابوسا ينزل عنا، أما عبد حزبوز فقد صفق كفا بكف قائلا " مسكين يا ابو خضرا، هالمرة بقتلوه " .

في نفس الاسبوع سافرت إلى نابلس حيث التقيت بشاكر كي نتدبر امر تزويدنا بالمتفجرات بعد ان اغلقت الطريق، الا ان شاكر كان عديم الحيلة هذه المرة، طالبا الينا ان نتوقف عن العمل بأمر القيادة ريثما نجد وسيلة اخرى، وريثما تهدأ العاصفة قليلا . فأطلعته على آخر التطورات وما جرى بيني وبين " الياهو "، حيث أعددنا تقريرا بذلك ضمنته طلبي إلى القياده ان يكونوا دائما على استعداد لاستقبالنا مع الرهائن على الحدود اللبنانية بالقرب من الشاطئ . ثم تركت شاكر على ان نلتقي في الاسبوع القادم .

Scanned by CamScanner

اتصل بي شاكر إلى مكان عملي يطلب مني الحضور فورا إلى نابلس ولم اكن في المكان ولكن ترك لي خبرا يفيد ان عمتي مريضة جـــدا وتـــود رؤيتي .

خفق قلبي لهذا الطلب المفاجئ وتأكدت من ان شيئا خطيرا قد حصل، ففرغت من عملي مبكرا وتوجهت إلى نابلس، ذهبت إلى بيت شاكر مباشرة فوجدته ينتظر على احر من الجمر هو وباقي الرفاق ما عدا الحاج اسعد . وعندما نظرت متسائلاً اجاب شاكر ان المخابرات الإسرائيلية قد اعتقلتـــه بالامس لامر لا يمت لمجموعتنا بصلة فعقبت غاضبا " عشان يعملوا حفلـــة يعني .. يا شباب انها النهاية، الخيط بايديهم ممسوك من الطرفين " .

راح شاكر يخفف من الصدمة علي قائلا ان الحاج اسعد اعتقل لان امرأة كانت تحمل رسالة خطية منه للقيادة يتوسط فيها لزوجها كي تعفـــي القيادة عنه، وقد قبض على الامرأة والرسالة معا، وانه استطاع الاتصال به في المعتقل فطمأنه ان لا داعي للقلق .

Scanned by CamScanner

فقلت بحدة، بل هناك داع كبير للقلق، وانهم سيضيقون الخناق عليه ويساومونه حتى يبيعنا في النهاية، انني أعرفهم جيدا . أما هو فيكفيني منه ان يعرض كل عمله ومجموعته للخطر بتدخله في شئ لا يعنيه، لا يهمني اذا كان ذلك من اجل ان ينال عطف الإمرأة او ليقبض من الزوج .. رجل كهذا لن يتورع عن بيعنا . وطلبت من شاكر الاتصال به فورا وإخباره ان يعترف بكل ما يوجهونه له من تهم بالنسبة للرسالة وينتظر ريثما نتدبر امر اختطافه او اختطاف رهينة نستبدله بها، وسننفذ ذلك في مقابلتي الاسبوعية مع " الياهو " والآخرين في مقبرة نهاريا في الأسبوع القادم، لاننا قد وضعنا خطة كاملة لذلك، واتفقنا على ان يغادر عادل إلى الضفة الشرقية لترتيب الامور هناك وانتظارنا لمدة اسبوعين على الشواطئ اللبنانية بالقرب من الحدود . وقبل ان أغادرهم اتفقنا على ان نكون في حالة طوارئ لمدة ثمان وأربعين ساعة .

عدت إلى عكا وأخبرت باقي أفراد المجموعة فيما حصل، وعينا موقع كل منا خلال الثمان والاربعين ساعة، مقررين الاشتباك داخل المدينة مع السلطات اذا ما جاءت لاعتقالنا كي نحولها إلى معركة شاملة داخل عكا لتكون بمثابة ثورة داخل الارض المحتلة . اما يوسف ابو الخير فكانت مهمته الوصول بأقصى السرعة إلى محمد غريفات في معسكره لكي يكون هو الآخر على أهبة الإستعداد واخذ ما يستطيع من رهائن وتخطي الحدود . ذهبت بعد يومين إلى نابلس والتقيت بشاكر، فوجدته قلقا رغم انقضاء الثمان والاربعين ساعة من الطوارئ، لان التحقيق مع الحاج اسعد بدأ ياخذ مجرى آخر على ما يعتقد لان المخابرات اعتقلت بالامس زوجته وابنته، وثمة اخبار تصله من السجن عن تعذيب رهيب للحاج واستعمال زوجته وابنته وسيلة للضغط عليه . صمت شاكر، فنظرت اليه واذا به يبكي بصمت،

Scanned by CamScanner

فقمت اليه اوبخه، فنظر الي قائلا " هاي النهاية يا فوزي مثل ما قلت .. الحاج مش رايح يصمد .. ارجع بسرعة لعكا خذ جماعتك وفل " .

وحين سالته عما سيفعله هو اجاب انه سيطلب من الاستاذ أحمد وهو الوحيد الذي بقي من المجموعة ٧٧٨ ان يغادر إلى الضفة الشرقية، اما هو فقرر ان يعتصم بالجبل ويختفي لمدة حتى يعتقدوا انه غادر إلى الضفة الشرقية، ثم يعود ليبدأ من جديد .

Scanned by CamScanner

عدت إلى عكا ومررت بالبيت وأخبرت اخي مصطفى ان يطوف على باقي الرفاق ويخبرهم ان ينتظروني كل في بيته ريثما اصل نهاريا واعود، لانني ساحدثهم بامر هام، وكنت قد ذهبت إلى نهاريا لاحضار كل ما عندي من اسلحة وأدوات الغوص، ثم اعود إلى عكا لنتدبر الامر سوية، واخيرهم في مغادرة البلاد او المقاومة حتى الموت .

دخلت البيت وارتديت الجينز وحذاء الرياضة، وكل شئ حولي يبدو مألوفا وطبيعيا، ولكنني ما كدت افتح الباب لاخرج إلى مخزن الاسلحة حتى كانت عدة هراوات تنزل على رأسي فجأة وعشرات الجنود ورجال الشرطة المدججين بالسلاح ينقضون علي - لاجد نفسي بعدها مكبلا بالحديد من رأسي حتى قدمي فنظرت واذا " الياهو موزر " و" اهرون سلع " ينظران الي بعينين حاقدتين، ثم دنا مني اهرون سلع نازعا قبعته عن رأسه ليضعها أمامي قائلا

" كنتم رجالا وانني أعترف "

Scanned by CamScanner

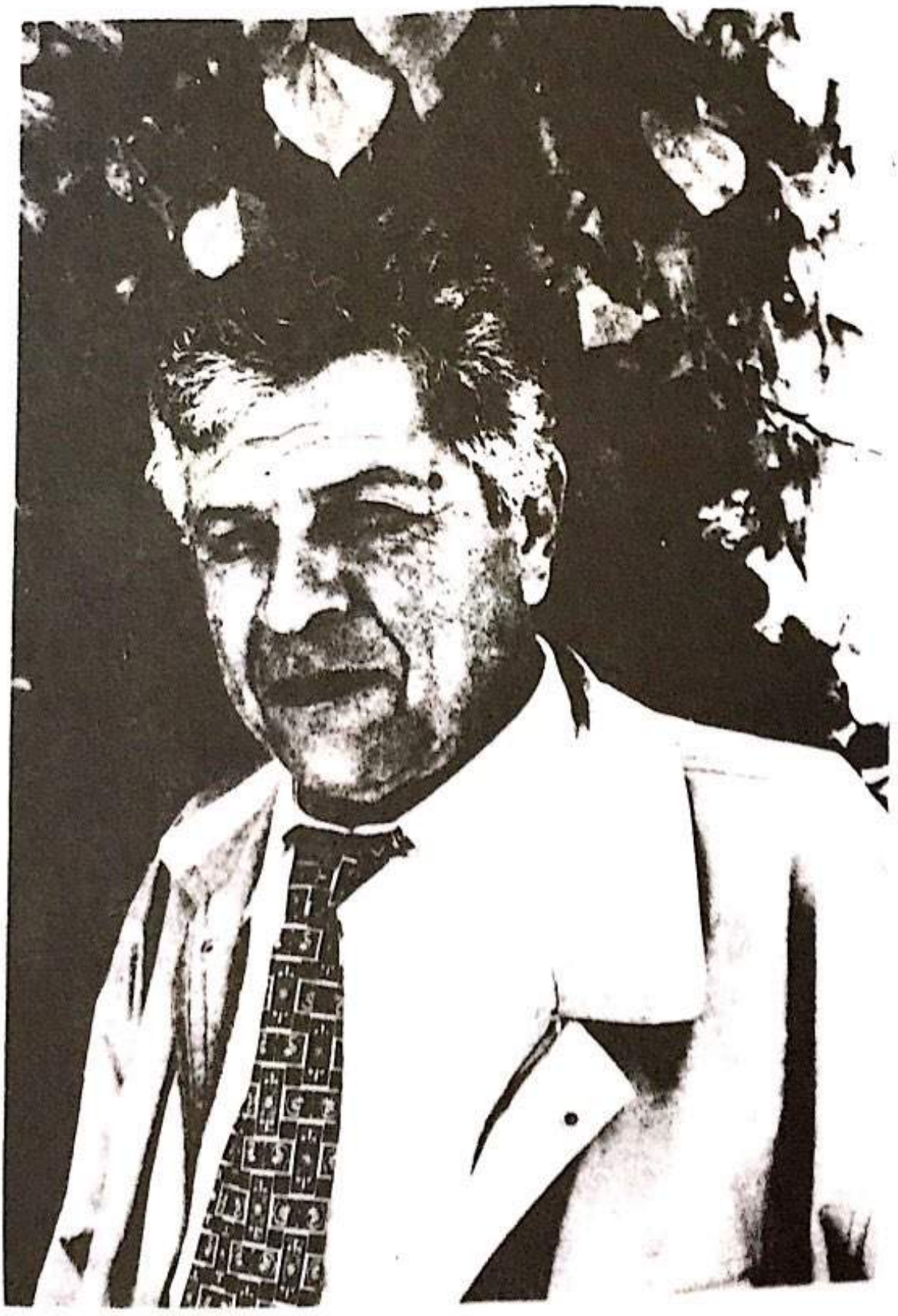

توفيـــق فيـــاض

Scanned by CamScanner